

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد خيضر بسكرة  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم الآثار الصحراوية

## العمارة الدينية بمنطقة الزاب دراسة أثرية ومعمارية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الصحراوية

إعداد الطالبة: فتيحة شلوق

### أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور: جمال علقمة	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	رئيسا
الأستاذ الدكتور: صالح بن قربة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	مشرفا ومقررا
الدكتور: نبيلة عبد الشكور	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر	عضوا مناقشا
الدكتور: السعيد دلوم	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2007 - 2008

# الفهارس

## فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
33	ضريح ذو قبتين بفرفار قرب طولقة	01
44	مخطط عام لجامع سيدي موسى الخذري قبل توسيعه	02
46	مخطط جامع سيدي موسى الخذري بعد توسيعه	03
47	تقنيات ومواد البناء	04

55	مقطع عمودي لمنذنة جامع سيدي موسى الخذري	05
56	تخطيط خارجي لمنذنة جامع سيدي موسى الخذري	06
61	تخطيط للجامع العتيق ببرج بن عزوز	07
64	التوضيح الافتراضي للأعمدة بالجامع العتيق ببرج بن عزوز	08
68	تخطيط خارجي لمنذنة الجامع العتيق ببرج بن عزوز	09
69	مقطع عمودي افتراضي لمنذنة الجامع العتيق ببرج بن عزوز	10
78	مخطط افتراضي لزواوية علي بن عمر (الزواوية العثمانية) طولقة	11
81	مخطط افتراضي للزواوية المختارية القديمة أولاد جلال	12
84	المخطط الحالي للزواوية المختارية	13
89	شكل أعمدة الزواوية المختارية	14
90	توضيح الأعمدة في مسجد الزواوية المختارية	15
91	توضيح الأعمدة في غرفة الضريح بالزواوية المختارية	16
93	شرفات ثلاثية الفصوص بالزواوية المختارية	17
107	مخطط افتراضي لضريح أبو المهاجر دينار	18
114	مخطط ضريح خالد بن سنان (حسب الرائد كوفيه)	19
117	المخطط الحالي لضريح خالد بن سنان العبسي	20
125	شرفات ثلاثية الفصوص بضريح خالد بن سنان	21

## فهرس الخرائط والوثائق

الرقم	العنوان	الصفحة
01	التقسيم الإداري لولاية بسكرة	21
02	الأودية والجبال بمنطقة بسكرة	24
03	إنتشار أنواع الأضرحة في بلاد المغرب	34
04	موقع جامع سيدي موسى الخذري لمسجد بسكرة	الملحق 01
-	الوثيقة التاريخية الخاصة بجامع سيدي موسى الخذري	الملحق 02
05	موقع الجامع العتيق ببرج بن عزوز	الملحق 03
05	موقع زواوية علي بن عمر (الزواوية العثمانية) طولقة	الملحق 03
06	موقع الزواوية المختارية بأولاد جلال	الملحق 04
07	موقع ضريح أبي المهاجر دينار	الملحق 05
06	موقع ضريح خالد بن سنان العبسي	الملحق 04

## فهرس الصور

الصفحة	العنوان	الرقم
140	تبين منذنة مسجد بوشقرون خلال القرن التاسع عشر	01
142	تبين منذنة مسجد سيدي الحافي بسيدي عقبة خلال القرن التاسع عشر	02
144	تبين شكل من أشكال قباب الأضرحة الزاب خلال القرن التاسع عشر	03
145	تبين ضريح سيدي لحسن خلال العهد الاستعماري	04
147	تبين الوثيقة التاريخية التي عثر عليها عام 1952 بجدار صومعة جامع سيدي موسى الخذري	05
149	تبين بيت الصلاة القديم لجامع سيدي موسى الخذري	06
150	تبين توسيع بيت الصلاة في جامع سيدي موسى الخذري.	07
151	تبين محراب جامع سيدي موسى الخذري	08
152	تبين أعمدة جامع سيدي موسى الخذري	09
155	تبين أقواس بيت الصلاة وأعمدة الخشب التي بينها في جامع سيدي موسى الخذري	10
158	تبين المنذنة القديمة لجامع سيدي موسى الخذري 1727م	11
159	تبين المنذنة الحالية لجامع سيدي موسى الخذري	12
160	تبين الجامع العتيق ببرج بن عزوز في أوائل القرن العشرين	13
162	تبين منذنة الجامع العتيق ببرج بن عزوز	14
164	تبين مواد بناء الجامع العتيق ببرج بن عزوز	15
166	تبين المحراب والمنبر في الجامع العتيق ببرج بن عزوز	16
167	تبين أعمدة الجامع العتيق ببرج بن عزوز	17
169	تبين السقف المقبب بالجامع العتيق ببرج بن عزوز	18
171	تبين زخرفة القبة الوسطى من الداخل في الجامع العتيق ببرج بن عزوز	19
172	تبين زخرفة قبة المحراب من الخارج في الجامع العتيق ببرج بن عزوز	20
175	تبين واجهة غرف الطلبة في الجهة الغربية من الزاوية المختارية	21
176	تبين مظاهر إصلاح سقف الزاوية المختارية	22
178	تبين شكل أقواس مسجد الزاوية المختارية	23
179	تبين السقف المقبب للزاوية المختارية	24

الصفحة	العنوان	الرقم
--------	---------	-------

180	تبيين شكل أبواب مسجد الزاوية المختارية	25
181	تبيين شكل نوافذ مسجد الزاوية المختارية	26
182	تبيين شكل المشكاة الموجودة في أسفل جدران مسجد الزاوية المختارية	27
186	تبيين سقف غرف الطلبة بالزاوية المختارية من الداخل	28
188	تبيين أعمدة رواق غرف الطلبة (الجهة الجنوبية) بالزاوية المختارية	29
189	تبيين دعائم بيت الصلاة في مسجد الزاوية المختارية	30
191	تبيين القباب مئمة الزوايا في غرفة الضريح بالزاوية المختارية	31
192	تبيين الزخرفة النباتية بالزاوية المختارية	32
194	تبيين النقش على الخشب في غرفة الضريح بالزاوية المختارية	33
196	تبيين ضريح أبو المهاجر دينار حالياً	34
198	تبيين أفواس وأروقة الصحن في ضريح خالد بن سنان	35
200	تبيين محراب مسجد ضريح خالد بن سنان	36
201	تبيين أعمدة ودعائم صحن ضريح خالد بن سنان	37
202	تبيين القبة الوسطى في ضريح خالد بن سنان	38
203	تبيين القباب الركنية في غرفة ضريح خالد بن سنان	39
204	تبيين سقف أروقه غرفة ضريح خالد بن سنان	40
206	تبيين الزخرفة الهندسية في غرفة ضريح خالد بن سنان	41

## فهرس اللوحات

الرقم	العنوان	الصفحة
01	تبيين الجامع العتيق بأولاد جلال قديما وحديثا	141
02	تبيين مسجد مآمي بمنطقة الزاب	143
03	تبيين جامع سيدي موسى الخذري قديما وحديثا	146
04	تبيين لوحتا الرخام اللتين تورخان لترميم الجامع 1950-1998	148
05	تبيين تيجان أعمدة بيت الصلاة القديم لجامع سيدي موسى الخذري	153
06	تبيين دعائم جامع سيدي موسى الخذري	154
07	تبيين سقف جامع سيدي موسى الخذري	156
08	تبيين قبة ضريح سيدي موسى الخذري من الخارج و من الداخل	157
09	تبيين اللوحتان الجصيتان الموجودتان عند مدخل الجامع العتيق ببرج بن عزوز	161

163	الواجهة الشرقية والشمالية لبرج بن عزوز	10
165	تبين الأقواس والنوافذ التي تعلوها في الجامع العتيق ببرج بن عزوز	11
168	تبين أنواع الدعائم الموجودة بالجامع العتيق ببرج بن عزوز	12
170	تبين قباب الجامع العتيق ببرج بن عزوز من الداخل	13
173	تبين واجهة الزاوية المختارية قديما وحديثا	14
174	تبين بعض آثار المسجد القديم للزاوية المختارية (1815م)	15
177	تبين بوائك وبلاطات مسجد الزاوية المختارية	16
183	تبين باب ونوافذ غرفة الضريح بالزاوية المختارية	17
184	تبين أقواس غرفة الضريح بالزاوية المختارية	18
185	تبين قباب غرفة الضريح بالزاوية المختارية من الداخل والخارج	19
187	تبين أعمدة أروقة مسجد الزاوية المختارية قديما وحديثا	20
190	تبين قباب البلاطة الوسطى من الداخل في مسجد الزاوية المختارية	21
193	تبين الزخرفة الهندسية والكتابية في غرفة الضريح بالزاوية المختارية	22
195	تبين الزخرفة الكتابية في بيت الصلاة بالزاوية المختارية	23

الرقم	العنوان	الصفحة
24	تبين ضريح خالد بن سنان قديما وحديثا	197
25	تبين غرفة ضريح خالد بن سنان من الداخل (الأقواس، الزخرفة، القبّة..)	199
26	تبين الزخرفة النباتية في غرفة ضريح خالد بن سنان	205
27	تبين الزخرفة الكتابية في غرفة ضريح خالد بن سنان	207

## الفهرس العام

أ.د	تقديم.....
01	الفصل الأول: دراسة تمهيدية
02	أولاً: العمارة الدينية الإسلامية وعناصرها المعمارية.....
02	1 - المسجد.....
07	2 - الزاوية.....
08	3 - الضريح.....
09	4 - العناصر المعمارية في العمارة الدينية.....
09	أ - المآذن.....
12	ب - القباب.....
14	ج - العقود.....
15	د - الأعمدة.....
16	هـ - الشرفات.....
16	و - المقصورة.....
16	ثانياً: العمارة الدينية الأثرية بمنطقة الزاب.....
16	1 - تحديد مدلول مصطلح الزاب.....
22	2 - الموقع الجغرافي والجانب التاريخي.....
30	3 - المساجد.....
30	4 - الزوايا.....
31	5 - الأضرحة.....

35	الفصل الثاني: المساجد الأثرية بمنطقة الزاب
37	أولاً: جامع سيدي موسى الخذري.....
37	1 - موقع الجامع وتاريخ إنشائه.....
37	أ - الموقع.....

40	ب - تاريخ إنشائه.....
43	2 - الدراسة المعمارية.....
43	أ - الوصف الخارجي.....
48	ب - الوصف الداخلي.....
48	ب.1 - بيت الصلاة.....
49	ب.2 - المحراب.....
50	ج - العناصر المعمارية.....
50	ج.1 - الروافع.....
52	ج.2 - السقف.....
52	ج.3 - القباب.....
52	ج.4 - المنذنة.....
57	3 - الدراسة الفنية.....
57	أ - العناصر النباتية.....
57	ب - العناصر الهندسية.....
57	ج - العناصر الخطية.....
59	ثانيا: الجامع العتيق ببرج بن عزوز.....
59	1 - موقع الجامع وتاريخ إنشائه.....
59	أ - الموقع.....
59	ب - تاريخ إنشائه.....

60	2 - الدراسة المعمارية.....
60	أ - الوصف الخارجي.....
62	ب - الوصف الداخلي.....
62	ب.1 - بيت الصلاة.....
63	ب.2 - المحراب.....
63	ج - العناصر المعمارية.....
63	ج.1 - الروافع.....
65	ج.2 - السقف.....
66	ج.3 - القباب.....
67	ج.4 - المنذنة.....
70	3 - الدراسة الفنية.....
70	أ - العناصر الهندسية.....
70	ب - العناصر الخطية.....
72	<b>الفصل الثالث: الزوايا والأضرحة الأثرية بمنطقة الزاب</b>
74	أولا: الزوايا.....

74	1- زاوية علي بن عمر (الزاوية العثمانية) طو لقة.....
74	أ - موقع الزاوية وتاريخ إنشائها.....
76	ب - الدراسة المعمارية.....
77	ج - العناصر المعمارية.....
77	ج.1 - المسجد.....
77	ج.2 - الضريح.....
77	ج.3 - غرف الطلبة.....

79	2 - الزاوية المختارية بأولاد جلال.....
79	أ - موقع الزاوية وتاريخ إنشائها.....
80	ب - الدراسة المعمارية.....
80	ب.1 - الوصف الخارجي.....
85	ب.2 - الوصف الداخلي.....
87	ج - العناصر المعمارية.....
87	ج.1 - الروافع.....
92	ج.2 - القباب.....
92	ج.3 - المحراب.....
94	د - الدراسة الفنية.....
94	د.1 - الزخرفة النباتية.....
94	د.2 - الزخرفة الهندسية.....
95	د.3 - الزخرفة الخطية.....
98	ثانيا: الأضرحة.....
98	1 - ضريح أبو المهاجر دينار.....
98	أ - موقع الضريح وتاريخ إنشائه.....
105	ب - الدراسة المعمارية.....
108	2 - ضريح خالد بن سنان العبسي.....
108	أ - موقع الضريح وتاريخ إنشائه.....
118	ب - الدراسة المعمارية.....
118	ب.1 - الوصف الخارجي.....
120	ب.2 - الوصف الداخلي.....

122	ج - العناصر المعمارية.....
122	ج.1 - الروافع.....
122	ج.2 - القباب.....
124	ج.3 - الشرافات.....
126	د - الدراسة الفنية.....
126	د.1 - الزخرفة النباتية.....
126	د.2 - الزخرفة الهندسية.....
127	د.3 - الزخرفة الخطية.....
128	الخاتمة العامة
132	الملاحق.....
139	الصور واللوحات.....
208	قائمة المصادر والمراجع.....
216	الفهارس.....
217	فهرس الأشكال.....
218	فهرس الخرائط والوثائق.....
219	فهرس الصور.....
221	فهرس اللوحات.....
223	الفهرس العام.....

## تقديم

إن العوامل الأساسية التي تساهم في تشكيل الفكر الإنساني والتراث المعماري والإنتاج الفني لحضارة ما؛ هي البيئة التي ظهرت فيها وتعاليم العقيدة التي تتبناها سواء كانت مستمدة من وحي السماء أو معتمدة على الفكر البشري، فالإنتاج الحضاري يستند إلى الموروث الفكري والثقافي والعقائدي للبيئة التي نشأ فيها؛ كيف ما كانت طبيعتها جبلية وعرة، أو سهلة منبسطة، أو صحراء قاحلة.

وكل مجتمع ينتج حضارته اعتماداً على تصوراته وفهمه للإله والكون والحياة، وقد يكون هذا التصور مميّزاً لحضارة عن غيرها من الحضارات الأخرى أو مقتبساً من حضارات سابقة سواء في الجانب الديني أو الفكري أو القانوني أو في التشييد العمراني، هذا الأخير يعتبر علامة مضيئة وثمره مشعة للإبداع الإنساني عبر العصور بما يحمله من مظاهر جمالية وفنية ورموز دالة على مستوى التطور والتقدم.

والتراث المعماري الإسلامي ثروة حضارية لا بد من الإعتناء بها، ودراستها وإيضاح خصائصها وفوائدها والعمل على إكمال مسيرة تطورها لتصبح ملائمة أكثر لظروف العصر وتحولاته؛ وباعتبار أن العمارة هي جزء من الحضارة؛ وتمثل الهوية الثقافية والمستوى الإبداعي والجمالي للإنسان، كان لا بد من التمسك بأصالتها والعمل على محو الغزو المعماري الغريب الذي غير طابع العمارة الإسلامية وجعلها تفقد هويتها وخصائصها المميزة وانقطاعها عن جذورها وبيئتها.

ومنطقة الزاب التي استفادت قبل الفتوحات الإسلامية من حضارات مختلفة القرطاجية والرومانية والبيزنطية، حيث تركت كل منها معالم مميزة مجسدة أساساً في نظام السقي، وأنواع العمارات المدنية منها والعسكرية والدينية.

أما فيما يتعلق بموضوع بحثنا الذي يطرح تساؤلات وإشكاليات أمام كل من يقوم ببحثه ودراسته منها:

**- ماهية العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة الزاب وما أنواعها وخصائصها؟ وما هي الطرز المعمارية التي يمكن تصنيفها فيها؟ وكيف يمكن أن نحمي هذا التراث المعماري ونحافظ على هويته وطرزه؟ وما هي الطرق التي تساعدنا على إبراز دورها الاجتماعي والثقافي؟**

**- دوافع اختيار الموضوع:** فيما يتعلق بالأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع نجملها في:

رغبتي في تناول هذا الموضوع والتعريف به كرسالة جامعية لندرة الدراسات الأثرية المتعلقة بالعمارة الدينية الإسلامية خاصة بمنطقة الزاب، مع العمل على حصر وجرد مختلف معالم العمارة الدينية الإسلامية بالمنطقة ومحاولة إبراز طرزها وجماليتها من أجل حمايتها وإظهار رسالتها الحضارية، ونظراً لأهمية الموضوع فقد حاولت جاهدة على أن يكون لبنة في صرح الدراسات الأثرية الصحراوية والمساهمة العلمية في إثراء المكتبة الجامعية بمرجع حول الموضوع.

**منهج الدراسة:** من أجل الدراسة المعمقة والتحليل الشامل لمختلف العناصر والمتغيرات المؤثرة في مفردات البحث الساعي إلى توضيح الجوانب الأثرية للعمارة الدينية بمنطقة الزاب والوقوف على خصائصها ومميزاتها اعتمدنا: منهج " الجرد التاريخي الوثائقي " لإثراء الجانب المعرفي والإطلاع على ما كتب عن آثار العمارة الدينية بمنطقة الزاب، والمنهج " الأثري الوصفي التحليلي " للتعرف عن خصائص فن العمارة الدينية الأثرية، و " منهج دراسة حالة " الذي يمكن من التعمق في فهم مختلف جوانب الموضوع وكشف أبعاده من خلال الزيارات الميدانية لأهم هذه المعالم لرفعها هندسياً ومعاينتها على الطبيعة إضافة إلى الملاحظة ودراسة وتحليل مختلف الوثائق والبيانات والمعطيات الفعلية، وإستخدام الرسومات التخطيطية والتصميمات الهندسية، وأخذ الصور الفوتوغرافية لمختلف جوانب هذه العمارة للمساهمة ميدانياً، ولقد كانت هذه الدراسة الدعامة الأساسية في بحث هذه العمارات نظراً لعدم توفر المادة العلمية حولها، وهذا ما يجسد في نظرنا أحد دوافع دراسة هذا الموضوع المتمثل في إخراج البحث العلمي من المحيط الداخلي للجامعة إلى الميدان العملي.

ومن أجل تحليل وتجسيد المنهج المعتمد وتجاوبا مع التساؤلات الواردة في الإشكالية قسمنا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة مع ثبت للمصادر والمراجع، ثم ذيلته بالملاحق التي تتضمن الأشكال والمخططات والخرائط والصور الموضحة للمتن كمايلي:

- الفصل الأول: " دراسة تمهيدية " وتضمن:

لمحة عامة عن العمارة الدينية الإسلامية؛ تعريفها أنواعها وعناصرها المعمارية، ثم دراستها والتعرف عن وضعيتها في منطقة الزاب بعد إعطاء لمحة تاريخية وجغرافية عن المنطقة.

أما الفصل الثاني: فقد خصصته " للمساجد الأثرية بمنطقة الزاب " وتضمن:

جامع سيدي موسى الخذري الذي يوجد ب: لمسيد بوسط مدينة بسكرة؛ الذي يعود إلى الفترة بين القرنين الثاني والثالث الهجري، والجامع العتيق ببرج بن عزوز الذي يقع بالناحية الغربية لولاية بسكرة؛ والذي يعود إلى العهد العثماني، تناولت دراستهما الناحية التاريخية والمعمارية، ولعدم وجود قرينة مادية أو أدبية تحدد تاريخ إنشائهما اعتمادنا في تحديد ذلك على طرزهما المعمارية والفنية وعلى الظروف التاريخية التي مرت بها المنطقة وما جاء به الرحالة والجغرافيون.

أما معماریا فبيننا النظام التخطيطي العام للمسجدين ومواقع العناصر الأساسية لعمارتهما (بيت الصلاة، المحراب، المئذنة) مع دراسة مستقلة لكل عنصر من حيث شكله وأصله وتقنيات ومواد بنائه مدعمة ب: تخطيطات عامة وأشكال هندسية ورسومات وصور فوتوغرافية، كما تناولت الدراسة العناصر الزخرفية بمختلف أنواعها نباتية، هندسية، خطية.

بينما عالجنا في الفصل الثالث: " الزوايا والأضرحة الأثرية بمنطقة الزاب " وتضمن:

دراسة زاويتي: علي بن عمر بطولقة والمختارية بأولاد جلال؛ حيث يرجع تاريخ إنشائهما إلى العهد العثماني وما زالت تنتشطان إلى يومنا هذا، اعتمد في دراستهما نفس الطريقة المتبعة في الفصل الثاني. أما بالنسبة للأضرحة فرغم كثرتها بالمنطقة إلا أنها ليست ذات أهمية أثرية معتبرة فجلها يرجع إلى الفترة الحديثة لذلك كان تركيزنا على: ضريح أبي المهاجر دينار الذي يعتبر من أقدم الأضرحة الأثرية بعد ضريح عقبة بن نافع، ونظرا لقيمته التاريخية بالإضافة إلى ضريح خالد بن سنان العبسي على اعتبار أنه ظاهرة ثقافية غريبة لكن بمعالم معمارية هامة؛ تناولت دراستهما الجانب التاريخي والمعماري والفني.

ولإبراز هذه المعالم تاريخيا وأثرنا اعتمدنا على مجموعة من المصادر العربية القديمة والمراجع الحديثة منها العربية والأجنبية المتخصصة وفي مقدمتها:

- كتب الرحلة والجغرافية منها: " البلدان " لليقوبي، و" صورة الأرض " لابن حوقل، و" المسالك والممالك (المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب) " للبكري، و" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " للإدريسي، و" العبر " لابن خلدون، و" وصف إفريقيا " للوزان، و" ماء الموائد " للعايشي، و" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " للورتلاني، و" الترجمانة الكبرى " للزياني.

- أما المراجع الحديثة فقد اعتمدنا على بعض المراجع الفرنسية المتخصصة على اعتبار أن الفرنسيين هم أصحاب السبق في الدراسات الأثرية المغربية بحكم تواجدهم في منطقة شمال إفريقيا خلال فترة الاستعمار الفرنسي، الشيء الذي مكّنهم من دراسة الآثار الإسلامية الموجودة في منطقة المغرب الإسلامي ونخص منهم: ( Marçais.G ) الذي تعتبر مؤلفاته في مجال العمارة الإسلامية المرجع الأول لكل باحث في الموضوع؛ خاصة وأنها مزودة بصور ومخططات هندسية ورسومات للعناصر المعمارية بالإضافة إلى مؤلفات ( Golvin.L ) و ( Baradeze.J ) و ( Gsell.S ) ومقالات لبعض القادة العسكريين الفرنسيين في المجلة الإفريقية، والأستاذين الجزائريين رشيد بورويبة ورشيد دوكالي ومؤلفاتهما عن الآثار الإسلامية في الجزائر.

- أما المراجع العربية؛ فقد اعتمدت بشكل كبير على مؤلفات بعض المشاركة منهم: فريد محمود شافعي، و عبد العزيز سالم وصالح مصطفى لمعي، وزكي محمد حسن، وحسين مؤنس، حول العمارة الإسلامية، أما المغاربة نذكر منهم: عبد الرحمان الجيلالي، ومحمد البشير شنييتي، ومحمد الصغير غانم... وغيرهم.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر كل من:  
أستاذي الفاضل الدكتور محمد نجيب خلف شفاه الله؛ الذي كان له الفضل في اختيار وتحديد الموضوع.  
أستاذي الفاضل: الدكتور جمال علقمة على توجيهاته وعلى المراجع التي زودني بها.  
كما أقدم الشكر الجزيل إلى:  
الدكتور عبد الحميد قتالة على المساعدة التي قدمها لي خاصة ما تعلق بضريح خالد بن سنان.  
. أعضاء مكتب المهندس المعماري محمد لمين زروق ببسكرة.  
. المهندس المعماري أحمد ومان ببسكرة.  
. المهندس المعماري لزهر صولة ببسكرة.  
. المهندس المعماري مبروك فويل بأولاد جلال.  
. عائلة جلالة بوفاتح بأولاد جلال.  
. القائمين على الزاوية المختارية بأولاد جلال.  
. أسرة الزاوية العثمانية وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر عثمانى حفظه الله وأطال في عمره.  
. إمام وقيم جامع سيدي موسى الخذري ب: لمسيد حفظهما الله.  
. جمال عساسي محافظ المكتبة المركزية بجامعة محمد خيضر بسكرة والأخت كنزة ملياني.  
. الأخ العربي محافظ المكتبة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد خيضر بسكرة.  
. القائمون على مكتبة المركز الإسلامي ببسكرة.  
. عمال متحف سيرتا بقسنطينة خاصة القائمون على المكتبة.  
. القائمون على مكتبة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية.

وكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

# الفصل الأول

## دراسة تمهيدية

### أولاً: العمارة الدينية الإسلامية وعناصرها المعمارية

العمارة هي طريقة البنين لخدمة وظيفة اجتماعية محددة، تتطلب معرفة بخصائص هذه الوظيفة وعلاقتها بالبيئة وبمادة البنين وخطط العمران من أجل أداء دورها براحة وأمان، لذلك اختلفت حسب الزمان والمكان فظهرت عدة أنواع وطرز منها العمارة الإسلامية التي تتأثر بتعاليم الدين؛ فهي لا تتمثل في عناصر معمارية وزخرفية فقط، بل في حقيقتها وأسسها وجوهرها وهي جوانب نبعت ونمت في البيئات العربية والإسلامية ونجحت في توفير كل مطالب تلك البيئات المتعلقة بالمناخ والسياسة والاقتصاد...؛ وهي أنواع: منها الحربية وتتمثل في الأربطة والأسوار والحصون والأبراج والقلاع، والمدنية كالقصور والمسكن والمصانع وغرس البساتين وتصميم المياه، ودينية كالمساجد والزوايا والمدارس والأضرحة والقباب والكتاتيب والأسبلية، هذه الأخيرة التي سنحاول التعرف عن أهمها والوقوف على مختلف عناصرها المعمارية.

#### 1 - المسجد:

المسجد بالكسر إسم لمكان السجود، والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، والمسجد بكسر الميم الخمرة وهي الخصرة الصغيرة.

يفسر الزركشي السبب في إختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول: " لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق إسم المكان منه فقل مسجد ولم يقولوا مرعع<sup>1</sup> ، والمسجد هو أول مكان عبادة في الديانة الإسلامية إنطلاقاً من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يسميه الدكتور حسين مؤنس بأبو المساجد.

وضع المخطط الأساسي لبناء المساجد في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية فكانت المساجد الأولى بسيطة في تخطيطها تناسب شعائر الدين الجديد، فهي قطعة أرض تحاط بأربعة جدران أو خندق، سقفها من الجريد والطين يقام على أعمدة من جذوع النخل بتوسع الدولة الإسلامية وارتفاع عدد المسلمين، أصبح من الضروري بناء مساجد واسعة وهي التي عرفت بالمسجد الجامع الذي أصبح من أهم معالم المدينة الإسلامية وكان الخليفة بنفسه أو من ينوب عنه مؤهلاً لإمامة المسلمين، خصوصاً يوم الجمعة والمسجد اكتسب صفة الجامع من اجتماع المسلمين فيه لأداء هذه الفريضة، كما أصبح مصطلح جامع

يطلق على كل المساجد الكبيرة<sup>2</sup>.

بالنسبة للعمارة المسجدية فقد كانت نواتها الأساسية مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي احتوى على العناصر الرئيسية وهي بيت الصلاة والصحن والقبلة والمحراب والمنبر التي سوف يأتي تفصيلها مع مراعاة شروط أساسية تساعد على أداء الصلاة براحة وعلى الاستماع إلى الخطيب بيسر نذكر منها:<sup>3</sup>

- الاتصال بين المصلين وتراص الصفوف.

- خلو صحن المسجد من الأعمدة التي تقطع صفوف المصلين.

- عدم وجود حائل يمنع من تلاحق وتتابع صفوف المسلمين.

- وجود جدار نافذ بين الصحن والحرم.

- لا يكون الدخول إلى صحن المسجد مباشرة.

تطورت هذه العمارة مع توسع الفتوحات الإسلامية واحتكاك المسلمين بالروم والإيرانيين... فأضيفت أجزاء أخرى، كالمئذنة والعقود والزخرفة...، حيث نجد تخطيط المسجد مربعاً في العراق وإيران، لأن أماكن العبادة السابقة في المنطقة كانت مربعة الشكل، ومستطيلاً في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام لأن الكنائس المسيحية في هذه المناطق كانت مستطيلة.

وكان للمعماري المسلم الحرية في ابتكاراته المعمارية فظهرت عدة أساليب في العمارة المسجدية منها: الأسلوب الأموي والعباسي والمغربي والإيراني والمملوكي العثماني<sup>4</sup>.

**العناصر الأساسية في العمارة المسجدية:** عمارة أي مسجد يجب أن تتوفر على عناصر أساسية توفرت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي: بيت الصلاة، الصحن، القبلة، المحراب والمنبر.

**- بيت الصلاة:** عنصر أساسي في العمارة المسجدية، فيها توجد القبلة والمحراب والمنبر، ظهرت مع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي عبارة عن جزء مسقوف من الصحن يقوم على عمد تحمل فوقها عقوداً، فوق هذه الأخيرة يقوم السقف، تقسم بيت الصلاة بواسطة الأعمدة إلى أروقة عمودية تبدأ من المدخل الرئيسي للمسجد وتنتهي بجدار القبلة تعرف بالأساكيب جمع أسكوب وأخرى موازية لجدار القبلة تعرف بالبلاطات

1 - محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراغي، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص 26-27.

2 - قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية، العصر الفاطمي والأيوبي، دار ومكتبة الهلال للكتاب، بيروت، 2005، ص 278-279.

- فريد محمود شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها الرياض، 1982، ص 2-3.

- حسن محمد نويصر، الآثار الإسلامية، ط2، مكتبة زهراء الرق، القاهرة، 2004، ص 41-43.

3 - الزركشي، مصدر سابق، ص 275-276.

4 - أنظر.

- GOLVIN. L, LA MOSQUEE Ses origines, Sa morphologie, Ses diverses fonctions Son rôle dans la vie musulmane, plus spécialement en Afrique du Nord, Institut d'Etudes Supérieures Islamiques d'Alger, 1960, P36.

- Marçais. G, L'Art Musulman, Presses Universitaires de France, Paris, 1962, P15.

- حسين مؤنس، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص 83-85.

- فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص 3-11.

جمع بلاطة، وعدد ها يحدد عمق بيت الصلاة أو ما يعبر عنه بالجوف، غالبا ما يكون الرواق المؤدي إلى المحراب أوسع من باقي الأروقة ويعرف بالرواق الأوسط أو الرئيسي أو المجاز القاطع، تكون بيت الصلاة في مساجد المغرب الإسلامي على أكبر مساحة ممكنة من المسجد مع إلغاء الأروقة الجانبية والخلفية في الصحن وهذا بسبب الظروف المناخية وكثرة تساقط الأمطار مقارنة مع المشرق الإسلامي<sup>5</sup>.

- **الصحن:** هو ما يوجد داخل جدران المسجد من فناء مكشوف يخصص للصلاة في مناسبات الصلوات الجامعة، يشمل في بعض مساجد المشرق الإسلامي على أروقة جانبية وأخرى خلفية مثل المسجد الجامع لابن طولون بمصر، تتقلص مساحته في المناطق الباردة وشديدة الحرارة<sup>6</sup>.

- **القبلة:** لغة هي الجهة، يقال ليس لفلان قبلة أي ليس له جهة، أستعملت في القرآن بمعنى الناحية التي يوجه المسلمون وجوههم نحوها<sup>7</sup>.

أما كعنصر معماري فهي صدر المسجد، وجداره المتجه نحو الكعبة المشرفة ولقد كانت القبلة في أول الإسلام نحو المسجد الأقصى ثم حولت نحو مكة المكرمة مصداقا لقوله تعالى: ( **قد نرى تقلب وجهك في السماء فننوليك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** )<sup>8</sup>

القبلة ظاهرة عبادة ينفرد بها الإسلام عن باقي الديانات الأخرى، رغم إدعاء اليهود أنهم عرفوا القبلة وهي مكان خزانة الكتب الدينية في معابدهم وهذا زعم خاطئ، لأن هذه الخزانة توضع في صدر المعبد دون النظر إلى اتجاهه، أما المسيحيون فيقولون أن الكنائس المسيحية الأولى كانت توجه نحو الشرق، وهذا لم يثبت عبر التاريخ، رغم وجود بعض الديانات الوثنية التي تحت أتباعها على استقبال مطلع الشمس عند الصلاة في الصباح ومغربها عند الصلاة في المساء ( مثل عبادة قرص الشمس).

فالقبلة ميزة انفردت بها المساجد عن غيرها من أماكن العبادة في الديانات الأخرى، تدخل ضمن الشروط الأساسية في عمارة المساجد، فهذا الجزء له العناية الكبرى هندسيا وفنيا، فتخصص له أحسن مواد البناء من رخام ومرمر وأخشاب ويخص بجهد كبير من قبل المعمارى والمزخرف والنقاش<sup>9</sup>.

- **المحراب:** ورد في لسان العرب، لابن منظور عدة تعريفات للمحراب منها: " صدر البيت وأكرم موضع فيه والجمع محاريب وهو أيضا الغرفة؛ وعند العامة هو الذي يقيم الناس اليوم ليكون مقام الإمام في المسجد؛ وهو أيضا أرفع بيت في الدار؛ وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عروة بن مسعود رضي الله عنه إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابا له، فأشرف عليهم عند الفجر، ثم أذن للصلاة قال: وهذا يدل على أنه غرفة يرتقى إليها.

**والمحاريب:** هي صدور المجالس ومنها سمي محراب المسجد، ومنه محاريب غمدان باليمن؛

المحراب: القبلة؛ ومحراب المجلس: صدره وأشرف موضع فيه؛

أما محاريب بني إسرائيل: فيقصد بها معابدهم التي كانوا يجلسون فيها<sup>10</sup>.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ محراب في قوله تعالى: ( **فخرج على قومه من المحراب** )<sup>11</sup> نفهم من هذه التعاريف أن المحراب هو أهم مكان في المسجد ومن العناصر الأساسية في عمارته.

أنظر .5 - حسين مؤنس مرجع سابق، صص 76- 79.

- GOLVIN. L, op.cit, PP56 – 63.

أنظر .6 - الزركشي، مصدر سابق، صص 363 - 364.

- فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص3.

- GOLVIN. L, op.cit, PP48 – 49.

7 - ابن منظور، لسان العرب، ج2، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، ص264.

8 - الآية 144 من سورة البقرة، برواية ورش.

أنظر .9 - حسين مؤنس، مرجع سابق، صص 62 - 66.

- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص22.

10 - ابن منظور، مصدر سابق، ج1، ص747.

11 - الآية 11 من سورة مريم، برواية ورش.

وجد المحراب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وضع بيده الكريمة حجرا في جدار القبلة في مسجد قباء وفعل نفس الشيء أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب ليكمل الصحابة بناء المحراب، لكن لم يذكر المؤرخون شكل هذا المحراب هل هو مجوف أو مسطح؟، وغالب الضن أنه كان مجوفا لأنه الشكل الغالب في معظم المساجد وفي مختلف العصور ولأن وظيفته تقتضي ذلك، وما هو ثابت تاريخيا وجود المحراب المجوف في الجدار الجنوبي الخارجي لمبنى قبة الصخرة في بيت المقدس منذ 72هـ-692م<sup>12</sup>. تنوعت أشكال المحاريب بين المسطح والمتوسط التجويف والعميقة، فكان المحراب المجوف في المسجد الجامع بدمشق، أما مساجد العصر العباسي كانت محاريبها على شكل نصف دائرة مكساة بالفسيفساء الرخامية أو الزجاجية مع وجود زخارف جصية أو حجرية، كما وجد المحراب المجوف على شكل هيئة حدوة الفرس لكن بشكل مصغر والبعض الآخر تميز بجوانب مسقطة على هيئة متكسرة أي يضيق عرضه كلما زاد عمقه أو ما يعرف بالمتعدد الأضلاع الذي كان منتشرا في عهد المرابطين<sup>13</sup>، ونسجل أيضا وجود نوع آخر وهو المسطح الذي نلاحظه في الكهف الموجود تحت الصخرة في الحرم القدسي وفي جامع ابن طولون.

وقبة المحراب المجوف غالبا ما تكون على هيئة نصف قبيبة مزخرفة بزخرفة هندسية أو نباتية أو كتابية، أو على شكل محارة مقلوبة مثل مسجد الأقرم بالقاهرة، كما نجد محرابا فريدا من نوعه في مسجد قرطبة، فهو محراب مجوف على هيئة محارة في الأعلى بها أروع النقوش، تعتبر آية من آيات النحت والفن المعماري الإسلامي، أما في العمارة العثمانية فقد انتشر أسلوب عمل طواقي المحاريب في صفوف مقرنصات<sup>14</sup>.

- المنبر: لغة: مشتق من النبر وهو العلو والارتقاء في الصوت وفي رسم الحروف خاصة، والمنبر هو مرقاة الخاطب، سمي منبرا لارتفاعه وعلوه، إنتبر الأمير ارتفع فوق المنبر<sup>15</sup>. ظهر المنبر لأول مرة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عبارة عن ارتفاع في الأرض إلى جانب موضع المحراب، بني بالأجر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس عليه، وهذا ما يوحي أنه كان مساحة متسعة، بقيت المنابر بهذا الشكل إلى عهد معاوية الذي صنع منبرا خشبيا من ست درجات ومقعد نقله معه في رحلته إلى مكة، ومن المنابر الخشبية الكبيرة الحجم ما كان موجودا في مسجد قرطبة، ثم يأتي منبر جامع عمرو بالفسطاط الذي وضع من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم عام 405هـ-1014م، إلا أننا نجد صعوبة في تحديد تاريخ معين للمنابر أو الوقوف بدقة على تطورها إذ لم تكن هناك قرينة في صناعتها أو زخرفتها تدل على عصرها أو تعين تاريخ صناعتها<sup>16</sup>، ومن المنابر التي انتشرت أيضا المتحركة على عجلات التي توضع في مكانها في الصلوات الجامعة ثم تؤخر نحو الجدار إن لم تكن لها حاجة أو توضع في خزانة لها مثل ما هو موجود في المسجد الجامع بالإسكندرية وجامع الزيتونة بتونس، ونجد أيضا من يقترح ضرورة القضاء على المنابر البارزة في بيت الصلاة، وتحويلها من أثاث مسجدي إلى جزء من

العمارة المسجدية، كأن تكون هناك شرفة في جدار القبلة يطل منها الخطيب إطلالة مباشرة على الناس<sup>17</sup>.

## 2 - الزاوية:

تعرف لغة: بركن البيت، جمعها زوايا، عند الحجارين والنجارين وغيرهم هي آلة ذات ضلعين مستقيمين يتصل طرفاها فيحدثا زاوية قائمة<sup>18</sup>، أما ياقوت الحموي فيقول: يلفظ زاوية البيت عدة مواضع منها: قرية

أنظر. 12 - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص151.

- GOLVIN. L, op.cit, PP65-70.

13 - محمد طيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1990، ص84.

أنظر. 14 - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص152 - 154.

- حسين مؤنس، مرجع سابق، صص68-69.

15 - ابن منظور، مصدر سابق، ج5، ص189.

16 - حسين مؤنس، مرجع سابق، صص72-74.

أنظر. 17 - الزركشي، مصدر سابق، صص373-374.

- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص75.

- GOLVIN. L, op.cit, PP73-77.

- MARTIN . H, L'art Musulman, ed : Flammarion, Paris, 1961, P26.

بالموصل من كورة بلد، والزاوية موضع قرب البصرة كانت به الموقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمان بن محمد بن الأشعث سنة 83هـ 702م<sup>19</sup>.

ولفظ زاوية كان يطلق على صومعة الراهب المسيحي (zwvia)، ثم أصبحت تطلق على المسجد الصغير أو على المصلى، وهو المعنى المنتشر للزاوية عند المسلمين في الشرق الإسلامي، أما في المغرب الإسلامي فالكلمة لها معنى أكثر شمولية إذ تطلق على بناء أو مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني، تشبه الدير أو المدرسة، وقد ذكر دوماس (Daumos) تعريفا جيدا للزاوية المغربية عام 1263هـ 1847م حيث يقول: " إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى "<sup>20</sup>، يتفق هذا التعريف في جوهره مع المعنى الحالي للزاوية فهي تضم: غرفة للصلاة بها محراب، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة مخصصة لتلاوة القرآن، وغرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة لشيوخها أو للذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها.

خلال العصور الوسطى ارتبط مصطلح زاوية في المغرب الإسلامي بالرابطة أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي ويعيش بين تلاميذه ومريديه، كما كانت الزاوية مكانا يلجأ إليه الناس هروبا من الدنيا ومركزا للحياة الدينية والصوفية ومدارس دينية ودور ضيافة مجانية، ولحد اليوم مازالت الزوايا في شمال إفريقيا سواء الموجودة في المدن أو الأرياف تمثل المقر الرئيسي أو الفروع للمرابطين أو الطوائف الدينية<sup>21</sup>. ويذهب الكثيرون إلى أن أصل الزوايا هو الرباطات جمع رباط وهي الثغور التي يتمركز بها المجاهدون لحراسة الحدود ومحاربة الأعداء ونشر الإسلام، كما ارتبطت بحركة التصوف لأن مؤسسوها متصوفون زهاد، وانتشرت الزوايا بشكل واسع في المغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس والثامن الهجري، وعرفت بعدة تسميات منها دار الكرامة عند الموحدين ودار الضيوف عند المرينيين والمعمرة في بلاد القبائل الجزائرية.<sup>22</sup>

خلال العهد العثماني عرفت الزوايا في الجزائر تطورا ملحوظا في المدن والأرياف والجبال والصحاري، حيث عاش المتصوفة ينشرون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار، ويعلمون العامة أصول الدين، وإذا اشتهر أحدهم يؤسس مركزا يعلم فيه الدين وسيقبل الزوار والأتباع؛ يعرف المكان باسم زاوية سيدي (كذا) وإذا مات يدفن فيها ويصبح الضريح علامة على الزاوية وهي علامة على الضريح<sup>23</sup>. الزاوية في معظمها تتكون من مسجد وقبة الشيخ ومبينا للطلبة الداخليين ومسكن للغرباء والفقراء، أما عمارتها جمعت بين هندسة المسجد والمنزل؛ تتميز بحيطان قصيرة وقباب منخفضة ونوافذ قليلة ومسجدها غالبا ما يكون بدون مئذنة<sup>24</sup>.

### 3 - الضريح:

جاء في لسان العرب: الضريح شق في وسط القبر، واللحد في الجانب، وقال الأزهري في ترجمة لحد الضريح والضرحة ما كان في وسطه يعني القبر، وقيل الضريح القبر كله، وقيل هو قبر بلا لحد، والضرح حفرة الضريح للميت، وضرح الضريح للميت يضرحه ضرحا: حفر له ضريحا؛ قال الأزهري سمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا<sup>25</sup>؛ هذا المعنى اللغوي للكلمة أما المتعارف عليه فهو أوسع من القبر أو شق في الأرض، بل يشمل القبر وكل المكان المحيط به، سواء أكان غرفة أو بستانا، كما استعملت مصطلحات أخرى لها نفس المدلول منها:

18 - المنجد في اللغة والإعلام، ط6، دار المشرق، بيروت، 1986، ص312.  
19 - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان المجلد الثالث، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ب ت، ص128.  
20 - أحمد الشناوي وآخرون، مادة الزاوية، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، دار المعارف، بيروت، ب ت، ص ص331 - 333.  
21 - محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن، دار الفكر، الجزائر، ب ت، ص ص30-31.  
22 - عبد الله علام، الدولة الموحدية في المغرب في عهد المؤمن بن علي، القاهرة، 1971، ص ص292-371.  
- محمد نسيب، مرجع سابق، ص ص30-31.  
23 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ق10 - 14هـ (16-20م) ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص161-164.  
أنظر: 24 - محمد حمزة إسماعيل الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي، ج1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1998، ص ص118-119.  
- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص269.  
25 - ابن منظور، مصدر سابق، المجلد الثاني، ص526.

المشهد: ويطلق على أضرحة الشهداء أو أهل البيت، المقام: المصطلح المتداول لدى الشيعة، التربة: وهو المصطلح الذي أستعمل في العصر العثماني، إضافة إلى الروضة وهو مصطلح مستنبط من الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه الرسول **صلى الله عليه وسلم**: " إن القبر روضة من رياض الجنة أو قطعة من الجحيم " كما أطلق على المكان الذي اختاره ليدفن فيه مصطلح روضة وقال **صلى الله عليه وسلم**: " وضع منبري على ترعة من ترعات الجنة، وما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة " <sup>26</sup>؛ إن هذه المصطلحات لا تستعمل لعامة الناس بل فقط لأهل البيت أو الشهداء أو ولي صالح أو إمام أو سلطان أو أمير، أي الذين يكونون محل زيارة من الناس <sup>27</sup>، والضريح غالبا ما يكون على شكل غرفة مربعة مغطاة بقبة، تبنى من الطوب أو الحجارة مع استعمال الزخارف الجصية على سطح القبة، ولقد استعملت القباب فوق الأضرحة بعد فترة طويلة من ظهور الإسلام لتعارض ذلك مع الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء عن جابر رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أن يجصص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه " <sup>28</sup>. من أشهر الأضرحة ذات القباب التي مازالت قائمة إلى الآن القبة الصليبية في سمراء، وهي ضريح الخليفة المنتصر المتوفي عام 245هـ/860م وضريح الإمام الشافعي الذي أنشئ عام 608هـ/1211م وضريح السلطنة بالقرب من تلمسان في الجزائر الذي يعود إلى القرن 07 هـ/13م وهو مبني بالطوب والقبة لها طبلية مئمنة محمولة على عقود بشكل حذوة الفرس، وأضرحة بني مرين بالقرب من فاس التي تعود للفترة ما بين 763هـ/801م-1361م-1398م؛ وقد يكون مبنى الضريح منفصلا أي موجود كبناء مستقل أو تابع لمسجد أو مدرسة، وقد يكون في مجموعة معمارية تتكون من مسجد ومدرسة وضريح وسبيل وكتاب لتحفيظ القرآن <sup>29</sup>.

#### 4 - العناصر المعمارية في العمارة الدينية

تتمثل أهم العناصر المعمارية للعمارة الإسلامية في:

أ - **المآذن**: لغة مشتقة من الأذان أي الإعلام عن وقت الصلاة، وهي لم تكن معروفة أيام النبي **صلى الله عليه وسلم** حيث جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر كان يقول: " كان المسلمون حين قدموا إلى المدينة يجتمعون، فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال الرسول **صلى الله عليه وسلم**: يا بلال قم فنادي بالصلاة " <sup>30</sup>.

منذ ذلك الوقت أصبح ينادى للصلاة من فوق أسطح عالية، ولقد اختلف العلماء في تحديد أصل المئذنة ومصدرها حيث يذهب البعض إلى أنها مشتقة من أبراج الكنائس أو أبراج الحراسة والمراقبة والبعض الآخر إلى الفنارات القديمة أو أبراج العبادة في الهند وبلاد الجزيرة والعراق <sup>31</sup>، وأول مئذنة في الإسلام هي التي شيدت من الحجر في جامع البصرة سنة 45هـ/665م ثم الأربع مآذن التي كانت لجامع عمر ابن العاص في الفسطاط عام 53هـ/673م والتي عرفت بالصوامع، ومصدر الاسم من الصوامع العالية التي كانت في المعبد الروماني في دمشق، الذي شيد المسلمون مكانه المسجد الأموي واستعملوا صوامعه الأربعة كمآذن <sup>32</sup>، ثم تأتي أقدم مئذنة في المغرب الإسلامي والتي تعتبر النموذج الرئيسي الذي سار عليه تصميم المآذن في المغرب والأندلس هي مئذنة جامع القيروان بتونس التي يرجع تاريخها إلى 105هـ/724م أو 109هـ/728م وتتمثل أهميتها في أنها تعد أقدم شكل متكامل ما يزال يحتفظ بجميع أعضائه المعمارية الرئيسية من قاعدة وجوسق وأوسط وجوسق علوي ثم القببية التي تغطيه فهي ترتفع حوالي 33م، ينتهي الجوسق الأول بشرفة تدور حول جوانبها الأربعة ويحيط بها دورة من الشرفات ذات رؤوس نصف مستديرة، ونتجت الشرفة من عمل أضلاع الطابق الذي يعلو القاعدة أقل من أضلاع القاعدة التي ترتفع 19م، ثم تأتي شرفة ثانية حول

<sup>26</sup> - محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الأيمان، القاهرة، ب ت، ج 5، ص 134.

<sup>27</sup> - أنظر. زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص 155.

- فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص 177.

<sup>28</sup> - صحيح مسلم، مصدر سابق، ج 4، ص 51.

<sup>29</sup> - أنظر. صالح لمعي مصطفى، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ب ت، ص 27 - 31.

- Marçais. G, L'architecture Musulmane, PP300-301.

<sup>30</sup> - محي الدين أبي يحيى بن شرف النووي، مصر سابق، ج 2، ص 264.

<sup>31</sup> - أنظر. زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص 144.

- GOLVIN . L, op.cit, PP51 - 52.

<sup>32</sup> - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص 155 - 159.

الطابق العلوي أو الجوسق الذي يرتفع 5م، لتأتي شرفة ثانية تدور حول الطابق العلوي الأخير الذي يقل ضلعه عن الأسفل منه وهو يرتفع حوالي 7.50م وينتهي بقببية تغطيه، غالب الظن أن هذا الجوسق العلوي أعيد بناؤه في العصر الحفصي عام 692هـ-1294م على نفس النمط، واجهاتها غنية بمختلف الزخارف، ويمكن القول أن صومعة القيروان طراز معماري محلي وليس لها أي صلة أو تأثير بالصوامع القديمة التي كانت في المعبد الروماني بدمشق مثلا، باستثناء عقد حدوة الفرس

الذي يوجد فوق الفتحات والأبواب والنوافذ<sup>33</sup>، شكل صومعة القيروان هو الأكثر إنتشارا في المغرب والأندلس مثل ما هو الشأن في منذنة الجيرالدا في اشبيلية والكتيبية بمراكش ومنذنة جامع تلمسان التي تعود كلها إلى ما قبل القرن 6هـ-12م، بل وصل إنتشارها إلى الشرق الإسلامي خاصة مصر التي عرفت عدة أنواع من المآذن أقدمها منذنة جامع ابن طولون؛ فهي بناء منفصل عن بناء الجامع، تقع في الرواق الخارجي تقوم على قاعدة مربعة ثم تأتي طبقة أسطوانية تليها أخرى مئمنة على درج خارجي في شكل حلزوني تشبه ملوية سمراء<sup>34</sup>، استمر تأثير منذنة القيروان في مصر خلال العهد الفاطمي، وهذا ما نلاحظه في منذنتي جامع الحاكم بأمر الله اللتان تعودان إلى عام 393هـ-1004م، وكلاهما يقوم على قاعدة مربعة، في أواخر العهد الفاطمي وطيلة العهد الأيوبي عرفت مصر نموذج المبخرة؛ التي تقوم على قاعدة مربعة تنتهي بشرفة مئمنة محمولة على كوابل خشبية يعلوها طابق آخر مئمن الشكل أقل ارتفاعا من السفلي بكل ضلع من ضلوعه تجويف متوج بعقد مدبب طاقيته بها قنوات مشعة وبهذا التجويف توجد فتحة معقودة بعقد ذو فصوص، يعلو المنطقة المئمنة صفان من المقرنص تنتهي بقبة مضلعة لها استطالة رأسية، تبنى بالطوب وتكسى من الخارج بالجص<sup>35</sup>.

في العصر المملوكي أصبحت المئمنة ذات قاعدة مربعة قصيرة، فوقها بدن مئمن أو مستدير ينتهي بصوف من المقرنصات تحمل شرفات الأذان ثم يأتي جوسق إما مئمن أو مستدير بجدران مصممة أو مفرغة، تنتهي بقبة ذات الشكل الكمثري، أو غطاء القلة، لذلك عرفت بنموذج القلة، وهي قليلة الزخارف بالمقارنة مع النموذج المغربي، يبقى هذا النموذج هو السائد إلى غاية العهد العثماني حيث ظهر نموذج عرف بقلم الرصاص، فهذه المآذن ذات شكل مستدير تتكون من قنوات مقعرة أو ضلوع محدبة في وضع رأسي وتحزمها عدة نطاقات أفقية بمثابة شرفات للمؤذن تحمل على صفوف من المقرنصات الدقيقة، تقسم البدن إلى عدة طوابق، هذا الأخير يقوم على قاعدة مربعة قصيرة تبدأ من مستوى الأرض وينتهي بقمة حادة رمحية في شكل مخروط يشبه نهاية قلم الرصاص<sup>36</sup>. في بلاد الشام تم اعتماد نموذج صوامع المسجد الأموي التي تقوم على قاعدة مربعة ثم بدن مربع رشيق(تحيف) بزخارف بسيطة، أما في بلاد العراق فلقد اعتمد نموذج ملوية سمراء(قاعدة مربعة ثم بدن حلزوني)، بالإضافة إلى النماذج المربعة والمئمنة والأسطوانية، غالبا ما تتكون المئمنة إما من طابقين أو ثلاثة طوابق<sup>37</sup>.

بناء المآذن يكون منفصلا أو مرتبطا ارتباطا غير عضوي ببناء المساجد على العكس بالنسبة لأبراج الكنائس التي تكون جزء لا يتجزأ من الكنيسة؛ فهي ترتفع مباشرة من مستوى الأرض وتتكون معماريا خاص بها، لذلك كانت الأكثر عرضة للتهديم عند حدوث الكوارث خاصة الأجزاء العلوية منها، وتخطيطها يقوم على قاعدة مربعة، يعلوها البدن ثم يأتي الجوسق وهو الجزء العلوي من المئمنة فيه يقف المؤذن يعلوه قبة فوقها عمود به كرات معدنية أو ذهبية ينتهي بهلال أو نجمة وهلال، داخل المئمنة نجد درج يتوسطه فراغ يقع بين الجدار الخارجي للمئمنة والدعامة المركزية التي تكون إما صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط أو تشغلها غرف كماآذن الموحدين وقد يكون الدرج خارج المئمنة مثل ما هو الشأن في ملوية سمراء، كما قد يكون لها درج مزدوج مثل ما انفردت به منذنة جامع قرطبة، وقد نجد بدل الدرج طريقا صاعدا يدور حول المئمنة حتى القمة مثل منذنة جامع المنصورة بتلمسان والكتيبية والرباط واشبيلية، يسقف الدرج بقبوات

أنظر. 33 - عبد الكريم عزوق، القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1996، ص ص47-59.  
- فريد محمود شافعي مرجع سابق، ص ص158-159.

- GOLVIN. L, op.cit, PP54-55.

- Marçais. G, L'architecture Musulmane, PP12-13.

أنظر. 34 - حسين مؤنس، مرجع سابق، ص ص114-115.

- MARTIN. H, op.cit, PP44 - 45.

أنظر. 35 - كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983، ص ص187-192.  
- زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص ص146.

36 - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص ص160-166.

37 - زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص ص148.

نصف أسطوانية أو متقاطعة، وتحتوي المئذنة على شرفة أو أكثر يقف فيها المؤذن، ارتفاع المئذنة يكون على حسب حجم المسجد فإذا كان صغير تكون متوسطة الارتفاع وإذا كان كبير تكون شاهقة الارتفاع مع مراعاة التناسب الهندسي في أشكالها من حيث طول القاعدة إلى ارتفاعها والذي يقدر بـ 5/1 أي إذا كان طول القاعدة 5م يكون ارتفاعها 25م<sup>38</sup>.

اختلفت مواد بناء المآذن حسب المناطق التي أقيمت فيها حيث بنيت بالحجر في الأندلس ومصر والشام وآسيا الصغرى وبعض مناطق العراق والطوب (الأجر) في بلاد المغرب والعراق، أما مكان تواجدها فيختلف من مسجد إلى آخر، فقد تكون في مقدمة المسجد أو مؤخرته أو على جانب منه أو في ركن من أركانها، إما مستقلة عن صحن المسجد وبيت الصلاة أو ملتصقة بالجدار الخارجي، وقد تكون واحدة أو متعددة ففي المشرق نجد أكثر من مئذنة في المسجد الواحد أما المغرب فمئذنة واحدة<sup>39</sup>. أدت المئذنة عدة وظائف زيادة عن وظيفتها الأساسية وهي الدعوة إلى إقامة الصلاة، منها مراقبة وهداية السفن في البحار والقوافل في الصحراء وإرسال الأخبار واستقبالها، والتنبيه إلى الأخطار بإشعال النيران ليلا والدخان نهاراً، كما عرفت بعدة أسماء منها: المنارة والصومعة.

**ب - القباب:** هي عنصر هام من عناصر العمارة الإسلامية في زخرفة وتصميم المنشآت المعمارية المختلفة، عرفها المعماريون في آسيا ثم انتقلت إلى الفرس واليونان فالرومان، أما المسلمون فمعرفتهم للقبلة كانت تتجلى في شكل الخيمة المرفوعة بعمد خشبية، وظهرت القبلة في العمارة الإسلامية بعد فترة من ظهور الإسلام لجهل العرب طريقة إنشاء القباب بالطوب والحجر ولأن طريقة التسقيف عندهم كانت تتمثل في الأسقف المستوية باستعمال الطوب والطين والخشب، لهذا يمكن اعتبار قبلة الصخرة التي شيّدت في العصر الأموي عام 72هـ/692م أول قبلة في الإسلام والتي كانت من تأثيرات بيزنطية<sup>40</sup>. وجدت القباب أمام المحراب في المساجد للتأكيد على أهمية المحراب مثل ما هو الشأن في محراب الجامع الأموي والمسجد الجامع بسوسة 236هـ/851م والمسجد الجامع بالقيروان 221هـ/836م ومسجد قرطبة 364هـ/975م، كما توجد في آخر البلاطة المطلية على البهو، كما هو الحال في جامع القيروان اثر الزيادات التي أضافها الزيانيون وقد تكون في طرفي الرواق الأول المقابل لجدار القبلة بالإضافة إلى القبلة التي تتقدم المحراب<sup>41</sup>.

في مصر وضعت قباب صغيرة في أركان المسجد إضافة إلى قبلة المحراب التي تكون كبيرة واستعملت في تغطية أروقة وإيوانات المساجد مثل ما هو الشأن في جامع الأقرم الذي يعود إلى العهد الفاطمي، ووضعت أيضاً فوق أبواب القاهرة مثل باب الفتوح والنصر وزويلة، وفي العهد العثماني قاعة الصلاة كلها تغطي بالقباب لتأثرها بالعمارة البيزنطية، وفي بلاد ما بين النهرين استعملت القباب في المساجد والقصور مثل قصر عمرة 94هـ/98هـ/713م و717م وقصر أخضر 157هـ/158هـ/774م و775م<sup>42</sup>. اتخذت القباب عدة أشكال تبعاً لمظهرها الخارجي؛ فهناك نصف الكرة أو جزء من كرة مدببة أو مخروطية أو بصلية أو مضلعة؛ وتحتوي غالبية أشكال القباب على طنبور (رقبة) تنظم به النوافذ، للإضاءة والتهوية ويعلو القبلة في بعض الأحيان شكل الهلال أو الفانوس<sup>43</sup>.

توجد في مصر عدة أنواع من القباب تعود إلى العصر المملوكي؛ منها قباب نصف كروية ومضلعة وأخرى بيضاوية وعرقوا أيضاً القباب الخشبية المكسوة بالرصاص ذات الزخارف الجميلة، مثل قبلة الإمام الشافعي التي تعود إلى العصر الأيوبي سنة 608هـ/1211م ونفس الأشكال تقريباً عرفت ببلاد الشام، أما بلاد فارس فانتشرت بها القبلة البيضاوية والبصلية، وفي بلاد المغرب النصف كروية وفي بعض الأحيان البيضاوية مثل ما

أنظر 38 - عبد الكريم عزوق، مرجع سابق، ص 54-56.

- زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص 146 - 150.

- فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص 158-166.

39 - زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص 144.

أنظر 40 - حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 120.

- كمال الدين سالم، مرجع سابق، ص 198-199.

41 - عبد الكريم عزوق، مرجع سابق، ص 9-11.

أنظر 42 - صالح لمعي مصطفى، مرجع سابق، ص 19-21.

- محمد حمزة إسماعيل الحداد، مرجع سابق، ص 189-190.

43 - عبد الكريم عزوق، مرجع سابق، ص 10.

هو الشأن في الجزائر مع وجود نموذج خاص انتشر في الأندلس والجزائر وهو القبة التي تتكون من قشرتين، الخارجية تكون على شكل هرمي مغطى بالقرميد، أما الداخلية فتشيد بأقواس وضلع رفيع من الأجر أو الحجر مثل قبة جامع تلمسان التي توجد أمام المحراب؛ فهي تقوم على قاعدة مربعة حولت إلى مئمن بواسطة حنايا ركنية غائرة مقرنصة تفتتح على الخارج بعقد مسنن منكسر، تتشكل القبة من اثني عشر ضلعاً كل ضلعين من هذه الأضلاع تكون نهاية واحدة هي بمثابة عقود دقيقة متشابكة، أدت إلى ظهور أربعة وعشرون ضلعاً، اثنا عشر منها ذات شكل مغزلي والباقي على شكل سهام مشعة من قمة القبة وكل ضلع يرتكز على طنف عبارة عن حلقة معمارية محفورة على شكل ربع دائرة، في وسط القبة وضعت قببية صغيرة مقرنصة، القبة في مجملها عبارة عن تخريجات جصية مع نوافذ جصية مخرمة في الرقبة تسمح بمرور الضوء والهواء إلى داخل المسجد<sup>44</sup>.

في العصر العثماني انتشرت القباب النصف كرة غير الكاملة والقباب المجتمعة أي قبة رئيسية تحيط بها قباب صغيرة أو أنصاف قباب، يتم إنشاؤها انطلاقاً من مسقط دائري أو مربع؛ في حالة المربع يتوجب تحويله إلى دائرة بإقامة مثلثات كروية في الأركان أو تعمل حنيات في الأركان في منطقة الانتقال كما يمكن أن تقام القباب على مساقط مستطيلة فيكون شكلها الخارجي ببيضاوي للانتقال من المربع إلى المئمن ثم الدائرة، يتم استعمال المقرنصات في الأركان ليتم وضع الغطاء الخارجي للقبة الذي يشكل إما من الطوب أو الحجارة أو الخشب وسطحها الداخلي يغطي بالجص المزخرف، بأشكال هندسية أو نباتية (ورقية) أو كتابية (آيات قرآنية ونصوص تاريخية)<sup>45</sup>.

**جـ - العقود: أو الأقواس؛** تعد من الابتكارات المعمارية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ العمارة، فهي عنصر جوهري إنشائي؛ كانت معروفة لكنها تطورت أكثر مع العمارة الإسلامية حيث استخدمت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إلا أن كل قطر تميز باستخدام نوع معين، والعقود التي أقبل المسلمون على استخدامها؛ العقد النصف دائري الذي انتشر استعماله في بداية الإسلام والعقد المدبب مثل ما هو موجود في قبة الصخرة الذي توجد فيه عدة نماذج منها العقد المدبب المكون من قوسين مرسومين من مركزين وضعا على جانبي المحور الأوسط للعقد ويلتقي القوسان عند قمة العقد المدببة، والنموذج الثاني يتكون من أربعة أقواس اثنين صغيرين واثنين كبيرين مماسين لهما ويلتقيان عند القمة، ترسم الأقواس من أربعة مراكز وتكون قمته منخفضة عن قمة العقد المدبب مثل ما هو موجود في جامع أبي دلف في سمراء، النموذج الثالث كثر انتشاره في العصر الفاطمي نجده في الجامع الأزهر يتكون من قوسين ومستقيمين مماسين لهما يلتقيان عند القمة وهو يشبه قاع المركب المدبب، كما استعمال المسلمون عقد على شكل نعل الفرس أو ما يسمى عقد حدوة الفرس الذي انتشر استعماله في كل العالم الإسلامي على العكس بالنسبة للعقد المدبب الذي انتشر في المنطقة الشرقية والوسطى من العالم الإسلامي<sup>46</sup>.

إضافة إلى هذه الأنواع الرئيسية (العقد النصف دائري، والمدبب وحدوة الفرس) نجد أشكالاً أخرى وهي التي أدخلت عليها تعديلات وإضافات وزخرفة فظهر العقد ذو الفصوص؛ وهو يتألف من سلسلة عقود صغيرة أو أقواس متتالية استعمال بشكل واسع في عمارة المغرب الإسلامي خاصة في العصر المرابطي والموحدي مثل ما هو موجود في جامع تلمسان<sup>47</sup>، كذلك العقود المزين باطنها بمقرنصات التي انتشرت في بلاد المغرب والأندلس (قصر الحمراء، مدارس بني مريم في فاس وأضرحة سلاطين الأشراف السعديين بمراكش)، ظهر

أنظر . 44 - عبد الكريم عزوق، مرجع سابق، ص ص 15- 16،  
- زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص ص 154- 155.

- GOLVIN . L, op.cit, P72.  
- BOUROUBA. R, L'art Musulman, P85.  
- Marçais. G, L'architecture Musulmane, P194.

45 - صالح لمعي مصطفى، مرجع سابق، ص ص 11- 12  
أنظر . 46 - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص ص 200- 201.  
- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص ص 120- 121.

- GOLVIN. L, op.cit, PP57 - 59.

أنظر . 47 - محمد الطيب عقاب، مرجع سابق، ص ص 24- 25.

- BOUROUBA. R, L'art Religieux, P104.  
- Marçais. G, L'architecture Musulmane..., P193.

أيضا العقد ذو الثلاثة فصوص انتشر خاصة في العصر المملوكي بمصر من أمثله ما هو موجود في مسجد السلطان حسن ومدرسة برقوق<sup>48</sup>.

**د - الأعمدة:** أو السواري؛ عرفت لدى المصريين القدماء الذين قسموا العمود إلى ثلاث أقسام رئيسية هي: القاعدة والبدن ثم الرأس أو التاج، حيث لا يمكن إقامة عمود دون قاعدة متينة من الحجر أو الأجر، ارتفاع القاعدة يختلف بحسب ارتفاع العمود نفسه وبدن العمود قد يكون من الرخام قطعة واحدة أو قطعا أسطوانية وقد يبني من الأجر والحجر وفي هذه الحالة يسمى دعامة غالبا ما يزوج المعماري بين العمود والدعامة، انتشرت الأعمدة والتيجان بشكل واسع مع الإغريق والرومان أما المسلمين فلقد استعملوا في البداية أعمدة نقلوها من المعابد والكنائس المخربة إلى مساجدهم مثل ما هو الشأن في جامع عمرو بالفسطاط، وفيما بعد بدأ في إنشاء أعمدة خاصة بهم، فعرفوا الأعمدة ذات البدن الدائري أي الأسطوانية وذات البدن المثمن الشكل والأعمدة المضلعة تضليعا حلزونيا وكذلك ذات التجويفات العمودية التي انتشرت بشكل واسع مع الطراز العثماني<sup>49</sup>، أما التيجان فقد عرف المصريون القدماء شكل أغصان النخلة أو زهرة اللوتس وابتكر اليونان والرومان أشكالا بديعة منها الدوري، الأيوني، الكورنثي، وعرف المسلمون أشكالا متنوعة منها: التيجان البصلية الشكل وأخرى تشتمل على صف من الوريقات النباتية المتصلة في الجزء السفلي والتيجان المكونة من مقرنصات وأخرى على شكل ناقوس؛ تتمثل وظيفتها في توسيع المساحة العليا للعمود لإقامة العقود عليها، يتم الوصل بينها بأربطة تمتد عرضا بين تيجان الأعمدة المتجاورة لترتبط بعضها إلى بعض، وتحول دون انفراجها تحت ثقل العقود أو الجدران الحاملة للسقوف<sup>50</sup>.

**هـ - الشرفات:** وحدات زخرفية من الطوب أو الحجر توضع متراسة على حافة السقف؛ تدل على نهاية البناء أصلها إيراني اقتبسها المسلمون وتقننوا في أشكالها فمنها المتدرجة والمثلثة أو على هيئة زهرات الليلق أو اللوتس المتجاورة<sup>51</sup>.

**و - المقصورة:** ظهرت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم يرجعها الكثيرون إلى العصر الأموي خاصة في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذها بعد توعد الخوارج له بالقتل، ثم انتشرت في الكثير من المساجد حتى أصبحت جزء أساسيا منها؛ وأول من استعملها في المغرب الإسلامي عبد المؤمن بن علي؛ وهي بعدة أشكال حيث كانت في البداية مجرد حواجز خشبية تحيط بجزء صغير من المسجد عند جدار القبلة لها باب خاص، إما في الجدار الملاصق لجدار القبلة أو في بيت الصلاة ثم تطورت حتى أصبحت غرفة قائمة بذاتها؛ انتشرت بشكل واسع في العهد العباسي أشهرها التي أنشأها محمد الأموي الأندلسي في المسجد الجامع بقرطبة؛ فهي عبارة عن غرفة صغيرة يمين جدار القبلة يدخل إليها من باب خاص في الجدار الأيمن للجامع والمواجه لباب قصر الخلافة يتم الوصول إليها عن طريق جسر علوي من القصر إلى الجامع<sup>52</sup>.

## ثانيا: العمار الدينية الأثرية بمنطقة الزاب

**1 - تحديد مدلول مصطلح الزاب:** أستعمل مصطلح الزاب في المشرق العربي للدلالة على زاب الموصل أو العراق وهو عبارة عن واديان ينبعان من جبال الأكراد أحدهما الزاب الأصغر بين الموصل وإربل والثاني الزاب الأكبر بين إربل وكركوك وكلاهما من روافد دجلة<sup>53</sup>، وفي المغرب يستعمل للدلالة على المنطقة التي كانت تمثل نوميديا أو بمعنى أوسع موريطانيا السطيفية كإقليم في إفريقيا في العهد الروماني حيث كانت بها عدة حصون وقلاع كما كانت مركزا للفرقة الرومانية الثالثة (Legio III) المكلفة بالإشراف على سلامة محصول القمح الوفير ومراكز زراعة الزيتون واستخراج زيتته، وهذه الحصون حولها العرب إلى مدن مثل

48 - كمال الدين سامح، مرجع سابق، ص89.

49 - حسين مؤنس، مرجع سابق، ص125.

50 - كمال الدين سامح، مرجع سابق، صص175-176.

51 - حسين مؤنس، مرجع سابق، صص127-128.

أنظر<sup>52</sup> - الزركشي، مصدر سابق، ص375.

53 - حسين مؤنس، مرجع سابق، صص129-130.

الزاب (Zabi) الاسم الذي أصبح يطلق على كل إقليم (Sitifis) (سطيف) (Thamugadi) تيمقاد وسوق أهراس (Bullo Regea) وباغاي (Bogai) ومسيلة وبسكرة وبادس... الخ، كل هذه المنطقة أصبحت تعرف بالزاب بعد الفتح العربي الإسلامي وبتحدها واسعة تشمل إقليم القبائل في الجزائر وإقليم ورسنيس إلى جنوبه ثم منطقة جبال الأوراس وكل الهضاب والغابات والسهول الواسعة والوديان التي تتبع من الأوراس وتصب في البحيرات الضحلة أو ما يعرف بالشطوط مثل شط الحضنة في الجنوب الغربي وشط ملغيع في الجنوب الشرقي، أما حدود الإقليم الغربية فهي مجرى نهر الشلف، وتسميته الزاب مشتقة من مدينة (Zabi) وهي حصن روماني في منطقة الحضنة التي تعرف حاليا بالمسيلة<sup>54</sup>، ويتفق هذا مع ما جاء به محمد البشير شنياتي الذي يذكر بأنها تقع في الواجهة الشمالية الغربية من شط الحضنة في وسط جغرافي لا يقل أهمية عن موقع طينة وأنها احدي المواقع العسكرية على الخط الدفاعي الثاني ببلاد الحضنة ( الليمس الموريطاني) وعثر بها على العديد من الآثار الرومانية من نقود وبقايا معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب، لكنه يتفرد بالقول بأن زابي كان يدعوها السكان المحليون بـ: شيلقا ولم يورد معنى لها<sup>55</sup>، ذكر إقليم الزاب من قبل الكثير من الجغرافيين والرحالة أشهرهم الجغرافي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي المتوفي سنة 284هـ-897م الذي انفرد بكلام مفصل عن إقليم الزاب حيث يقول: أن الإقليم الثالث من ولاية إفريقيا هو الزاب إضافة إلى طرابلس وإفريقية؛ فالزاب عنده بلاد واسعة تتضمن مدنا وأقاليم شتى قاعدتها طينة ويذكر من مدن الزاب: - باغايا: بها قبائل من الجند وعجم أهل خرسان وعجم من البلد من بقايا الروم، حولها قوم من البربر من هوارة بجبل جليلد يقال له أوراس يقع عليه الثلج.

- تجيس: من عمل باغايا، حولها قوم من بربر عجم ويقال لهم نفزة.  
- ميلة: مدينة جلييلة محصنة لم يلها والي قط، لها حصن دون حصن، فيها رجل من بني سليم يقال له موسى بن عباس بن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب ويتبع هذا البلد جزء كبير من الساحل شماله، عليه مراسي جيجل وقلعة خطاب واسكيدة وهذا البلد كله عامر كثير الأشجار والثمار.  
- سطيف: مدينة بها قوم من بني أسد بن خزيمة ( عمال من قبل بني الأغلب).  
- بلزمة: أهلها قوم من بني تميم، نقاوس: مدينة كثيرة العمار والشجر والثمر بها قوم من الجند وحواليها البربر من مكناسة، بطن زناتة وحوالهم قوم يقال لهم أوربة.  
- طينة: مدينة الزاب العظمى وهي في وسط الزاب و بها ينزل الولاية ومدينة يقال لها مقرة، لها حصون كثيرة...ومدينة أوربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل من بني الأغلب ولم يتجاوزها المسودة " <sup>56</sup>

من خلال ما جاء به اليعقوبي نستنتج أن الزاب إقليم واسع قائم بذاته عاصمته طينة ومقسما إلى أقسام إدارية أصغر تحت سيطرة قبيلة من العرب أو البربر المستعربة تابعين لعامل الزاب والي إفريقيا في القيروان وأحيانا يخرجون عن طاعته، إلا أن اليعقوبي لم يبين حدود الإقليم بدقة لأنه يقول آخر مدن الزاب في الغرب هي: أوربة: وهي قريبة من المسيلة التابعة لإمارة بني الأغلب التي كانت تمتد حتى مجرى واد الشلف غربا وهي تدخل أيضا ضمن إقليم الزاب، نفس الشيء نجده عند ابن حوقل الذي لم يأتي بالشيء الكثير حول الزاب ولم يذكر حتى المصطلح ولم يبين حدوده؛ رغم أنه ذكر الكثير من مدنه وأهم المسالك والطرق التي تربط بين هذه المدن ووضحها على الخريطة في إطار حديثه عن المغرب ومن المدن التي ذكرها: باغاي وطينة عاصمة الزاب آنذاك ومقرة ومسيلة وتجيس وبسكرة وتهودة وبادس ونفطة وقسطيلة... الخ.<sup>57</sup>

أنظر 54 - حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الأول، ج1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص ص21، 203.

- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص196-198.

- حمد الشناوي وآخرون، مرجع سابق، ص ص321 - 322.

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983، ص ص142-143.

- عبد المجيد حبة، تذكرة أولي الألباب بتاريخ بسكرة والزاب، مخطوط في زاوية طولقة، ص ص3-6.

- MAGUELONNE. J, Monographie Géographique et Historique de la tribu DES ZIBAN, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, V44, ed : adolphe braham, Paris, 1910.

55 - محمد البشير شنياتي، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص175-178.

56 - أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، البلدان، نشر م.ج.جويه، ط2، بريل ليدن، 1892، ص ص351.

أنظر 57 - أبي القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ت، ص ص84 - 88.

- BN HAWQAL, configuration de la terre( Kitab suratal – Ard) tome I, introduction et traduction avec index.,J.H Kramers t G.Wiet, édition,G.P.maison neuve et larose, Paris, 1964, PP137-148.

أما الإدريسي فيذكر مدن الزاب ويصفها دون أن يبين حدود الزاب الذي ذكره في قوله: " من باغاي إلى قسنطينة ثلاث مراحل \* ومن باغاي إلى طبنة الزاب أربع مراحل "58، وجاء في معجم البلدان: " الزاب كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها ويقسم إلى قسمين زاب كبير ويضم بسكرة وتوزر وقسطيلة وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس، وزاب صغير يقال له ريغ \* "59.

ونفس الحدود يذكرها ابن خلدون في قوله: " وحده (أي الزاب) من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور تنومة وبادس في الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاثم من المغرب إلى المشرق ذو ثنايا تقضي إليه من تلك الحضنة وهو أبل درن المتصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة، يعمر ذلك الجبل في محاذة الزاب من غربيه ببقايا عمرت من زناتة، ويتصل من شرقيه بجبل أوراس، المطل على بسكرة المعترض في ذلك البسيط من القبلة إلى الشمال "60، ويقول أنه متكون من عدة قرى يطلق عليها كلها اسم الزاب: " أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب أمليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى كلها "61

بعد أن رأينا إقليم الزاب في حدوده الواسعة من خلال ما ذكره اليعقوبي وابن حوقل وغيرهم والذي كان يرادف عندهم تقريبا إقليم نوميديا الروماني ككل، نجد هذه الحدود بدأت تتقلص حيث يصفه ليون الأفريقي بأنه جزء من نوميديا، ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من توقرت إلى وركلة (ورقلة)... يشمل الإقليم خمس مدن بسكرة، والبرج ونفطة وطولقة ودوسن وعدد كثير من القرى "62 أما الورتلاني فيذكر الزاب في حدوده الضيقة بقوله: " ثم كذلك إلى الزاب وهي قرية فيها جمعة وعين عظيمة عند رأس البلد وفيها تضع العرب أبقالها وهم قد طغوا عليها لا سيما أولاد دراج... فهذه القرية طيبة وأهلها فيهم الصلاح " ونضنه هنا فقد طبنة لأنه عند مواصلته الحديث يقول: " ومنها ضعنا إلى بسكرة " التي يعتبرها خارجة عن الزاب، كما يقع في تناقض لأنه يذكر ما جاء به صاحب الاستبصار ويستشهد بقوله: " وفي الاستبصار في أخبار الأمصار: والزاب كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة. "63

ويذكر عبد الرحمان الجيلالي إقليم الزاب بحدوده الواسعة حيث يعتبره القسم الخامس من المغرب العربي خلال الفترة الممتدة بين الفتح الإسلامي وزمن انتصاب دولة بني الأغلب فيقول: " والخامس من هذه الأعمال هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طبنة وتارة بسكرة، والزاب ينقسم إلى قسمين الزاب الأعلى وهو يمتد من جنوب قسنطينة إلى ساحل البحر إلى الغرب وهو تابع إداريا لولاية إفريقية أي تونس الحالية والزاب الأسفل يمتد جنوب قسنطينة إلى سفوح جبال أوراس وهو معدود من مدن المغرب الأوسط أي الجزائر "64، ونفس الحدود تقريبا يذكرها عثمان الكعاك: " الزاب هو نوميديا القديمة التي أصبحت تعرف بالزاب على عهد العرب "65

وفي دائرة المعارف الإسلامية فإنه الاسم الذي يطلق على المنطقة التي حول بسكرة وهي سهل منبسط يتلاشى شيئا فشيئا في الجنوب حتى يندرج في الصحراء لتبدأ حدود إقليم الزاب تضيق وهذا بعد

\* - المرحلة تساوي ثلاثون كلم.

58 - الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره، هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص50.

\* ريغ: كلمة بربرية معناها سبخة.

59 - ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص154.

60 - عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، 2003، ص510.

61 - نفس المصدر.

62 - الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ص2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص32، 138.

63 - الحسين بن محمد السعيد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتلانية)، مطبعة بيار فنانا، الجزائر، 1908، ص85-86، 93.

64 - عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج2، ص196.

65 - عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال لفرنسي، مراجعة وتحقيق أبو القاسم سعد الله ومحمد البشير شنييتي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص110-111.

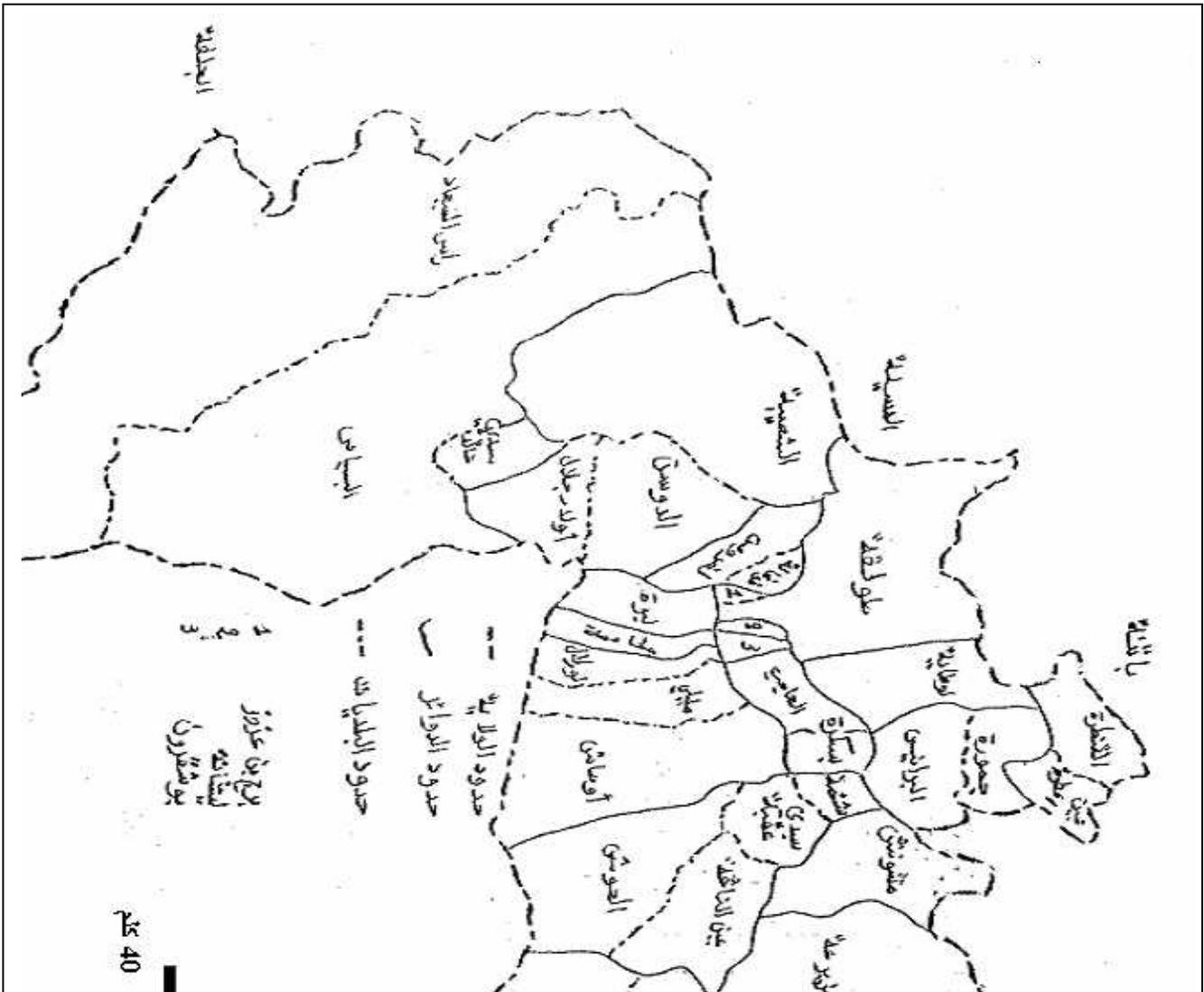
الإضطرابات التي عرفتها المنطقة بعد غزو قبائل بني هلال لها وتخریبها لينحصر الإقليم في منطقة بسكرة وضواحيها وهذا ما أشار له ابن سعيد المغربي بقوله: " مدينة بسكرة هي قاعدة بلاد الزاب "66.

والزاب اليوم هو امتداد غير فسيح عند سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء أي المنطقة التي حول بسكرة بطول 125 ميل تقريبا من الغرب إلى الشرق وما بين 30 و40 ميل من الشمال إلى الجنوب وهي عبارة عن سهل منبسط يتلاشى شيئا فشيئا في الجنوب؛ ويقسم إلى ثلاثة أقسام متصلة متقاربة: هي الزاب الظهر اوي أو الشمالي بين تلال الزاب ووادي جدي من قراه طولقة، البرج، ليشانة، بوشقرون، فارفار، فوغالة، العامري، ثم الزاب القبلي أو الجنوبي يفصله عن الشمالي شريط من الأرض الرملية وسبخات ويضم قرى: مليلي، ليوة، الصحيرة، مخادمة، بنطيوس، أورلال، أوماش، الدوسن، أولاد جلال، سيدي خالد، والقسم الثالث هو الزاب الشرقي بين سفح تلال الأوراس وشط ملغيغ من قراه سيدي عقبة أو تهودة، شتمة، الدروع، سيدي خليل، سيدي ناجي، زريبة حامد، زريبة الواد، ليانة، بادس.67

والزاب حاليا مقسم إلى قسمين فقط زاب شرقي وزاب غربي:

الزاب الشرقي: ويقع بين سفح تلال الأوراس وشط ملغيغ من قراه سيدي عقبة أوتهودة، شتمة، الدروع، سيدي خليل، سيدي ناجي، زريبة حامد، زريبة الواد، ليانة، بادس.

الزاب الغربي: ويقع بين تلال الزاب ووادي جدي من قراه طولقة، البرج، ليشانة، بوشقرون، فارفار، فوغالة، العامري، مليلي، ليوة، الصحيرة، مخادمة، بنطيوس، أورلال، أوماش، الدوسن، أولاد جلال، سيدي خالد. (الخريطة رقم: 01)



## 2 - الموقع الجغرافي والجانب التاريخي:

أ - **الموقع الجغرافي:** يقع إقليم الزاب على خط عرض ما بين 34° و 30 دقيقة، إلى 35° شمالا وخطي طول 2° إلى 3° شرقا، يحده شمالا التلال الجنوبية لجبل أحمر خدو ( جبل زر زور ) وجبال الأوراس وسلسلة تلال بوغزال التي تفصله عن سهل لوطاية ثم جبال الزاب وقممها الأساسية مثل جبل موديان، شعيمة، بوكرا صباحنا، والدخان، وفي الغرب تستمر السلسلة الجبلية بقممها المرتفعة وتبدأ من جبل الدخان إلى غاية وادي جدي فاصلة إقليم الزيبان عن إدارة عمالة الجزائر العاصمة وباقي المناطق في الدائرة، في الجنوب خط وهمي إداري يقسم المنطقة الواسعة المحصورة بين وادي جدي ووادي التل، هذا الخط يركز من جهة على وادي جدي ومن جهة أخرى على شط ملغيع، الذي في جوانبه الشمالية الغربية والشمالية تستمر الحدود الجنوبية، وأخيرا في الشرق الحدود مقطوعة مجزأة في سهل كبير يمتد بين جبل أحمر خدو والشط وهو يشتمل على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية<sup>68</sup> ، تقدر مساحة إقليم الزيبان بـ 464,087 هكتار، ويقسم طبيعيا إلى ثلاثة مناطق:

المنطقة الأولى: توجد في الشرق وهي على شكل مسرح مفتوح يحدها من الشمال والجنوب سلسلتين جبليتين متوازيتين تلتقيان في الغرب بينهما منطقة بها أراضي مستوية خصبة. المنطقة الثانية: تقع في الجنوب تحلها واحات الزيبان، وهي منطقة واسعة تنتهي عندها سفوح جبال الزاب، محمية شمالا من الرياح الباردة بمرتفعات تساعد على إيجاد ظروف حرارية قريبة من مثيلاتها في وادي ريغ، تحتوي على طبقة هامة من المياه الجوفية وهي خصبة صالحة لزراعة النخيل. المنطقة الثالثة: جد قاحلة وهي بمثابة السواحل الجنوبية للمغرب تتكون من سهول حجرية وأخرى رملية تعرف نقصا كبيرا في المياه، عندما تتأخر أمطار الفصول الباردة لا يوجد مصدر لسقي الأراضي، فالأمطار تكون في الفترة الممتدة ما بين شهري نوفمبر و ماي، مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب مياه الأودية وفيضانها، لكن بارتفاع درجة الحرارة ينخفض منسوب المياه وغالبا ما تجف، لذلك نباتها قليل يتمثل في بعض الجذور الجافة<sup>69</sup>.

في كل منطقة من المناطق المذكورة نجد فئة من السكان ذات خصائص متميزة، ففي منطقة الواحات يعيش سكان مستقرون يمارسون حرفة الزراعة والتجارة، والمنطقتين الأخرتين نجد سكان البدو الرحل الذي يمتلكون العديد من قطعان الغنم ويعيشون وماشييتهم في الأراضي الرعوية<sup>70</sup>.

## ب - الخصائص الطبيعية: وتتمثل في:

**الجبال:** يحد إقليم الزيبان من الشمال جبال تنتمي إلى السلسلة الصحراوية التي تمتد من رأس بون بتونس إلى المحيط الأطلسي باتجاه شمالي شرقي إلى جنوبي غربي في شمال تونس والجزائر وجنوب المغرب، هذه

أنظر. <sup>68</sup> - إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص142.

- MAGUELONNE. J op.cit, PP 213-214.

أنظر. <sup>69</sup> - إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص243.

- MAGUELONNE. J, op.cit, P215.

<sup>70</sup> - MAGUELONNE. J , op.cit,P216.



\* **وادي جدي**: ينبع من جبال عمور يجري بإتجاه غرب شرق يحمل في جزئه العلوي اسم وادي ماري، وهو يصب واحة الأغواط في معظم الأحيان جاف لكنه في الشتاء غالبا ما يفيض، مجراه الجاف يستمر في حوض جاف وقاحل إلى أن يصل إقليم الزاب حيث يسقي بمياهه الجوفية واحات سيدي خالد وأولاد جلال لتكون جوانبه فيما بعد مستغلة في الزراعة في الزاب القبلي، وعند الوصول إلى نقطة إلتقاء طريق بسكرة- توقرت المعروفة ببرج السعدة، يتجه فورا نحو الجنوب الشرقي ويسقي بعض أراضي السعدة وزراعات الحوش ويصب في الشط، روافده في منطقة الزيبان قليلة منها وادي بومالح ووادي مليلي<sup>72</sup>.

\* **حمام الصالحين**: على بعد 7 كلم من بسكرة يوجد منبع مائي ساخن يعرف بحمام الصالحين معروف بصفة عامة باسم النبع الساخن الذي يستخدمه الأهالي في علاج بعض الأمراض والذي عرف لدى الرومان باسم بيسينام (AD.Piscinam.)<sup>73</sup>.

**المناخ**: بصفة عامة معتدل شتاء لكنه جد حار صيفا، متوسط درجة الحرارة في الشتاء 23° وفي الصيف 48° تساقط الأمطار في المتوسط السنوي قليل وهي غالبا ما تكون في فصل الخريف والربيع ونادرا في باقي السنة، وهي غير كافية لإحياء وسقي الأراضي، وعلى العموم يسود الجفاف فلا زرع ينبت ولا مراعي وإذا جادت السماء تكون هناك أمطار قوية تؤدي إلى جريان الأودية وفي بعض الأحيان إلى فيضانها، تهب على المنطقة رياح باردة جافة تأتي من جبال الأوراس ورياح حارة جافة تأتي من الجنوب غالبا ما تصحبها زوابع ملية تعرف برياح السيروكو (الشهيلي)<sup>74</sup>.

**جـ - الجانب التاريخي**: تدل الآثار المادية المتمثلة في مستحاثات وحجارة مقلمة التي عثر عليها بمنطقة شتمة أن تاريخ المنطقة يعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل (عصور ما قبل التاريخ)، وكذلك بعض الآثار التي تعود إلى الحضارة العاترية والقفصية أي العصر الحجري القديم الأوسط، أما العصر الحجري الحديث فتمثلت آثاره بالمنطقة في رؤوس السهام الصحراوية، وبالنسبة لفجر التاريخ فلقد عثر على العديد من قبور البازيناس المدرجة بعين الحمامة بالقرب من أولاد جلال ورسوم صخرية بجبال أولاد نايل<sup>75</sup>. وفيما يتعلق بالسكان الأوائل للمنطقة، فإن الرأي المقبول عموما، أنهم من الليبيين والحيثول، وفي فترة غير معروفة شكل حلف بين الميديين والفرس والأرمن الذين غزو أراضي الأطلس، واختلطت الفرس مع السكان

أنظر 72 - محمد الصغير غانم، مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، ب ت، ص 105.

- حلبي عبد القادر، مرجع سابق، ص 70.

- مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص 39.

- أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 54.

- MAGUELONNE. J, op.cit, PP.217-220.

73 - محمد الصغير غانم، مرجع سابق، ص 23.

أنظر 74 - حلبي عبد القادر، مرجع سابق، ص 86-89.

- يسري عبد الرزاق الجوهرى، مرجع سابق، ص 461-462.

- MAGUELONNE. J, op.cit, P281.

75 - محمد الصغير غانم، منطقة بسكرة بين الموقع الإستراتيجي والنصوص التاريخية، مجلة الخلدونية، العدد 2، السنة 2003، مطبعة دار الهدى عين مليلة، رقم الصفحات، 17-24، ص 17.

الأوائل في السواحل وشكلوا شعب نوميديا وتزاوج الميديين والأرمن مع الليبيين وأنجبوا السلالة المورية، لكن نسبة كبيرة من الجيتول تمركزت في وديان الأطلس الكبير ورفضت أي تحالف وشكلت النواة الأساسية لهذه القبائل، أما عن أصلهم فالمعلومة الوحيدة المتوفرة أنهم ينحدرون من إيفيلوس (Hévilus) ابن شوس (Chus) قائد الأثيوبيين<sup>76</sup>.

\* الفترة القرطاجية: خلال السيطرة القرطاجية على شمال إفريقيا لم تخضع مملكة جيتوليا بصفة دائمة لسيطرة هؤلاء، لأن الجيتول كانوا يرفضون سيطرة الفينيقيين والاندماج مع هؤلاء الغزاة، إلا أنهم تأثروا بمظاهر حضارتهم خاصة ممارستهم الزراعة والتجارة حيث أقاموا العديد من الطرق التجارية بين الصحراء والساحل، نسجل أيضا وجود العديد من الجيتول كجنود مرتزقة في الجيش القرطاجي<sup>77</sup>.

\*الفترة الرومانية: ما يذكر حول منطقة الزيبان في العهد الروماني أنها لم تخضع لسيطرة رومانية مباشرة بل كانت مخبأ للبربر الفارين من السلطة الأجنبية، وملجأ يوغرطا بعد معاركه للإستراحة والتزود بالجنود وما يلزمهم، الشيء الذي أدى بالرومان إلى إكتشاف أهمية وإستراتيجية المنطقة وبالتالي ضرورة إحكام قبضتهم عليها، وتسنى لهم ذلك بإقامة مراكز حراسة للممرات والطرق التي تنطلق من جبال

الأوراس نحو الجنوب فأقاموا مجموعة من الحصون والقلاع التابعة لخط الليمس<sup>78\*</sup>؛ منها حصن بالقرب من وادي طاقة وثلاثة حصون أخرى بين جبل محمل و وادي عبيد وجبل الأبيض، وفي جنوب قلعة تفسرين ومنعة في ملتقى وادي عبيد وواد عمار، وباتجاه بسكرة قلعة البرانيس التي تقوم بحراسة المصب الجنوبي للوادي<sup>79</sup>، وقد تمت السيطرة على القنطرة (Calceun Herculis) والطريق الذي يربط تازولت (Lambaesis) ببسكرة (Vescera) وبمليي (Gemellae) واحتلوا منطقة وادي جدي عسكريا وأقاموا على ضفافه العديد من الحصون التي مازالت أطلالها قائمة؛ مهمتها حراسة ممرات الوادي والطريق الذي يربط بين بسكرة وأولاد جلال.

بالإضافة إلى ما ذكر نجد موقع محصن يرتفع في جبل أحمر خدو بالقرب من المنطقة المسماة حاليا كيمل (Kimel)، هذه القواعد يمكن اعتبارها مراكز الحراسة الأولى لخط باتنة (Lambasis)، خنشلة (Mascula)، تبسة (Théveste)، وعند مصب وادي الأبيض أنشئت تهودة (Thabudéos) أين عثر على العديد من الآثار التي تعود إلى الفترة الرومانية، وفي منطقة وادي عبيد التي كانت محمية من طرف بسكرة عثر في الجهة اليمنى للوادي على بقايا قلعة وبئر بعمق 20م، وعلى نقيشة أثرية تبين أن المنطقة كانت محروسة في القرن الثالث من قبل جزء من قوات نوميروس بالمرونوم (Numerus Palmyrenorum) التي كانت رابضة بالقنطرة، ومركز آخر متواجدا بلوطاية لم يبق منه أي أثر. ويمكن القول أنه بفضل هذه المراكز الجد محصنة تمكن الرومان من تقادي إندلاع ثورة كبيرة في منطقة الأوراس والجنوب، فمدينة خنشلة (Mascula) مثلا أنشئت من أجل تسيير ومراقبة الطريق من قسنطينة إلى وادي سوف ولقد عثر في غدامس (Gdames) على كتابات أثرية تدل على عبور الرومان لهذه المناطق وأنهم تجولوا بكل الصحراء التي تمت إدارتها عن طريق القواعد والحصون العسكرية<sup>80</sup>.

أنظر<sup>76</sup> - عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص ص32-33.

- عثمان الكعك، مرجع سابق، ص ص23-24.

- MAGUELONNE. J, op ;cit,p 222

أنظر<sup>77</sup> - عثمان الكعك، مرجع سابق، ص ص37-38.

- MAGUELONNE. J, op ;cit,p 223

\* الليمس: عبارة عن نقاط حراسة متنقلة ومدن دائمة وأبراج وقلاع عسكرية وحاميات ومستودعات الحبوب ونقاط الجمركة على الطرق الرئيسية والثانوية وخذق وأسوار ومزارع للجنود المسرحين؛ الهدف منه التحكم في المنطقة والقضاء على ثورات القبائل.

أنظر<sup>78</sup> - محمد البشير شنييتي، مرجع سابق، ج1، ص ص130-134.

- عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،

ص ص 49-51.

أنظر<sup>79</sup> - محمد الصغير غانم، مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، ص87.

- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، 1983،

ص ص185-186.

-MAGUELONNE. J, op ;cit PP230-231

أنظر<sup>80</sup> - محمد البشير شنييتي، مرجع سابق، ج1، ص ص134-141.

- MAGUELONNE. J, op ;cit,PP231-232

\* الفترة الوندالية والبيزنطية: بعد إحتلال روماني طويل لإفريقيا دام أكثر من 600 سنة، جاء دور الوندال الذين تمكنوا خلال أشهر قليلة من القضاء عن هذه السيطرة والاستيلاء على كل إفريقيا الرومانية بداية من عام 429م، في هذه الفترة كانت هناك العديد من الإضطرابات والثورات الداخلية<sup>81</sup>، لكن لا نجد في التاريخ شيء مميز وخاص بمنطقة الزيبان، خاصة وأن الإحتلال الوندالي كان يفتقر للتنظيم والتماسك وانعدام المؤسسات العسكرية واستخدام قوات من إفريقيا، لذلك غزوه لم يتعدى حدود الأوراس، بل يمكن القول أن هذه المنطقة (الأوراس) لم تخضع أبداً لسيطرة كاملة، حتى أنه في عهد هوميروك (Humeric) ابن جنزريك (Genséric) أعلنت نفسها مستقلة، ونفس الشيء ينطبق على منطقة الزاب، ولقد أشار بروكوك (Procoque) إلى أسماء زعماء من الأهالي حكموا المنطقة في فترة وصول بليزار (Bélisaire) إلى إفريقيا، على رأسهم أورطياس (Orthaiss) الذي كان يسير منطقة الحصنة وبلزمة والزاب، ولا نجد مراجع ولا وثائق ولا آثار تبين تأثير السيطرة الوندالية والبيزنطية على منطقة الزاب<sup>82</sup>.

\* الفترة الإسلامية: مع بدايات الفتح الإسلامي لإفريقيا في عهد عثمان بن عفان، كانت هذه الأخيرة تحت سيطرة الحاكم البيزنطي جريجوريوس المعروف عند العرب بـ (جرجير) الذي هادن البربر<sup>83</sup>، فكانت الحملة الأولى عام 27هـ 648م بقيادة عبد الله بن أبي سرح أين تفوق المسلمون على البيزنطيين بمدينة سببلة بالجنوب الغربي لتونس لتكون حملة ثانية سنة 45هـ 665م بقيادة معاوية بن حديج الذي فتح بنزرت وجزيرة جربة لتأتي حملة عقبة بن نافع الفهري مؤسس القيروان، ثم حملة أبو المهاجر دينار سنة 55هـ 675م فاتح المغرب الأوسط لتكون الحملة الثانية لعقبة بن نافع سنة 62هـ 682م حيث تم نشر الإسلام في منطقة الزاب، وكانت نهاية عقبة بن نافع سنة 63هـ 683م بتهودة إحدى مدن الزاب ليسيتر كسيلة بن لمزم على منطقة الزاب والأوراس، ورغم الإضطرابات التي كانت تعرفها الخلافة الأموية إلا أن الخليفة عبد الملك بن مروان ولى زهير بن قيس البلوي أميراً على إفريقيا سنة 69هـ 688م فأنتقم لعقبة بن نافع بقتل كسيلة سنة 71هـ 690م، ليستمر الفتح على يد حسان بن النعمان<sup>84</sup> الذي واجه الكاهنة<sup>85</sup>، وتمكن منها سنة 88هـ 701م. ويتم الفتح الإسلامي لمنطقة الزاب ويصبح من القلاع الإسلامية الهامة خاصة في عهد الأغالبة، حيث كان الزاب الأغلبي يرادف نوميديا القديمة تحت قيادة الأغلب بن سالم التميمي ثم ابنه إبراهيم<sup>86</sup> ليدخل الزاب فيما بعد تحت الحكم الحمادي ويتعرض بعدها لغزو الأعراب ويشهد التخريب والتدمير على أيديهم، ثم الحكم

أنظر<sup>81</sup> - عثمان الكعك، مرجع سابق، ص 77.

- محمد البشير شنييتي، مرجع سابق، ج 2، ص ص 378-379.

- عبد الله شريط، محمد مبارك الملي، مرجع سابق، ص ص 58-62.

أنظر<sup>82</sup> - محمد البشير شنييتي، مرجع سابق، ج 2، ص ص 414-419.

- عثمان الكعك، مرجع سابق، ص 82.

- MAGUELONNE. J, op ;cit,p233

أنظر<sup>83</sup> - عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج 1، ص 123.

- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ج 2، ص 16.

- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1998، ص 36.

أنظر<sup>84</sup> - عبد الرحمان ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، القاهرة، 1961، ص ص 266-271.

- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، 1901، ص 228.

- ابن الأثير: أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج 3، ط 5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص 309.

- ابن عذاري: أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، طبعة دوزي، 1848-1851، تحقيق إيفي

بروفنسال و ج س كولان، دار الثقافة، بيروت، ص ص 19-38.

- مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق عبد الحميد زغلول، طبعة الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 174.

- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص ص 39-45.

- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة، 1984، ص ص 150-153.

- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص ص 88-100.

- موسى لقيال، المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 61-63.

- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج 1، ص ص 130-137.

- شارل أندري جوليان، ج 2، مرجع سابق، ص ص 21.

أنظر<sup>85</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص ص 28-30.

- عبد الله شريط، محمد مبارك الملي، مرجع سابق، ص 93.

أنظر<sup>86</sup> - عثمان الكعك، مرجع سابق، ص ص 210-211.

- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج 1، ص 196.

- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ج 2، ص 61.

الموحدي لتأتي فترة الحكم العثماني بداية من القرن السادس عشر ليستمر مدة ثلاثة قرون، حيث كانت كل قبيلة أو قرية من قرى الزاب تسير من قبل الشيخ وكان القائد وشيخ العرب يستقران ببسكرة وهما ممثلا الباي، وكانت أسرتي بوعكاز وبن قانة تتداولان على تمثيل السلطة العثمانية، ومما يذكر للأتراك في المنطقة خاصة في عهد صالح باي قيامهم بتنظيم السقي (المياه) وحث الناس على ممارسة الزراعة<sup>87</sup>، لينتهي عهدهم بدخول الإحتلال الفرنسي.

تشتمل منطقة الزاب على مجموعة من المباني والعمائر ذات طرز معمارية مختلفة موعلة في التاريخ بحيث تعود إلى القرن الثاني هجري الثامن ميلادي، وهي حسب أهميتها:

### 3 - المساجد:

بمنطقة الزاب مساجد أثرية هامة منها ما اندثر نهائيا ومنها ما هو في طريق الإندثار ولو جزئيا، البعض منها يعود إلى فترة قديمة والبعض الآخر إلى فترات متأخرة نذكر منها: جامع سيدي عقبة الموجود بمدينة سيدي عقبة الحالية (تهودة قديما) يعتبر أقدمها، فهو يعود إلى القرن الثاني هجري الثامن ميلادي؛ حالته جيدة بعد الترميمات والتوسيعات التي عرفها في عدة مرات، وجامع سيدي موسى الخري بعاصمة منطقة الزيبان حاليا بسكرة.

ومسجد سيدي عيسى بقرية بوشقرون قرب بسكرة ( الصورة:01، ص01) والجامع العتيق بأولاد جلال اللذان تهدما اثر الفيضانات التي عرفتها المنطقة سنة1389هـ1969م ولم يبق سوى مؤذنتيهما بالإضافة إلى صور تذكارية محفوظة في كتاب المساجد في الجزائر<sup>88</sup>، ( اللوحة:01، ص02) ومسجد الدوسن الذي مازال قائما<sup>89</sup>، ومسجد سيدي الحافي ( الصورة:02، ص03)، الذي يقع بالقرب من جامع سيدي عقبة؛ حالته سيئة، والجامع العتيق ببرج بن عزوز الذي يعود إلى العهد العثماني.

ولعلى أول ملاحظة يمكن تسجيلها على مساجد الزيبان بساطتها الهندسية التي تذكرنا بجامع الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، والملاحظ أن كل المساجد السابقة تحتوي على مؤذنة مربعة تضيق كلما ارتفعت، بها فتحات صغيرة لإنارة السلم الداخلي، مواد بنائها محلية تعكس مدى أصالتها وتميزها<sup>90</sup>؛ تقوم على جذوع النخل وأعمدة من الخشب وجدرانها من اللبن وفي البعض منها الحجر.

### 4 - الزوايا:

عرف المغرب الأوسط ظهور الزوايا على غرار بقية مناطق المغرب الإسلامي؛ وكانت بمثابة معاهد لتعليم وتنوير العامة ورباطات جهادية ضد الأعداء، وبناء الزاوية يختلف عادة عن بناء المسجد والمدرسة فهي كثيرا ما تجمع بين هندسة المسجد والمنزل، وإذا كان للزاوية مسجدا فإنه في الغالب بدون مؤذنة، كما توجد قاعة للدرس وغرف للطلبة ومكان للطبخ وآخر لإستقبال الضيوف<sup>91</sup>.

ومن زوايا الجزائر نذكر: زاوية عبد الرحمان الثعالبي وزاوية عبد القادر الجيلاني بالجزائر العاصمة، وسيدي الكتاني وسيدي عبد المؤمن بقسنطينة، وسيدي بومدين وسيدي الحلوي بتلمسان، والهامل ببوسعادة، وتكثر الزوايا خاصة في منطقة زاوية وبجاية مثل زاوية تيزي راشد وزاوية الشيخ محمد التواتي وزاوية الأزهري وزاوية ابن علي الشريف...، أم أشهر زوايا منطقة الزاب نجد:

زاوية محمد بن عزوز البرجي بقرية برج بن عزوز التي اندثرت بإنتقال أحفاده إلى نفطة بتونس ولم يبقى منها إلا ضريحه، وزاوية عبد الرحمان الأخضرى بينطوس التي كان لها نفس المصير. وزاوية خنفة سيدي ناجي التي مازالت قائمة لكن كأطلال ما عدا مسجدها الذي مازال يستغل للعبادة. وزاوية علي بن عمر الطولقي (العثمانية) مازالت من المعالم الحضارية والثقافية القائمة المميزة للمنطقة.

أنظر .<sup>87</sup> عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج3، ص62.

- MAGUELONNE. J, op ;cit,PP 241-242

<sup>88</sup> - المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، مطبعة التاميرا، مدريد، اسبانيا، 1970، ص ص70-73.

<sup>89</sup> - نفس المرجع، ص72.

<sup>90</sup> - حسين مؤنس، المساجد، ص198.

<sup>91</sup> - ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص169.

وزاوية الشيخ المختار الجيلالي (المختارية) مازالت هي أيضا من المعالم الحضارية والثقافية القائمة المميزة للمنطقة.

## 5 - الأضرحة:

على غرار باقي مناطق الجزائر أنتشرت الأضرحة في منطقة الزاب ( الخريطة رقم:03)، فهي إما أضرحة لمؤسسي الزوايا الدينية أو أضرحة للأولياء الصالحين، وما يميز بعضها أنها عبارة عن مساجد مآتمية صغيرة سقوفها من أخشاب النخيل، بها أقواس بسيطة وركائز متينة، جدرانها سميكة بزوايا خالية من كل حدة، تشتمل على قباب مختلفة الأشكال منها المخروطي والمخروطي الحاد أو على شكل قوس منكسر أو النصف كروي، تنتهي جدرانها في كل زاوية بشرفات متدرجة أو ما سماها جورج مارسى بالهرم المقطوع<sup>92</sup>؛ نذكر منها: (اللوحة:02، ص04) و(الصورة:03، ص05)

ضريح (قبة) سيدي مبارك بن قاسم بن ناجي، بخنقة سيدي ناجي، وضريح سيدي حسان بن كوفي الذي تعود أصوله إلى منطقة الحجاز وهو شخص ذو كرامات حيث يقال أنه أعاد جريان المياه في وادي العرب الجاف في معظم الأوقات،

وفي منطقة الحوش وعند مصب وادي جدي في شط ملغيغ نجد أضرحة سيدي بوناب وسيدي بومسعود وسيدي دحمان وسيدي محمد الصالح وكلها ذات قبة بشكل مخروطي حاد، وفي منطقة سيدي عقبة نجد قبة نصف كروية فوق ضريح الفاتح عقبة بن نافع،

وفي وادي بسكرة نجد قبوتين بنفس الشكل إحدهما في الجهة اليسرى للوادي على ضريح ولي العالية والثانية في الجهة اليمنى للولي الصالح سيدي زرزور، نفس الطراز يتكرر في ضريحي سيدي غزال وسيدي لحسن ( الصورة:04، ص06) الموجودان جنوب وادي ببسكرة، أما ضريح أبو الفضل فهو ينتهي بقبة على شكل قوس منخفضة قريبة من الشكل النصف كروي.<sup>93</sup>

وفي منطقة الزاب الغربي نجد ضريح سيدي مغزي، وفي فارفار ضريح بقبتين ( الشكل رقم:01) واحدة ذات شكل مخروطي حاد والثانية قريبة من الشكل النصف كروي، الأولى تغطي الضريح والثانية تغطي القاعة التي تتقدمه.

وفي شمال شرق طولقة نجد ضريح سيدي رواق ذو القبة المخروطية؛ وفي البرج وفوغالة نجد أضرحة سيدي رحال وسيدي العمري وسيدي تازمور وسيدي العلوي؛ وفي الزاب القبلي مليلي وضواحيها نجد ضريح سيدي عبد الرحمان الصغير بن لخضر(عبد الرحمان الأخضر) وسيدي عثمان،

وفي أولاد جلال مجموعة من الأضرحة بقباب مخروطية الشكل منها ضريح سيدي لخضر وسيدي الصالح؛ وفي سيدي خالد نجد ضريح مميز على الضفة اليمنى لوادي جدي وهو ضريح النبي خالد الذي سنتناوله ضمن دراستنا<sup>94</sup>

نصل إلى القول أن أضرحة منطقة الزاب بسيطة في بنائها؛ تتكون إما من غرفة واحدة مغطاة بقبة وإما من غرفتين، غرفة الضريح وغرفة تتقدمها قد تكون مغطاة بسقف مستوي أو قبة منخفضة أو مكشوفة بمثابة صحن للضريح.

وأضرحة الزاب غالبا ما تطل بالجير الأبيض ومواد بنائها بسيطة ومحلية ويوجد تشابه كبير بينها وبين أضرحة منطقة الجريد خاصة نفطة في الجنوب التونسي<sup>95</sup>، ويرى جورج مارسى أن هذه الأشكال وصلت إلى الجزائر عن طريق تنقل البدو الرحل وعلاقتهم بالدول المجاورة خاصة مصر والسودان أين يوجد الكثير منها<sup>96</sup>.

أنظر .<sup>92</sup> - المساجد في الجزائر، مرجع سابق، ص75.

- حسين مؤنس، المساجد، ص199.

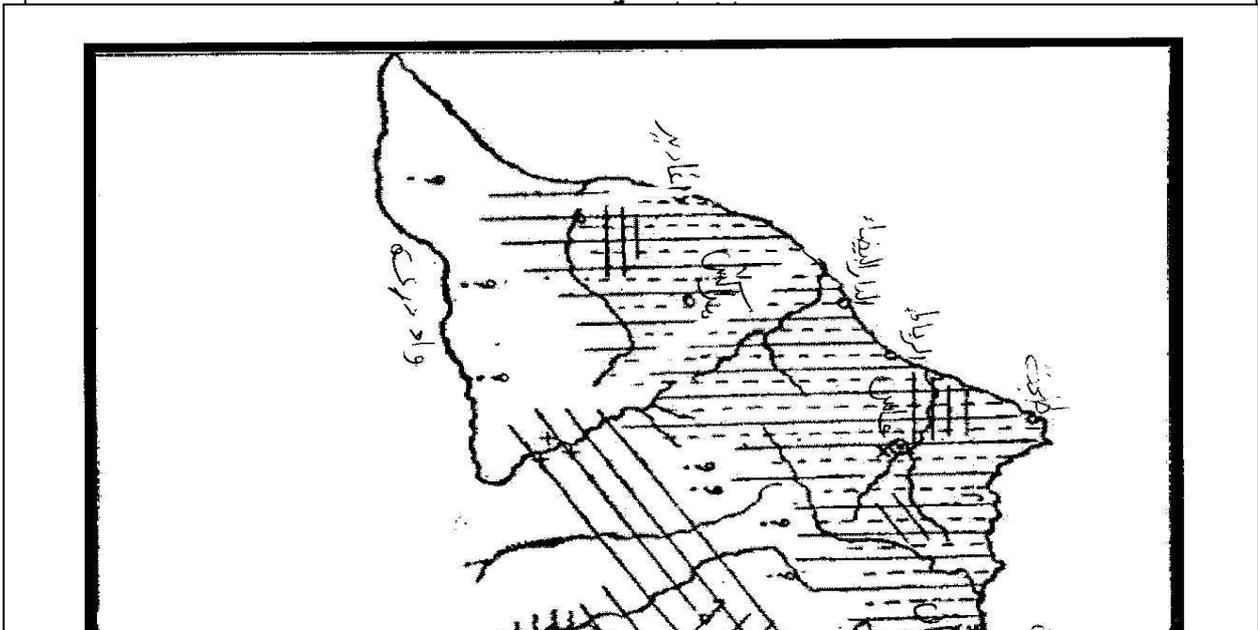
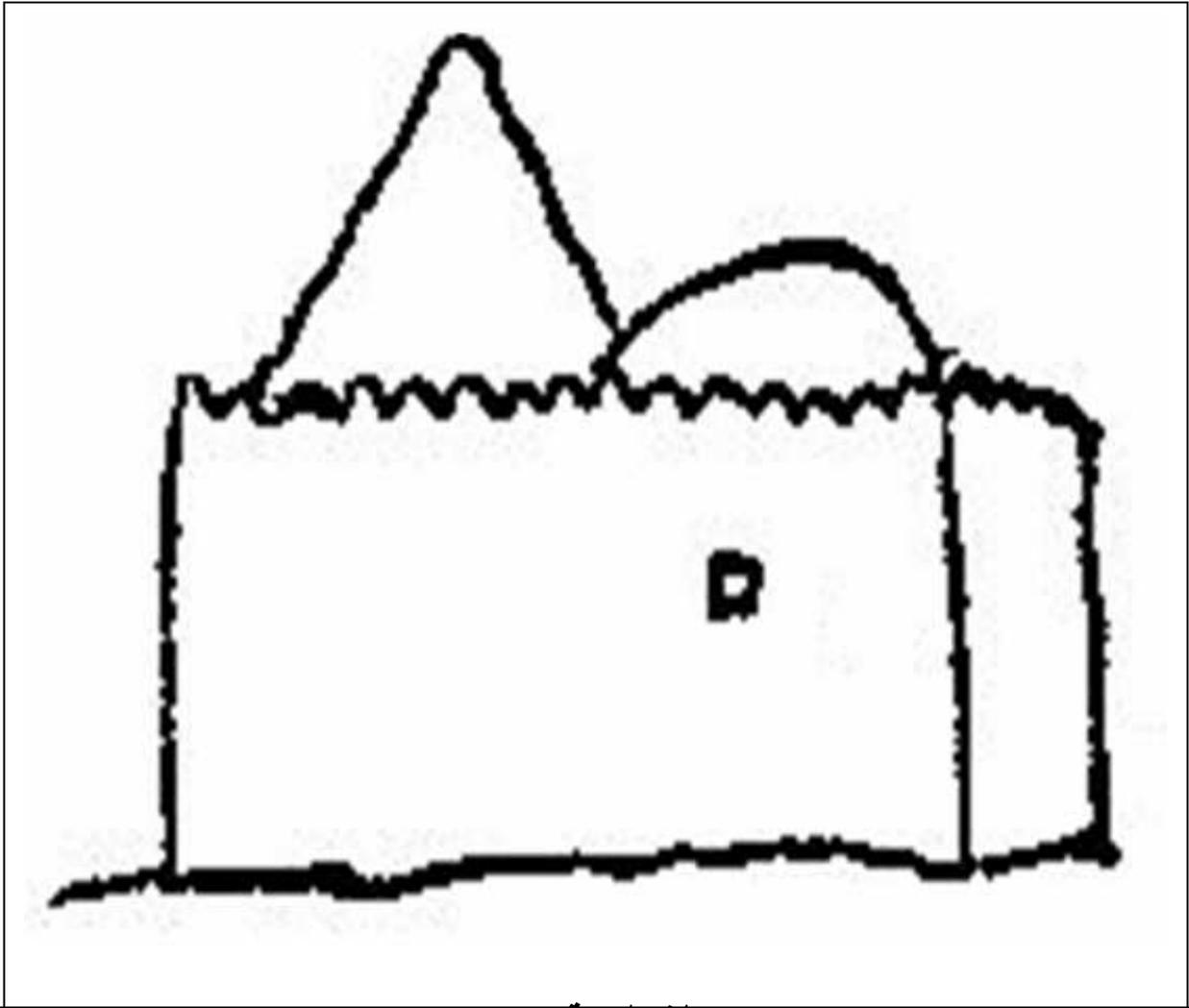
- Marçais. G, L'architecture Musulmane..., PP436-437.

<sup>93</sup> - Cauvet.c, Les marabouts, petits monuments funeraire et votif du nord de l'Afrique, Revue Africaine, N°64/1923,OPU, Alger, PP455-456.

<sup>94</sup> - Couvet. c , op.cit, PP458-459.

<sup>95</sup> - Ibid , P 454.

<sup>96</sup> - Marçais.G. L'architecture musulman .....,PP436-437



# الفصل الثاني

## المساجد الأثرية بمنطقة الزاب

### تمهيد:

تطلبت العقيدة الإسلامية منذ عهدنا الأول إقامة المساجد؛ ( في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال )<sup>97</sup>، فبنى الرسول صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ثم مسجده بالمدينة المنورة، وسار الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعين على نهجه، وبانتشار الإسلام انتشرت المساجد ركيزة هذا الدين؛ وتنوعت عمارتها وارتبطت باختلاف المكان والزمان، والزاب منطقة كغيرها من المناطق الإسلامية تضمنت في أحضانها منذ الفتوحات مساجد متنوعة، منها ما هو أطلال وشواهد ومنها ما هو قائم يستغل لحد الآن مجلا من قبل المؤمنين لقدمه كمسجد أثري ( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين

<sup>97</sup> - الآية 36 من سورة النور، برواية ورش.

(98، وسنحاول في هذا الفصل التطرق بالدراسة والوصف والتحليل لجامع سيدي موسى الخذري بالمسيد بمدينة " بسكرة " والجامع العتيق ببرج بن عزوز.

## أولا: جامع سيدي موسى الخذري

### 1 - موقع الجامع وتاريخ إنشائه

أ - الموقع: بما أن الجامع هو مركز الإشعاع الديني والثقافي والاجتماعي اتجهت إليه كافة الشوارع والطرق؛ وهذا ما يفسر أنه المركز الرئيسي بل النواة التي شيد على أساسها الحي، فقد أحاطت به الكتاتيب والساحات الواسعة لتجمع السكان، فجامع الخذري يوجد وسط حي لمسيد داخل غابات النخيل بالجهة الجنوبية الشرقية لمدينة بسكرة<sup>99</sup> عند نقطة تقاطع خطي طول وعرض (س،ع) = (175، 177.50) ( الخريطة رقم: 04، الملحق 01 )

وبسكرة \* مدينة تقع في جنوب الجزائر بإقليم قسنطينة وتدعى ملكة الجنوب وهي من أشهر الواحات الجزائرية، كانت عبارة عن قرية بربرية عتيقة عرفت أيام الرومان باسم فيسيرا (vescera) أستخدمت كأحد المراكز الحربية التابعة لخط الليمس المخصصة لحماية الزاب، تقع على الضفة اليسرى لوادي بسكرة بحوالي 300م يسار طريق سيدي عقبة الحالي<sup>100</sup>، وخلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين ازدهرت الديانة المسيحية بمدينة فيسيرا حيث كانت مركزا لأسقفيتين أحدهما كاثوليكية والثانية دوناتية شاركنا في المؤتمر الكنسي الذي عقد بقرطاج (تونس) سنة 411م، ولقد عثر على الكثير من الآثار المادية التي تؤكد كون المدينة حصنا هاما من الحصون الرومانية منها: آثار وجود حمامات وحجارة منحوتة، وغير بعيد عن الحصن التركي توجد عدة جدران مبنية بالحجارة المنحوتة، وفي المنطقة الواقعة بين العالية وفلياش وجدت مقبرة واسعة تتكون معظم قبورها من جرار تشتمل على بقايا رماد وعظام موتى، وفي شمال المدينة عثر على عدة مرافق كانت تلعب دورا فعالا في اقتصاد المنطقة تتمثل في معاصر الزيت وأحواض صناعة الفخار<sup>101</sup>.

98 - الآية 18 من سورة التوبة، برواية ورش.

99 - محمد فاضل بن الشيخ الحسين، البيئة الحضرية في مدن الواحات وتأثير الزحف العمراني على توازنها الإيكولوجي، رسالة دكتوراه دولة في العمران، جامعة قسنطينة، 2001، ص 263.

\* ضبطها ياقوت الحموي في معجمه، المجلد 1، ص 422 كما يلي: بكسر الكاف وراء قال هي بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقصب جيد، بينها وبين طينة مرحلة، هكذا ضبطها الحازمي وغيره يقول: بسكرة بفتح أوله وكفاه. أنظر<sup>100</sup> - ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص 126.

- توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 185.

أنظر<sup>101</sup> - محمد الصغير غانم، مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، ص 25-27.

ذكرت بسكرة في كتابات المؤرخين والرحالة العرب خلال فترة العصور الوسطى منهم ابن حوقل الذي حدد فقط المسافات دون إعطاء أي تفاصيل بقوله: " من طبنة إلى بسكرة مرحلتان ومن بسكرة إلى تهودا مرحلة " <sup>102</sup>، أما عبيد البكري فقد وصفها بالبلدة الكبيرة الحسنة ذات الرخاء الواسع والأهمية الكبرى حيث يقول: "...بسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار وهي مدينة مسورة، عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور... " ثم يردف قائلا: " وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق المذكور وببسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث سكانها المولدون وحولها من قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة...، داخل مدينة بسكرة أبار كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لا تنزى وداخل المدينة جنان يدخل إليه الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع منه الملح كالصخر الجليل...تعرف ببسكرة النخيل...ومن مدنها مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي ومدينة بنطوس وهي من بنيان الأول، وشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها منحدر من جبل أوراس " <sup>103</sup>، ومن جهته أشار الشريف الإدريسي لبسكرة بقوله: " ومن نقاوس إلى المسيلة أربعة مراحل وقيل ثلاث ومن مدينة نقاوس أيضا إلى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وفيه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة " <sup>104</sup>، أما ابن خلدون فيعتبرها قاعدة وطن الزاب وأنها أم كل قرى الزاب ويعطي لمحة تاريخية عن أهم الأسر التي حكمتها خاصة أسرة بني مزني ولمحة جغرافية؛ بأنها موجودة في سهل منخفض وذات امتداد واسع ومحصنة طبيعيا بالجبال التي تحاذيها. <sup>105</sup>

وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي وصفها حسن الوزان (ليون الإفريقي) وصفا مغايرا خاصة من الناحية الاقتصادية فهو يعتبرها أهم مدن الزاب إلا أنها كانت تعيش في فقر وفوضى بقوله: "...بسكرة مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر وخربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي وسورها من الأجر النبي، أما السكان فمؤدبون لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر، وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرون، فكانت مدة خاضعة لملك تونس حتى وفاة الملك عثمان، فثارت المدينة حينئذ بإيعاز من إمامها الذي نصب نفسه أميراً عليها ولم يستطع ملك تونس استرجاعها منذ ذلك الحين " <sup>106</sup>، نرى أن ما جاء به حسن الوزان صحيح لكن تفسيره لفقر المدينة الذي أرجعه إلى أن أراضيها لا تنتج شيئا غير التمر خاطئ؛ لأن التاريخ والأدلة المادية تثبت العكس فالمدينة بها أراضي خصبة واسعة، وفي عهد الرومان كانت تنتج الحبوب والزيتون الذي لا يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء وبقايا المعاصر الموجودة في شمال المدينة تدل على ذلك، ولولا أهميتها الاقتصادية لما كانت حصنا هاما من الحصون الرومانية، كما أن موقعها إستراتيجي وتجاري، وما لاحظته الوزان من فقر نعتقد أنه يعود إلى حالة عدم الاستقرار التي كانت تعيشها المنطقة وغارات القبائل العربية التي ألحقت بها الكثير من الخراب.

أما الورتلاني فيذكر أنها كانت مدينة عظيمة البنيان، إلا أنها خربت بسبب الفتنة التي وقعت بين سكانها وحكامها حتى انقسموا على أنفسهم وساعد هذا على دخول الأتراك الذين شنتوا أهلها وبنوا بها برجين لتثبيت سلطتهم ونفوذهم وهذا من خلال قوله: "...كثيرة المياه داخل بيوتها، فكل شخص عنده ساقية من الماء تجري وهو حلو كالعسل، ونخلها عظيم وغلثها كثيرة وتوجد فيها أشجار الزيتون بكثرة...غير أن المدينة القديمة خربت وسبب ذلك فتنة بين أهلها، فأدخلوا الترك فأهلكوها إلى درجة أن الناس قد خرجوا إلى البساتين فشيّدوا بيوتهم هناك منذ ذلك العهد إلى الآن...وفي بسكرة برجان للترك عامران أحدهما في البلدة والآخر خارجها " <sup>107</sup>، ورغم النهب الذي تعرضت له بسكرة من طرف الأتراك وغارات القبائل العربية إلا أنها احتفظت ببعض أهميتها بسبب رخاء الواحة وكونها محط تجاريا وهذا ما نستشفه مما جاء به الرحالتان العياشي والزياني؛ فالأول يقول: "...هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران فيها، قد جمعت بين التل والصحراء ذات نخل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها وأرحاء متعددة تطحن بالماء ومزارع حناء إلى غير ذلك...وبالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا

<sup>102</sup> - ابن حوقل، مصدر سابق، ص87.

<sup>103</sup> - أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشره دوسلان، المطبعة الحكومية، الجزائر 1857، ص ص51- 52.

<sup>104</sup> - الشريف الإدريسي، مصدر سابق، ص66.

<sup>105</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ص ص510- 511.

<sup>106</sup> - الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، مصدر سابق، ص ص138- 139.

<sup>107</sup> - الورتلاني، مصدر سابق، ص ص86- 87.

وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش إلا أنها ابتليت بتحالف الترك عليها وعساكر الأعراب " 108 ، أما الثاني فلم يأتي بجديد حيث قال: "...مدينة بسكرة من حساب عالة الجزائر وهي من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين النل والصحراء وبها مساجد معتبرة البناء وأحملها تحت قهر الأتراك ومذلة العرب " 109 .

ورد أسم بسكرة في المصنفات العربية في سياق إخماد الثورة التي قام بها أهل الزيبان عام 251هـ-865م ضد الأمير أبي عبد الله محمد الأغلبي؛ وقد سلمت المدينة دون مقاومة للقائد أبي خفاجة الذي أرسل للقضاء على هذه الفتنة، وفي عهد بني حماد كان يحكمها مجلس من رؤساء البلد وأعيانهم من أسرة بني رومان التي كانت أكبر عددا وتمتلك معظم الأراضي المجاورة للمدينة، إلا أن هذه الأسرة بقيادة جعفر ابن رومان حاولت التمرد على بلكين بن محمد إلا أنها فشلت وسجن جعفر والمتآمرون معه في قلعة بني حماد حيث قتل لنتنقل السيادة إلى بني سندي الذين كان لهم من النفوذ والسلطان ما تمكنوا به من صد العرب الهلالية وظلوا في الوقت نفسه موالين لبني حماد إلى أن قضى الموحدون على هذه الدولة. 110

وبسقوط دولة بني حماد انتقلت بسكرة إلى الموحدين حيث نجح يحي بن غانية في الاستيلاء عليها عام 598هـ-1201م وفقدتها لمدة ثلاث وعشرين سنة ليستعيدها بعد ذلك عام 621هـ-1224م، وبنفكك دولة الموحدين وانهارها وقعت المدينة في قبضة بني حفص أصحاب تونس ممثلة من قبل أسرة بني مزني لتتحرر من سيطرة الحفصيين في أوائل القرن السادس عشر وتبقى مستقلة حوالي ثلاثين سنة ليتمكن حسن أغا من السيطرة عليها عام 948هـ-1541م وينصب بها حامية تركية وشيد حصنا، ويبقى الوضع بهذا الشكل إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث كانت في الفترة ما بين 1245هـ و1256هـ/ 1830م و1840م تحت سيطرة أسرة بو عكاز وبنو كنة ليسيتر عليها الأمير عبد القادر وينصب الحسن بن عزوز خليفة عليها وفي عام 1260هـ-1844م أحتلها الجيش الفرنسي بقيادة الدوق دومال ويتم اتخاذها كقاعدة عسكرية من قواعد الجنوب تحت الحكم العسكري المباشر. 111

**ب - تاريخ إنشائه: (اللوحة رقم: 03، ص 07)** لم نقف على تاريخ محدد لإنشاء هذا الجامع، لكن هناك بعض الإشارات والدلائل المادية والتاريخية التي تمكننا من إرجاع تاريخ إنشائه إلى الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والثالث هجري الثامن والتاسع ميلادي؛ تتمثل في:

\* الطراز المعماري ومواد البناء ووسائل الدعم وخشب النخيل الذي سقف به الجامع والمستعملة في جامع سيدي عقبة الذي رجحه الكثير من الباحثين أنه أسس في الفترة الممتدة بين عودة الفتح الإسلامي إلى إفريقية ونهاية حكم أسرة الفهريين سنة 140هـ-758م؛ أي فترة القرن الأول والثاني الهجري، لذلك لا يستبعد أن يكون تأسيس هذا الجامع في فترة قريبة من تاريخ تأسيس جامع سيدي عقبة 112

\* ذكر أبو عبيد البكري الجامع عند وصفه لمدينة بسكرة: "...وبها جامع ومساجد كثيرة..." 113 ، وبما أن أبي عبيد البكري توفي سنة 487هـ-1094م؛ نستنتج أن تاريخ بنائه يعود إلى ما قبل ذلك.

\* يمكن القول أن هذا الجامع أسس في أواخر عهد الدولة الأغلبية التي كانت ما بين 184هـ و296هـ/ 800م و909م حيث يذكر عبد الرحمن الجليلي: "...كانت ولاية إفريقية الشمالية بأواخر القرن الثاني الهجري تحت إمرة محمد بن المقاتل العكي؛ فهو الذي كان يومئذ أميرا بالقيروان وبيده زمام هذه الولاية العربية بإفريقيا وكان لسوء سلوكه مع الرعية واستبداده وجوره أن كرهه الناس وثاروا ضده سنة 183هـ-799م... فخرج يومئذ

أنظر. 108 - مخطوط الرحلة العياشية، نسخ أحمد بن أحمد الوئيس النابلي، 1198هـ، ( موجود بمكتبة زاوية علي بن عمر طولقة).

- أبي سالم العياشي، ماء الموائد (الرحلة العياشية)، تحقيق محمد حجي، ج2، ط2، دار الغرب، الرباط، 1977، ص409.

109 - أبو القاسم الزياتي، الترجمة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه عبد الكريم فلالي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1967، ص150.

أنظر. 110 - ابن خلدون مصدر سابق، ج6، ص514-517.

- عثمان الكعك، مرجع سابق، ص110-111.

- عبد الرحمن الجليلي، مرجع سابق، ص196.

أنظر. 111 - ابن خلدون مصدر سابق، ج6، ص514-517.

- إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص148 - 149.

- محمد مبارك الملي، مرجع سابق، ص737 - 738.

- يفر (G. YVER)، بسكرة، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد3، دار الشروق، ب ت، ص636 - 639.

112 - عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة غير منشورة، تخصص الآثار الإسلامية، جامعة

الجزائر، 1985، ص20.

113 - أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص52.

على مدينة طنبنة عاصمة الزاب الجزائري مستنجدا بعاملها إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي "، ويذكر أيضا أن المغرب العربي منذ عهد الفتح الإسلامي إلى زمن انتصاب هذه الدولة كان منقسما إلى خمسة أعمال هي: " طرابلس...، وقسطنطية...، وتونس...، وبلاد السوس أو المغرب الأقصى...، والخامس من هذه الأعمال هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طنبنة على بعد ثلاثة أميال جنوبي بركة وتارة بسكرة " <sup>114</sup>

وهذا الجامع الأقدم في مدينة بسكرة بل هو ثاني أقدم الجوامع بمنطقة الزيبان بعد جامع سيدي عقبة، ويعتبر من العمائر الهامة خلال العهد العثماني وهذا ما نستشفه من وصف الرحالة العياشي في قوله: " ودخلنا المسجد وطلعنا مؤذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرين درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء " <sup>115</sup> ، كذلك الورتلاني: " وهذه المدينة كانت قاهرة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك، فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها (وفي موضع آخر يقول): مع دخولنا المسجد الجامع الأكبر الواسع ذي البنيان الشامخ فلم يوجد في ما علمت أحسن منه ولا أوسع ولا أعظم في المساجد المعلومة " <sup>116</sup> نفس الوصف يورده أبو القاسم سعد الله عند حديثه عن بسكرة خلال العهد العثماني مع اختلاف بسيط في عدد درجات المؤذنة حيث يقول: " أما بسكرة فقد عرفت بجامعها الواسع المتقن البناء ذي المؤذنة الطويلة البالغة مائة وأربعين درجة " <sup>117</sup>

بالنسبة لتسميته بموسى الخذري فإننا نجعل كل شيء عنها، ما عدا أنه مدفون به ولا نعلم إن كان هو مؤسسه ؟

أو أنه أنشئ ثم نسب إليه ؟ لكن ما هو متداول لدى المشرفين على الجامع ؟ أن الخذري من قبيلة الخذران جمع خذري والخذرية المنحدرين من فرقة الرياح الفرع الثاني من بني هلال بني عامر وأنه من التابعين، وحجتهم في ذلك ما ورد في الوثيقة التاريخية التي عثر عليها في جدار صومعة الجامع وقت هدمها لإعادة بنائها سنة 1140هـ/1727م وحفظت في خزانة الجامع (الملحق رقم:02)؛ (الصورة:05، ص08) والتي جاء فيها لفظ التابعي: " هذا هو القرار التاريخي بإعادة بناء منارة المسجد المبني من طرف المجاهد تابع صحابة رسول الله مولاي سيدي موسى الخذري " ويمكن أن يكون من الأولياء الصالحين الكثيرين بالمنطقة مثل ما دلت على ذلك الكتابة الموجودة عند مدخله والتي جاء فيها (اللوحة:04، ص09): " هذا مسجد الولي الصالح سيدي موسى الأخذاري " ، إلا أننا نرجح الرأي الأول على اعتبار أن الفترة التي أسس فيها كانت قريبة من الفتح الإسلامي للمنطقة، وعلى غرار احتضان منطقة تهودة غير البعيدة عن مدينة بسكرة لرفاة 300 شهيد من أصحاب وأتباع الفاتح العظيم عقبة ابن نافع، نعتقد أن يكون الخذري من التابعين، أما ما ذكر عند مدخل الجامع ووصفه بالولي الصالح فهذا مرتبط بالفترة الزمنية التي وضعت فيها هذه الكتابة حيث انتشرت الطريقة والمرابطين بشكل واسع واستعملت الكثير من المصطلحات المماثلة.

وبما أن الجامع قديم فأكيد أنه أصلح ورمم عدة مرات لكن ما هو موثق منها قليل ويعود إلى فترات تاريخية متأخرة؛ منها العثمانية وهذا ما جاء في الوثيقة التاريخية التي تعود إلى 1140هـ/1727م السالفة الذكر، والتي تبين أن الجامع رمم بإعادة بناء منارته التي تكون قد تهدمت إما بفعل ظروف طبيعية أو لهشاشة مواد بنائها وإما بسبب الاضطرابات التي تعرضت لها المنطقة في الفترة الممتدة ما بين استقلالها وتحررها من سيطرة بني حفص في أوائل القرن السادس عشر ميلادي وتعرضها لحملة الأتراك في منتصف نفس القرن <sup>118</sup> ، ومما جاء في الوثيقة: "...إعادة بناء منارة المسجد المبني من طرف المجاهد تابع صحابة رسول الله مولاي سيدي موسى الخذري المنعم عليه برحمة الله بعد سقوطها أثناء صلاة الظهر في اليوم الثاني والعشرين (22) من شهر الله الأقوى شهر رجب المفرد من عام 1140 هجري"، أما في العهد الاستعماري فقد رمم عام 1369هـ/1950م وهذا ما دلت عليه كتابة نقشت على لوحة من الرخام كانت معلقة على الجدار الخارجي عند مدخل الجامع: (اللوحة:04، ص09)، كما أعيد بناء المنارة سنة 1373هـ/1954م وهذا ما لاحظناه من خلال مخطط المؤذنة الذي وجدناه لدى الإمام، وفي الاستقلال عرف الجامع عدة ترميمات وتوسيعات نذكر منها ما تم في الثمانينات حيث وسع من الناحية الشمالية ورمم بنيانه، وآخر التوسيعات والترميمات كانت سنة 1419هـ/1998 وهذا ما تدل عليه لوحة الرخام الموجودة على الجدار الخارجي عند المدخل الرئيسي

114 - عبد الرحمن الجيلالي، ج1، مرجع سابق، ص194-196.

115 - أبي سالم العياشي، مصدر سابق، ص409.

116 - الورتلاني، مصدر سابق، ص87، 109.

117 - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص175.

• أئمة الجامع القدامى والجدد منهم: أحمد بن تواتي، دالي علي محمد الكامل..؛ وفق ما صرح به الإمام الحالي.

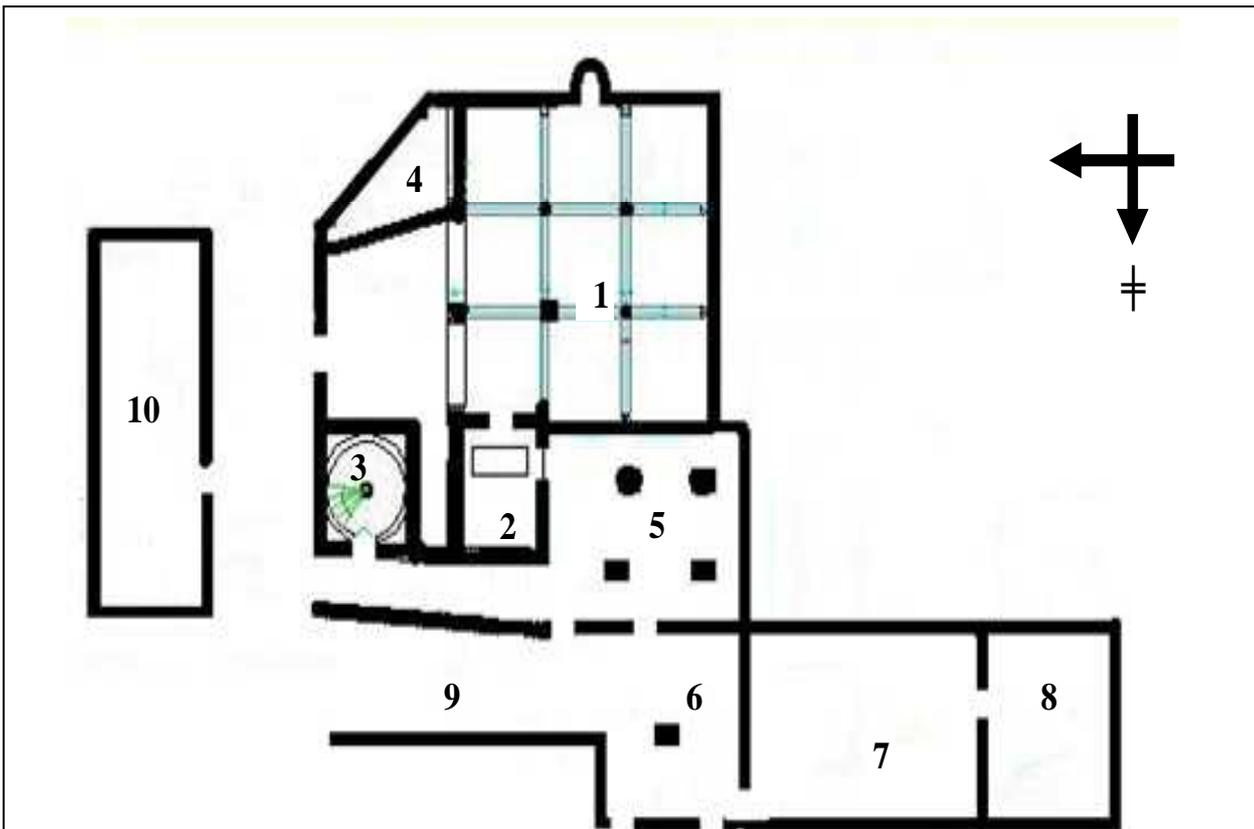
118 - عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ج3، ص62.

(اللوحة:04، ص09)، حيث عرف توسيعا هاما من الناحيتين الجنوبية والغربية، وجهاز بمختلف المرافق الضرورية كما سوف يأتي تفصيله، ونشير أن هناك دراسات معمارية حديثة لإعادة توسيعه من جديد.

## 2 - الدراسة المعمارية

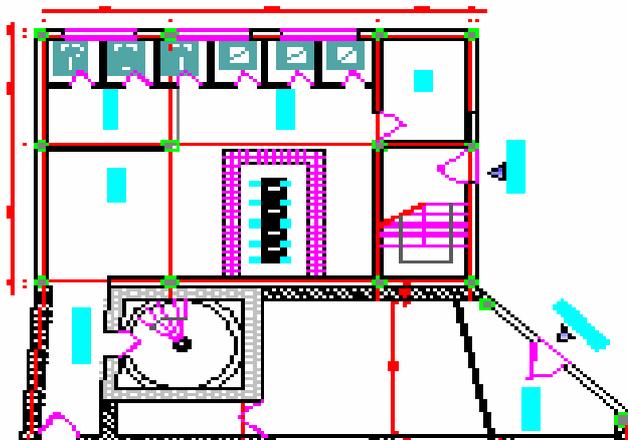
### أ - الوصف الخارجي: (الشكل رقم: 02)

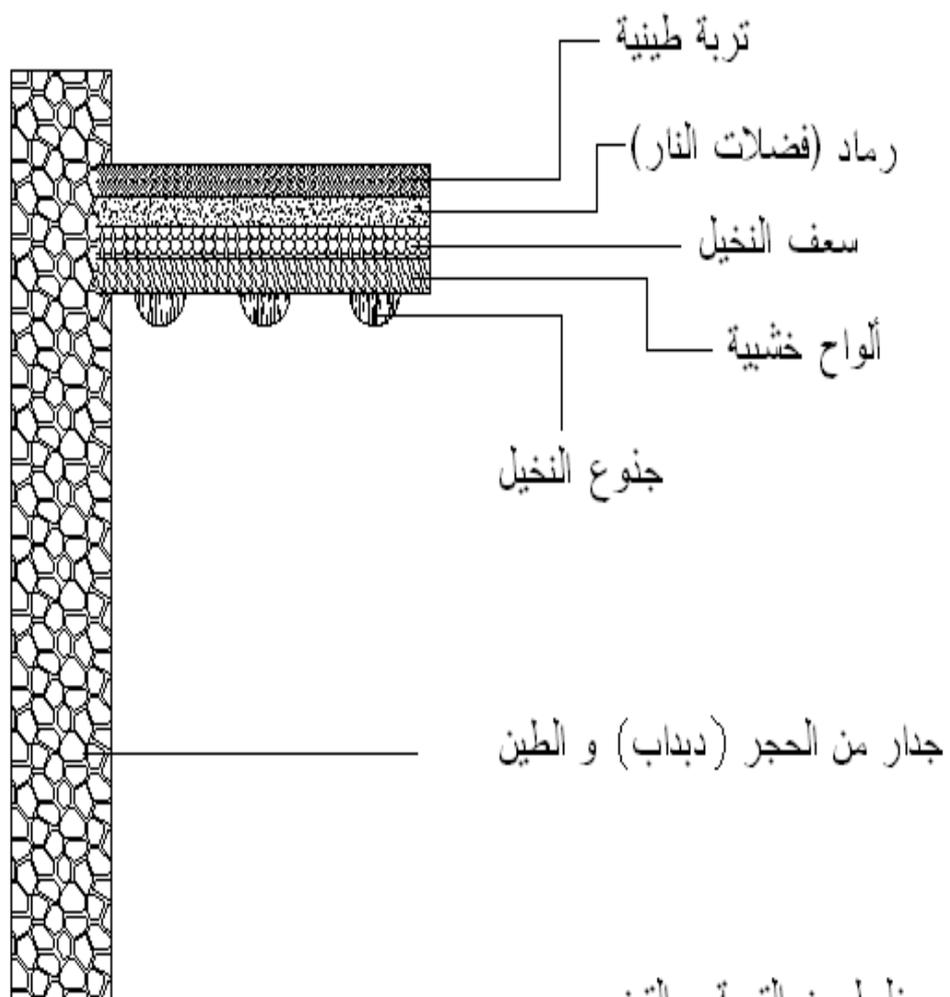
كان تخطيط جامع سيدي موسى الخذري يشبه إلى حد كبير تخطيط جامع سيدي عقبة القديم، حيث لهما نفس العناصر المعمارية رغم أن مساحته أقل، إلا أنه مطابق له من حيث العناصر الأساسية مثل الصحن والأبواب والمحراب والبلاطات، فهو على شكل مضلع غير منتظم<sup>119</sup>، يتجه على أساس الشارع من الشرق إلى الغرب يبلغ عرضه 28,40م وجوفه 16,20م، يحيط به جدار بارتفاع 5م وسك 0,70م، به صحن مستطيل الشكل مقاساته (8,30م x 5,20م)، يقوم سقفه على أربع سوارى (أعمدة) من غير أقواس، يدخل إليه من بايين في الجدار الشمالي يبلغ عرض كل باب 1,40م وارتفاع 2م وهو مفصول عن بيت الصلاة بجدار به باب. للجامع مدخلا بالركن الشمالي مستطيل الشكل مقاساته (5,40م x 6,20م)، يدخل إليه من الخارج بواسطة بايين بجداره الشمالي عرض كل واحد منهما 2م وارتفاع 2,20م، وينفذ منه إلى الصحن من خلال بايين بجداره الجنوبي عرض كل واحد منهما 1,40م وارتفاع 2م، يتصل بهذا المدخل بجوار الجدار الشمالي للجامع ممر مستطيل مقاساته (2,50م x 11,40م) وإلى جانبه من الناحية الجنوبية نجد ممر آخر بالركن الشرقي يمتد من الصحن ويؤدي إلى بيت الوضوء وهو مستطيل الشكل مقاساته (1,30م x 7,60م)، سقف الجامع مستوي به قبة نصف كروية الشكل تعتمد على قاعدة أسطوانية يعلوها جمورا من النحاس، ومئذنة تقع في الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة.



وفي الإصلاحات التي تمت سنة 1998 ( الشكل رقم: 03)؛ حافظ الجامع على الشكل المضلع غير المنتظم مع إلغاء الصحن وبعض الغرف والأروقة التي ضمت لبيت الصلاة وأصبح عرضه 35,70م وجوفه 21,55م، مع سبعة أبواب اثنان منها في الجدار الشمالي تفتح على الخارج بعرض 1م وارتفاع 2م لكل باب واثنان في الجهة الشمالية الغربية وهي المداخل الرئيسية للجامع بعرض 1,60م وارتفاع 2,20م لكل باب، وواحد في الركن الجنوبي الشرقي وهو مدخل الإمام إلى مقصورته من الخارج، وواحد في الجدار الجنوبي يؤدي إلى مسكن الإمام وآخر في الجدار الغربي يؤدي إلى السدة؛ لكل هذه الأبواب نفس العرض 1م ونفس الارتفاع 2م، وبقي ممر واحد في الجهة الشمالية يؤدي إلى مدخل النساء ومدخل المائضة.

أما مواد البناء وتقنياتها فهي بسيطة ومحلية تتمثل في الحجر المتوفر بالمنطقة (الدبداب ♦ ) والطابوق أي الطوب الطيني الذي بنيت به الجدران وأعمدة من الخشب الذي توفره النخيل (جذوع النخيل وسعفها) التي أستعملت في التسقيف وفقا للتقنية المبينة في (الشكل رقم:04)





## ب - الوصف الداخلي

### ب.1 - بيت الصلاة: ( الشكل رقم: 02 )

مربعة الشكل كبيت صلاة الجامع العتيق ببرج بن عزوز طول ضلعها 8,45م تحتل الناحية الشرقية للجامع، وبعد توسيعه من الناحية الشمالية أصبحت على شكل مضلع محدب بعمق 12,80م، تشتمل على ثلاث بلاطات موازية لجدار المحراب عرضها 2,50م تخترقها ثلاث بوائك عمودية على جدار المحراب بطول يساوي طول ضلع بيت الصلاة.

تقوم بوائك بيت الصلاة على أربع سواري وصفين من الأقواس عموديين وصفين آخرين موازيين لجدار المحراب، بتوسيعها أصبح طول البلاطتين الخلفيتين والموازيتين لحائط القبلة يساوي 12,80م. تشتمل بيت الصلاة على خمسة أبواب توجد ثلاثة منها بالجدار الغربي؛ يفتح الباب الأول على الصحن وهو بعرض 1,20م وارتفاع 2م والباب الثاني إلى اليسار الأول يؤدي إلى الضريح عرضه 1م وارتفاع 2م، أما الثالث فهو إلى اليسار من الباب الثاني يؤدي إلى المئذنة يبلغ عرضه 0,80م وارتفاعه 2م، ويوجد باب رابع بالجدار الشمالي يفتح على الخارج عرضه 1م وارتفاعه 2م، أما الخامس هو في الركن الشمالي الشرقي يؤدي إلى غرفة صغيرة بعرض 0,80م وارتفاع 2م، وبالنسبة للنوافذ توجد إثنان ببيت الصلاة بحائط القبلة، واحدة تعلو المحراب عرضها 0,50م وارتفاعها 0,80م والأخرى إلى يمين الأولى بعرض 0,90م وارتفاع 1,30م، للجامع بيت وضوء منفصلة عنه مستطيلة الشكل مقاساتها (14م x 5م) وهي غير مجهزة<sup>120</sup>. (الصورة: 06،

ص10)

في التوسيعات الحديثة 1998م أصبحت بيت الصلاة على شكل مضلع غير منتظم (الشكل رقم: 03) بعمق 21م، تشتمل على أربع بلاطات موازية للجدار الشرقي بعرض 2,50م للقديمة و4,60م للجديدة وستة بوائك عمودية على الجدار الشرقي للجامع، طول البائكتين الجديتين 15,50م لكل واحدة منهما، أصبحت بيت الصلاة تشتمل على ستة أبواب أربعة منها في الجدار الغربي والغربي الجنوبي تفتح على الخارج كما سبقت الإشارة لذلك، وواحد في الركن الشمالي الشرقي قرب المحراب بعرض 0,80م وارتفاع 2م يفضي إلى مقصورة الإمام، وفي الركن الجنوبي الغربي باب بعرض 1م وارتفاع 2م يؤدي إلى غرفة هي بمثابة مخزن، أما النوافذ فلم يحدث عليها أي تغيير، كما استحدثت مائضة جديدة في الجهة الشمالية مستطيلة الشكل مقاساتها (10,90م x 7,70م) مجهزة بكل المرافق الضرورية. (الصورة: 07، ص11)

نجد في الجامع مباني أخرى إضافية مثل ما هو الشأن في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>121</sup>؛ وهي عبارة عن غرف وقاعات منها غرفة صغيرة مثلثة الشكل يبلغ جوفها 2,40م وقاعدتها 4م مساحتها 4,80م<sup>2</sup> يدخل إليها من باب في جدارها الجنوبي يبلغ عرضه 0,80م وارتفاعه 2م وهي خاصة بالإمام، وفي الركن الجنوبي الغربي نجد قاعة مستطيلة الشكل بقياس (7,20م x 6,20م) لها باب في الجدار الشمالي عرضه 1م وارتفاعه 2م ومنها يدخل إلى غرفة أخرى في الناحية الجنوبية مستطيلة مقاساتها (2,80م x 6,20م) لها باب في الجدار الشمالي عرضه 0,80م وارتفاعه 1,20م<sup>122</sup>.

في التوسيعات الأخيرة بقيت غرفة الإمام على حالها وبنفس القياسات لكن الغرفتين الموجودتين في الناحية الجنوبية ضمنا إلى بيت الصلاة، وبقيت غرفة واحدة صغيرة في الركن الجنوبي الغربي مستطيلة الشكل بقياس (3,65م x 2,80م)، يوجد بالجامع ضريح سيدي موسى الخذري وهو يحتل الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة في غرفة مستطيلة الشكل قياساتها (3,15م x 2,55م) تعلوها قبة بسيطة، يدخل إلى الغرفة من

<sup>120</sup> - عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص ص36-50

<sup>121</sup> - Lucien GOLVIN, op.cit, P34.

<sup>122</sup> - عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص ص44-49

باب متجه نحو المحراب يقدر عرضه 1م وارتفاعه 2م، وغير باب الضريح من الحائط الشرقي إلى الحائط الغربي بالقياسات التي أشرنا إليها سابقا.

**ب.2 - المحراب:** كان يتوسط الجدار الجنوبي، (الشكل رقم:02)؛ وباكتشاف خطأ اتجاه القبلة؛ حول إلى الركن الشرقي الجنوبي، كان عبارة عن تجويف معقود يبلغ عرض فتحته 1,20م وعمقه 0,90م وبارتفاع 2,20م، الجزء العلوي من التجويف مغطى من الداخل بنصف قبيبة بسيطة بارتفاع 0,60م، أما الجزء السفلي منه فهو أيضا بسيط وأملس، يحتوي المحراب على قوس نصف دائرية يبلغ ارتفاعها 0,60م وقطرها 1,20م به حافة مستطيلة بسيطة غير مزخرفة وتعلو واجهته نافذة تفتح في الجامع، أما بقية مساحة واجهة المحراب فتخلو من الزخرفة<sup>123</sup>.

أما المحراب الحالي ( الصورة:08، ص12)؛ هو بنفس الشكل السابق أي تجويف معقود بعرض 1م وعمق 0,90م وارتفاع 2,30م؛ مغطى في جزئه السفلي بالخزف المطلي حتى ارتفاع 1م، أما الجزء العلوي فتعلوه نصف قبيبة بسيطة بارتفاع 0,70م، تزين واجهته في الجزء العلوي لوحة جصية مزخرفة مربعة الشكل يفتح في وسطها قوس مكسورة.

تقوم في كل جانب من جانبي المحراب سارية جصية ذات شكل أسطواني ملتوي بارتفاع 1,30م وقطر 0,20م؛ يعلوها تاج جصي بشكل مربع مزين بأخاديد وبعض الأشكال النباتية والهندسية الحديثة. إلى جانب المحراب نجد منبر حديث بسيط من الخشب بطول 1,40م وعرض 0,90م وارتفاع 1,25م، له مدخل بارتفاع 2م يحيط به إطار غير مزخرف يتكون من قائمتين وقوس ضامة، له خمس درجات بارتفاع 0,16م وعمق 0,28م، ليس له مشكاة.

**ج. - العناصر المعمارية:** تتكون من أربعة عناصر هي:

**ج.1 - الروافع:** توجد ثلاثة أنواع؛ أعمدة ودعامات وأقواس، فبالنسبة لـ:

**- الأعمدة (السواري):** كان يوجد في جامع سيدي موسى الخذري مجموعة من الأعمدة بعضها في بيت

الصلاة وبعضها في الصحن، وكل عمود يتكون من قاعدة وبدن وتاج، (الصورة:09، ص13)؛ وهي مختلفة من حيث مواد تكوينها؛ فالبعض منها بدنها من جذوع النخل مثل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>124</sup>، والبعض الآخر منحوتة من الرخام والحجارة أخذت من المباني الرومانية والبيزنطية التي كانت متواجدة بالمنطقة<sup>125</sup>، إلا أن حسين مؤنس يذكر أن أعمدة مساجد الزاب مبنية من الآجر<sup>126</sup>.

تقوم بيت الصلاة على أربعة أعمدة أسطوانية الشكل مغطاة بطبقة سميكة من الجص يبلغ قطرها 0,30م وارتفاعها 2م بما في ذلك التاج، لم تصنع لها قاعدة ترتكز عليها، تتوزع على صفيين موازيين لجدار المحراب، في كل صف عمودين؛ بدنها يتكون من الحجارة المنحوتة مثل ما هو الشأن في مسجد قلعة بني حماد<sup>127</sup>، والدليل في ذلك أن تيجانها من الحجارة وهي تشبه الأعمدة الموجودة في بيت الصلاة بجامع سيدي عقبة؛ مازالت هذه الأعمدة على حالها لكن معالمها متلفة بسبب تغطيتها بطبقة من الجص وطبقة أخرى من الخزف المطلي حتى ارتفاع 1م، وعند ترميم العمود الرابع الموجود في الجهة الشمالية الشرقية تم تغيير شكله من الاسطواني إلى المربع بطول ضلع 0,40م.

وفي صحن الجامع نجد أربعة أعمدة موزعة على صفيين موازيين لجدار مؤخرة بيت الصلاة، العمودان الأماميان شكلهما أسطواني قطر كل منهما 0,24م يرتكزان على قاعدتين أسطوانيتين الشكل بقطر 0,28م وارتفاع 0,38م، أما العمودان الخلفيان فهما على شكل رباعي الأضلاع بطول ضلع 0,24م يقومان على قاعدتين ذات شكل متوازي المستطيلات طول ضلع كل واحدة منهما 0,25م وارتفاع 0,35م وهذه الأعمدة ذات ارتفاع واحد هو 4,60م وهي من خشب النخيل<sup>128</sup>، أزيلت هذه الأعمدة الموجودة بالصحن وعوضت

<sup>123</sup> نفس المرجع، صص 82 - 83.

<sup>124</sup> أنظر. - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، صص 2.

- حسين مؤنس، المساجد، صص 53.

- زكي محمد حسن، مرجع سابق، صص 34.

<sup>125</sup> أنظر. - محمد الصغير غانم، مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، صص 22 - 23.

- GSELL. S, Op.cit , PP1- 6

- Baradeze. J, Op.cit PP130 -138..

<sup>126</sup> - حسين مؤنس، المساجد، صص 197- 198.

<sup>127</sup> - رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجمعية، الجزائر، 1977، صص 290.

<sup>128</sup> - عبد العزيز الشهيبي، مرجع سابق، صص 61 - 69.

بأخرى من الحديد والإسمنت مربعة الشكل طول ضلعها 0,30م، وفي التوسيعات الجديدة (1998) أضيفت عشرة أعمدة جديدة من الحديد والإسمنت مربعة الشكل طول ضلعها 0,30م؛ ثلاثة منها توجد إلى جانب دعائم الحائط الغربي لبيت الصلاة القديم وأربعة في وسط التوسعة الجديدة لبيت الصلاة على استقامة واحدة من الشمال إلى الجنوب والخامسة قريبة من العمود الرابع الموجود في الجهة الشمالية، واثنان إلى جانب دعائم بيت الصلاة القديمة في الجهة الشمالية.

بالنسبة لأعمدة بيت الصلاة القديم تعلوها تيجان منحوتة من الحجارة يقدر ارتفاع كل واحد منها 0,50م ويتكون من قسمين: قسم علوي على شكل موازي المستطيلات بارتفاع 0,30م وطول ضلعه 0,40م بدون زخرفة، والقسم السفلي على شكل مخروط بارتفاع 0,20م وقطره الكبير 0,40م والصغير 0,30م مزين بأوراق الأقتنة مثل ما هو الشأن في مسجد قلعة بني حماد<sup>129</sup>، حيث نجد ثلاث صفوف من أوراق الأقتنة؛ الصف الأول به ثماني أوراق، والصف الأوسط به عشرة أوراق، أما الصف الأعلى فهي غير واضحة بسبب تغطيتها بطبقة سميكة من الجص خلال عمليات الترميم حيث أصبحت مكوناتها غير واضحة ونفس الشيء بالنسبة لزخرفتها التي طمست تماما سواء بطبقة من الجص أو بطلاء سميكة. (اللوحة: 05، ص14)

**- الدعائم:** يوجد بالجامع ثماني أنصاف دعائم تتوزع كما يلي:

اثنان في كل جدار من جدرانه الأربعة بارتفاع 2,50م وعرض 0,86م وبروز 0,18م، بعد توسيع بيت الصلاة من الناحية الشمالية (خلال الثمانينات) أضيفت نصف دعامة بالجدار الشمالي وتحول نصف الدعامة الذي كان به إلى دعامة مضلعة بارتفاع 3,15م وعرض 1,16م، وفي مدخل الجامع نجد دعامتين رباعيتي الأضلاع طول ضلعيهما 0,80م وارتفاع الدعامة الأمامية 2م والخلفية 3م<sup>\*</sup>، يوازي الدعامة الأمامية نصف دعامة بارتفاع 2م وعرض 0,80م وبروز 0,20م؛ البعض من هذه الدعائم مبني بالطوب (اللين) والحجارة والبعض الآخر بالإسمنت، وبعد تهديم جداري بيت الصلاة القديمة الغربي والشمالي تحولت أنصاف الدعائم السابقة الذكر إلى دعائم مستطيلة الشكل مقاساتها (0,40م x 0,60م) مغطاة حتى ارتفاع 1م بالخزف المطلي. (اللوحة: 06، ص15).

**- الأقواس:** نجدها في بيت الصلاة القديمة؛ وهي أقواس متجاوزة لنصف الدائرة وتبدأ باستقامتين مثل الأقواس الموجودة بالجامع الكبير بقسنطينة<sup>130</sup> والجامع الكبير بتلمسان<sup>131</sup> يساوي قطرها 2,30م وعرض 0,30م وارتفاع 2,20م، وما بين الأقواس والتيجان نجد أخشاب من العرعار استعملت كقضبان لتثبيت فتحات الأقواس، كما نجد في فتحة كل قوس خشبتين موضوعتين فوق بعضهما البعض تفصل بينهما فجوة، يمكن اعتبار هذه العناصر بمثابة الكتف، والركيزة والظنْف؛ التي يستعملها المعمارون لزيادة ارتفاع سقف بيت الصلاة، مثل ما هو الشأن في مسجد دمشق والجامع الكبير بالقيروان وجامع الزيتونة ومسجد أبي مروان بعبادة والجامع الكبير بقسنطينة ومسجد تلمسان<sup>132</sup>. (الصورة: 10، ص16)

**ج2 - السقف:** يغطي جامع سيدي موسى الخذري سقف يتطابق مع سقف مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>133</sup> في النظام وفي مادة البناء؛ فهو يقوم على خشب النخيل والجريد بخوصه والطين والجص في شكل أروقة تقسم بيت الصلاة، (اللوحة: 07، ص17) و(الشكل رقم: 04) أما قاعة الصلاة الجديدة فهي مسقفة بمواد حديثة (الإسمنت والحديد).

<sup>129</sup> - رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص225.

\* - يفسر تفاوت ارتفاع الدعائم؛ باختلاف مستوى أرضية المسجد مع مستوى أرضية الشارع.

<sup>130</sup> - رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص225-226.

<sup>131</sup> - Bourouiba R, L'Art Religieux Musulman ..., P78.

<sup>132</sup> - رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص226.

أنظر 2 - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص2-3.

- زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص34.

- حسين مؤنس، المساجد، ص53-54.

- حسن محمد نويصر، مرجع سابق، ص42.

**ج3 - القباب:** بجامع سيدي موسى الخذري قبة واحدة نصف كروية الشكل (اللوحة:08، ص18) توجد فوق الضريح مثل مسجد السلطان حسن بمصر<sup>134</sup> يعلوها جمورا من النحاس، تقوم على قاعدة مربعة تتحول إلى قاعدة أسطوانية الشكل بواسطة أربع مثلثات قطرها 2,50م وارتفاعها 1,50م، وهي بسيطة خالية من أي زخرفة وأضيفت قبة صغيرة نصف كروية في الركن الشمالي الغربي للجامع تسقف الغرفة الموجودة في هذا المكان.

**ج4 - المئذنة:** للجامع مئذنة واحدة؛ وهو التقليد السائد في مساجد المغرب الإسلامي على عكس مساجد المشرق التي لها أكثر من واحدة<sup>135</sup>، المئذنة الأصلية للجامع تهدمت ولم تصفها لنا المصادر ولا المراجع، إلا ما جاء به الرحالة العياشي "...وطلعنا مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تفقد الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرين درجة..."<sup>136</sup>، والورتلاني "...وصومعته ما أحسنها وما أوسعها..."<sup>137</sup>، وأبو القاسم سعد الله "... المئذنة الطويلة البالغة مائة وأربعين درجة..."<sup>138</sup>. أعيد بناؤها عام 1140هـ-1727م<sup>139</sup>، وبما أن مواد البناء المستعملة في المنطقة هشّة فأكد أنها تهدمت ثانية وهذا ما تثبته الوثيقة التاريخية التي وجدت سنة 1952م بجدار صومعة الجامع والتي تفيد " أنها هدمت وأعيد بناؤها سنة 1954م وفقا للمخطط الذي عثرنا عليه بمقصورة الجامع المؤرخ بنفس السنة والذي يشبه كثيرا مخطط المئذنة الحالية، والصورة التاريخية التي عثرنا عليها نعتقد أنها تعود للمئذنة التي بنيت عام 1140هـ-1727م (الصورة:11، ص19) حيث كانت المئذنة مربعة الشكل من القاعدة إلى القمة تتكون من قسمين: **بدن المئذنة وبرج**

- **بدن المئذنة:** مقسم إلى قطاعين:  
\* قطاع سفلي: وهو الأكبر طولاً به ثلاثة فتحات صغيرة مربعة الشكل من أجل التهوية والإضاءة؛ قد تكون هذه الفتحات موجودة في كل جهات المئذنة، وينتهي بحافة تبرز قليلاً عن الجدار.  
\* القطاع العلوي: يمتاز بقصر ارتفاعه، به نافذتين مستطيلتي الشكل تنتهي كل منهما بقوس؛ قد تكون هذه النوافذ موجودة في كل جهات المئذنة، وينتهي بحافة تبرز قليلاً (أقل بروزاً من حافة القطاع السفلي) تعلوها أربع شرفات مثلثة الشكل ومتدرجة في الزوايا الأربعة.

- **البرج:** وهو برج صغير مربع الشكل ينتهي بسور منخفض، به أربعة شرفات مثلثة الشكل ومتدرجة، في وسطه برج يعلوه جمور من النحاس.

أما المئذنة الحالية؛ فتقع في الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة مثل مآذن مساجد أولاد الإمام وسيدي إبراهيم وسيدي أبي مدين وسيدي الحلوي بتلمسان<sup>140</sup>، وقد أتبع في بنائها نظام المآذن المغربية وهي تشبه كثيراً المئذنة القديمة، مربعة الشكل تضيق كلما ارتفعت (الصورة:12، ص20) يبلغ ارتفاعها 17م كان لها باب يفتح في بيت الصلاة بارتفاع 1,80م وعرض 0,80م وسمك 0,70م وحول إلى الممر الموجود في الجهة الشمالية، وهي تتكون من قسمين:  
**بدن وبرج.**

- **البدن:** يبلغ ارتفاعه 13,5م وعرض كل من جوانبه الأربعة عند القاعدة 5م وعند القمة 4م تتوسطه نواة مركزية غير خاوية؛ أسطوانية الشكل بقطر 0,50م وطول ضلع البدن من الداخل في القاعدة 3,70م وفي القمة 3,20م، ترتكز درجاتها على أخشاب تربط النواة المركزية بجدار المئذنة، عددها 73 درجة، لكل واحدة منها ارتفاع 0,20م وعرض 0,90م وجوف 0,30م<sup>141</sup>، وفي الإصلاحات الأخيرة (1998) هدمت الدرجات

134 - زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص76.

أنظر<sup>135</sup> - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص155-159.

- زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص144.

- عبد الكريم عزوق، مرجع سابق، ص158-159.

136 - العياشي، مصدر سابق، ص409.

137 - الورتلاني، مصدر سابق، ص87.

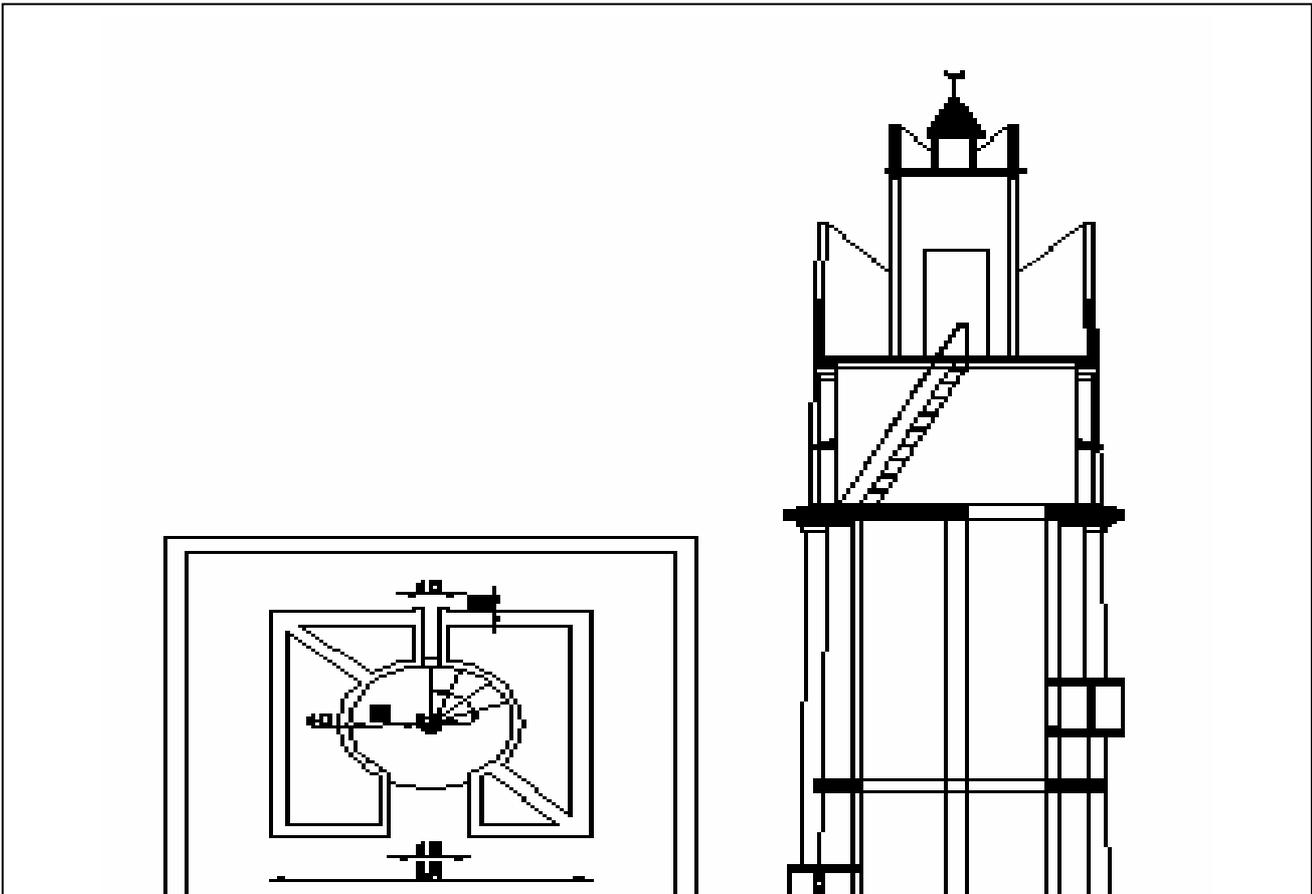
138 - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص175.

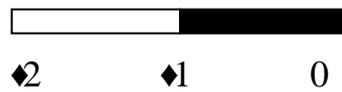
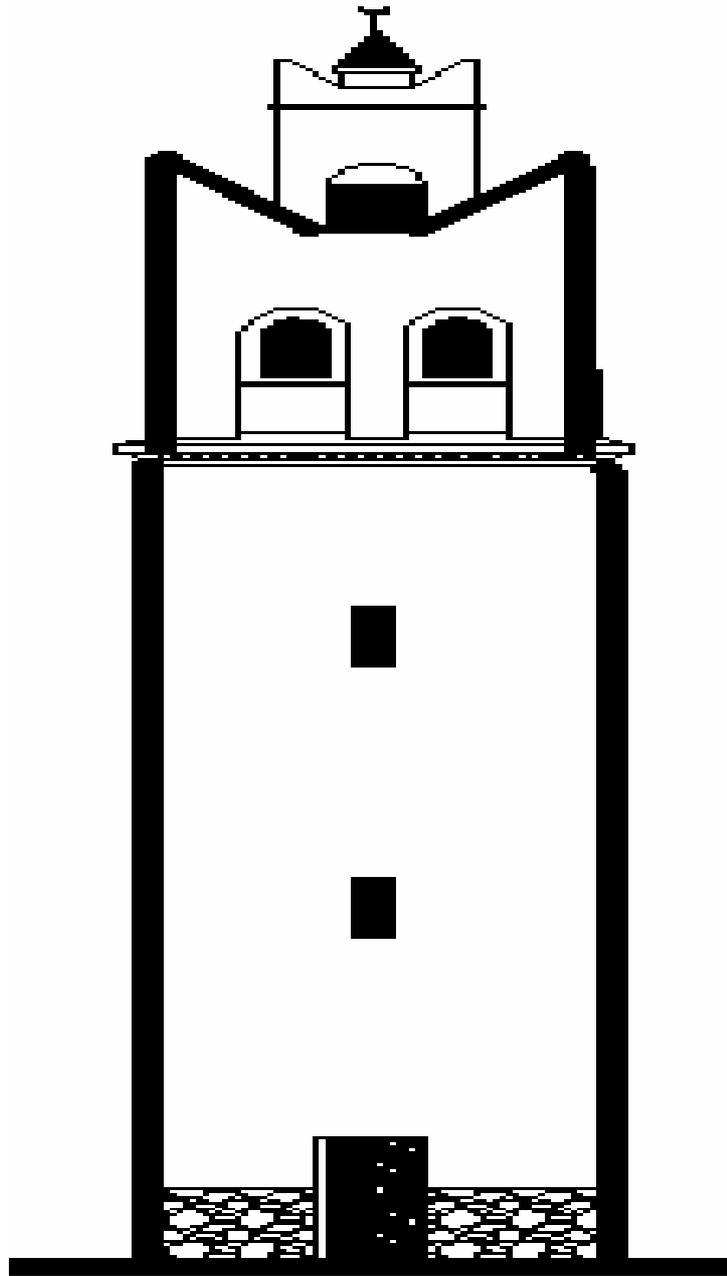
139 - المخطوط الذي وجد في جدار صومعة المسجد عام 1952 (راجع الملحق).

والنواة المركزية للمئذنة و عوضت بنواة جديدة تلتف حولها الدرجات بشكل حلزوني عددها 72 درجة (بدلا من 73 درجة سابقا) بارتفاع 0,20م وعرض 0,80م وجوف 0,30م وكلها مبنية بالحديد والإسمنت. (الشكل رقم: 05)

أما من الخارج فينقسم البدن إلى قطاعين بواسطة حافة تبرز قليلا إلى الخارج عن جدار البرج بها حلقات زخرفية بسيطة تتمثل في مثلثات صغيرة متتالية، في القطاع السفلي فتحتين صغيرتين مستطيلتي الشكل للتهوية والإضاءة بالواجهات الأربعة، أما القطاع الثاني فيتميز بالعرض وقصر ارتفاعه، وبكل واجهة من واجهاته الأربعة نافذتين يعلو كل منها قوس منخفضة تفتح في مشكاة مجوفة مستطيلة على شكل نافذة، ينتهي بسور منخفض به أربع شرفات مثلثة الشكل في الزوايا الأربعة.

- البرج: عبارة عن برج صغير مربع الشكل بارتفاع 3,5م وطول ضلعه 2م، بسيط وغير مزخرف ينتهي بسور منخفض به أربع شرفات مثلثة الشكل ومتدرجة في زوايا الأربعة، في وسطه بريج بسيط يعلوه جمور من النحاس. (الشكل رقم: 06)





٣٠ الم

3 - الد  
يقصد  
وهذه  
وسوف  
أ - العن  
التيجان

الشكل رقم: 06

مظهر خارجي لمئذنة جامع سيدى موسى الخديوي

ب - العناصر الهندسية: قليلة جدا بل تكاد أن تكون منعدمة؛ تظهر في بعض الخطوط المنكسرة الموجودة في الحافة البارزة في بدن المنذنة والتي ترسم مجموعة من المثلثات المتتالية (الشكل رقم: 06)

ج - العناصر الخطية: تم استعمال خط الثلث في تنفيذ النقش التاريخي الوحيد للجامع، الموجود فوق لوحة من الرخام مستطيلة الشكل مقاساتها (0,65م X 0,40م)، (اللوحة: 04، ص 09)؛ التي كانت موجودة على الجدار الخارجي عند المدخل الرئيسي وهي الآن محفوظة بمخزن الجامع تتضمن كتابة بالعربية مع الترجمة بالفرنسية؛ مضمونها:

«- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

- هاذا مسجد الولي الصالح سيدي موسى الاخذاري

- اسس بنيانه في عهد الاتراك في القرن

- العاشر من الهجرة النبوية رمم في سنة ١٩٥٠ «

نلاحظ وجود بعض الأخطاء مثل:

- كلمة (هاذا) التي كتبت بألف بين الهاء والذال بدل (هذا).

- عدم تساوي حجم الحروف وتركيبها وامتداد بعضها على البعض الآخر.

- عدم وجود الهمزة على الألف في كلمة أسس والأتراك والأخذاري.

- وكتابة كلمة الأخذاري بدل الخذري.

وتعارض مضمون الترجمة باللغة الفرنسية؛ الذي يرجع تأسيس الجامع إلى الأتراك بدل في عهد الأتراك كما جاء في النص العربي، مع ذكر التاريخ الميلادي (1550).

وتفسيرنا لكل هذا أن:

اللوحة تهدف إلى التأريخ لإصلاح الجامع وترميمه، مما دفع عدم إهتمام الفنان بأسلوب الكتابة وجماليتها

والتركيز على الجانب التاريخي فقط،

عدم تحكم النقاش في قواعد اللغتين، أو تشوهه في النقش، و/أو صعوبة النقش على الرخام، و/أو عدم مهارة

النقاش.

- بالنسبة للوحة الرخام الثانية (1998) (الصورة: 04، ص 09)

الموجودة عند المدخل الرئيسي مستطيلة الشكل مقاساتها (0,60م X 0,40م) تؤرخ لآخر ترميم عرفه

الجامع، تضمنت كتابة باللغة العربية.

## ثانيا: الجامع العتيق ببرج بن عزوز

### 1 - موقع الجامع وتاريخ إنشائه

#### أ - الموقع: ( الخريطة رقم: 05، الملحق 03)

يقع الجامع في وسط مدينة البرج عند نقطة تقاطع خطي طول و عرض (س،ع) = (160,50، 773,40) والبرج واحة من واحات الزاب الغربي على بعد أربعة كيلومترات جنوب غرب مدينة طولقة، وعلى بعد 39 كلم غرب بسكرة، ينتمي إليه محمد بن عزوز البرجي والد سيدي مصطفى بن عزوز صاحب الزاوية الرحمانية بنفطة \* (تونس)، والبرج شأنه شأن طولقة فهو أيضا حصن قديم يعود إلى العهد الروماني حيث عثر في ضواحي الواحة على آثار رومانية في المنطقة المعروفة بالخربة (khorba)، ولقد أستعمل الأهالي الكثير من الحجارة المنحوتة في بناياتهم<sup>142</sup>، رغم قدم المدينة إلا أننا لا نجد لها ذكر في مؤلفات الرحالة والجغرافيين العرب باستثناء ما جاء به حسن الوزان الذي يعتبرها ثاني مدينة من مدن الزاب فيقول عنها: " البرج مدينة على بعد أربعة عشر ميلا \* \* غرب بسكرة، وهي متحضرة، كثيرة السكان، يوجد بها عدد كبير من الصناعات لكن الأغلبية من الفلاحين، " <sup>143</sup> ؛ نستشف من قول الوزان أن البرج كانت من حواضر الزيبان سواء بعدد سكانها الكبير أو من خلال النشاط الاقتصادي الواسع الذي يقوم على الزراعة بالدرجة الأولى، إلى جانب الجامع نجد ضريح محمد بن عزوز أحد أحفاد سيدي بن عزوز ومقبرة في الجهة اليمنى أي الجدار الغربي للجامع، يقول سكان المنطقة بشأنها أنها تعود إلى أسرة سيدي بن عزوز وربما يكون مدفون بها.

#### ب - تاريخ إنشائه (الصورة: 13، ص 21)

ليس لدينا دلائل مادية أو تاريخية تحدد بدقة تاريخ إنشاء الجامع، لكن اعتمادا على بعض الإشارات الواردة في المراجع وما جاء به الرحالة والأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة، يمكن القول أنه يرجع إلى القرن 10 هـ 16م، فالرحالة حسن الوزان الذي عاش خلال القرنين 15م و16م أشار أن البرج مدينة متحضرة، وبما أنها كذلك فأكيد أنها تحتوي على جامع أو مسجد، وخلال القرن 16م ظهرت أسرة سيدي بن عزوز وهي أسرة ذات علم وجاه حملت لواء الزاوية الرحمانية، لذلك من غير المستبعد أن يكون الجد الأكبر لهذه الأسرة هو مؤسس الجامع خاصة وإن علمنا أن أحد أحفاده وهو محمد بن عزوز البرجي (1757 - 1818م) مؤسس الزاوية الرحمانية بالمنطقة والتي كانت تعرف بالعزوزية نسبة إليه ولشهرته، وكذلك ابنه سيدي مصطفى بن عزوز<sup>144</sup> الذي أسس الزاوية الرحمانية بنفطة، ومما يؤيد ما سبق ذكره الطراز المعماري الذي يتميز به الجامع ومواد البناء والسقف المقبب الذي يعود إلى العهد العثماني وهذا ثابت تاريخيا فخلال القرن 16م كانت المنطقة تحت نفوذ العثمانيين بقيادة أسرة بوعكاز<sup>145</sup> ، وانطلاقا من مضمون النص الكتابي

\* - نقطة: مدينة تونسية قريبة من توزر، أسسها الرومان، اعتبرت إحدى مدن الزاب، تقسم إلى ثلاث قصور عظيمة أكبرها القصر الذي توجد به القصبة، وبسبب اضطرابات عرفتها تهدمت أسوارها وتحولت قصورها الثلاث إلى قرية واحدة. (راجع: البكري وابن حوقل).  
أنظر. <sup>142</sup> -

- GSELL. S, Op.cit , P3.  
- Baradeze. J, Op.cit, P329.  
- Dellettre. A.L, op.cit , P 276.

\* \* - واحد ميل = 1852 متر.

<sup>143</sup> - حسن الوزان، مصدر سابق، ص 139.

أنظر. <sup>144</sup> - عبد المجيد حبة، علماء منطقة الزيبان، جمعية أضواء الثقافة والفنون، بسكرة، 1925، ص 13.  
- أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديمي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيار فنتانة الشرفية، الجزائر، 1906، ص ص 475 - 476.

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980، ص 232.

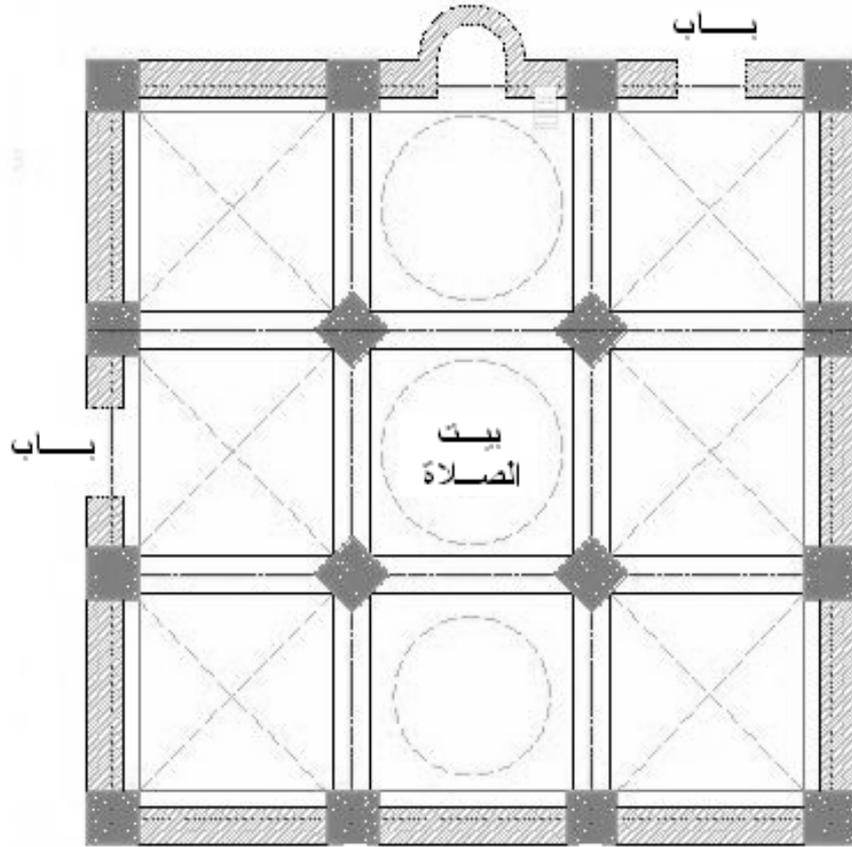
<sup>145</sup> - عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ج 3، ص 6.

باللوحة الجصية الموجودة فوق مدخل الجامع والتي جاء فيها: "...قد تم بناء المسجد على يد السيد محمد العيد بن محمد السوفي القماري 24 في شهر رجب الفرد عام 1339 من الهجرة النبوية" ♦ (اللوحة: 09، ص 22)؛ نستنتج أن الجامع عرف إصلاحات وترميمات عام 1339هـ-1921م وكلمة بناء يقصد بها ترميم وإصلاح تمثل في: وضع دعائم جديدة للجامع، وفي عام 1389هـ-1969م اجتاحت منطقة الزيبان فيضانات تهدمت على إثرها المئذنة، لذلك فدراستنا لها ستكون فقط من خلال صورها في كتاب المساجد في الجزائر<sup>146</sup> وما أورده لها حسين مؤنس في كتابه المساجد.<sup>147</sup> (الصورة : 14، ص 23)

## 2 - الدراسة المعمارية

### أ - الوصف الخارجي:

يختلف شكل جامع البرج عن باقي مساجد الزيبان فشكله فريد في المنطقة وهذا ما أشار له حسين مؤنس بقوله: "...وفي البرج الذي يوجد في الزيبان يندش المرء لما يرى هناك مسجدا يختلف شكله تماما عما سبق ذكره" <sup>148</sup> ، فهو ذو شكل مربع ( الشكل رقم: 07)



مقياس الرسم: 100/1

### الشكل رقم: 07

## تخطيط للجامع العتيق بـبرج بن عزوز

من إنجاز الطالبة

يشبه إلى حد بعيد المساجد الأموية بالكوفة وحران وواسط وجامع بغداد<sup>149</sup> ، وبعض المساجد العثمانية التي كان لها طابعها المميز والجديد في العمارة المسجدية بالجزائر<sup>150</sup> ، يبلغ طول ضلعه 12,40م وارتفاع جدرانه 8م بسمك 0,70م، له سقف مقبب وهو الطابع الغالب على الطراز العثماني مثل مسجد علي بن حسين ومسجد القصبية ومسجد كنتشاوة ومسجد صفر...<sup>151</sup> ، يتوج كل ركن من أركانه الأربعة بشرفات متدرجة، تقع منذنته في الركن الغربي، يدخل إليه من بابين أحدهما في الركن الجنوبي الشرقي بعرض 1م وارتفاع 2,20م والثاني في الجهة الشمالية مواجهاً للبلاطة الوسطى بعرض 1,30م وارتفاع 2,20م، يحتوي الجامع على مجموعة من النوافذ الصغيرة المتشابهة والمتقايسة تقريبا منها ثلاثة نوافذ بالجدار الشمالي: واحدة فوق الباب مباشرة بإرتفاع 0,50م وعرض 0,30م بشكل مستطيل يعلوها قوس صغير نصف دائري والنافتان الأخرى تقعان على يمين ويسار المدخل مقاسهما واحد 0,70م ارتفاع و0,50م عرض بنفس الشكل السابق، ومثيلاتها وزعت على جدران الجامع. ( اللوحة: 10، ص24)

الجامع لا يحتوي على صحن ولا أروقة مثل مسجد أبي فطاطة بسوسة ومسجد السيدة بالمنستير ومسجد سيدي أبي الحسن بتلمسان وجامع القصبية وجامع السفيير<sup>152</sup> ، وليس له بيت وضوء ولا مباني أخرى إضافية؛ ربما تهدمت مع المئذنة إثر الفيضانات التي اجتاحت المنطقة، والمسجد بني بمواد محلية بسيطة تتمثل في الحجارة والملاط (وهو خليط من الرمل والجبس). ( الصورة: 15، ص25)

## ب - الوصف الداخلي:

### ب.1 - بيت الصلاة: (الشكل رقم: 07)

مربعة الشكل مثل بيت الصلاة بجامع سيدي موسى الخذري قبل توسيعه، ومسجد سيدي بلحسن (أبو الحسن) ومسجد المنصورة<sup>153</sup> بطول ضلع 1م به ثلاثة بلاطات موازية لجدار المحراب بعرض 3م تخترقها ثلاثة بوائك عمودية على جدار المحراب بطول يساوي طول ضلع بيت الصلاة، تقوم على أربعة دعائم وصفين من أقواس عمودية وصفين آخرين موازيين لجدار المحراب، لبيت الصلاة بابين يفتحان على الخارج، بالإضافة إلى النوافذ المذكورة سابقا والتي تفتح على الخارج نجد نوافذ تفتح بين البلاطات تعلو الأقواس المكسورة. ( اللوحة: 11، ص26)

### ب.2 - المحراب (الصورة: 16، ص27)

يتوسط جدار القبلة وهو عبارة عن تجويف معقود يشبه تجويف محاريب أغلب جوامع المشرق والمغرب الإسلامي<sup>154</sup>، يبلغ عرض فتحة المحراب 1م وعمق 1م وارتفاع 2م، يغطي جوفه المحراب من الداخل نصف قبيبة بارتفاع 0,60م وهي بسيطة وغير مزخرفة، أما الجزء السفلي فيقدر ارتفاعه بـ 1,40م وهو أيضا بسيط وبدون زخرفة مثل ما هو الشأن في جامع سيدي موسى الخذري، مثل مسجد سيدي أبي مدين ومسجد سيدي الحلوي بتلمسان<sup>155</sup>، تزدان واجهة المحراب بعقد مدبية ذات مركزين مثل العقود الموجودة في محاريب جوامع صفر وسيدي عبد الرحمن والقصبية الداخلي والقصبية الخارجي بالجزائر<sup>156</sup> يبلغ قطرها 1م

أنظر. <sup>149</sup> - فريد محمود شافعي، مرجع سابق، ص 11- 15

- Marçais. G, l'art musulman , PP21-26.

أنظر. <sup>150</sup> -

- DoKali . R, Op cit , PP37-38.

- Marçais . G, L'architecture musulman d'occident., PP426-427.

<sup>151</sup> - Ibid , PP 426-432.

أنظر. <sup>152</sup> -

- Dokali R, Op cit , P39.

- Marçais. G, L'architecture Musulman d'Occident., P431.

أنظر. <sup>153</sup> -

- Bourouiba R, L'art Religieux Musulman en Algérie, PP110-161.

-Marçais. G, L'architecture Musulman d'Occident.,P 274.

<sup>154</sup> - مثل مسجد ابن طولون وجامع المهديّة والجامع الكبير بتونس؛ راجع:

- Bourouiba R, L'art Religieux Musulman en Algérie, P37.

<sup>155</sup> - Ibid, PP37-173.

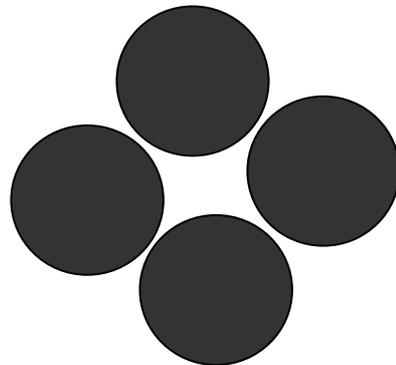
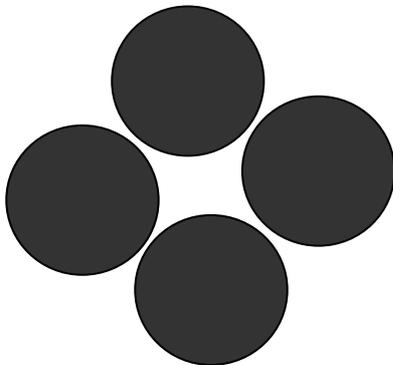
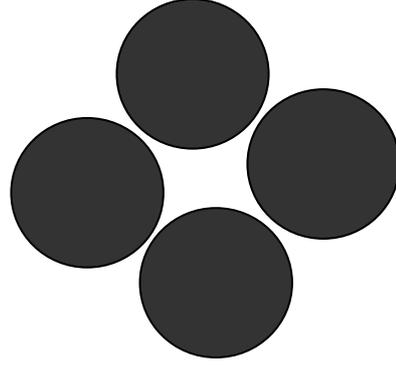
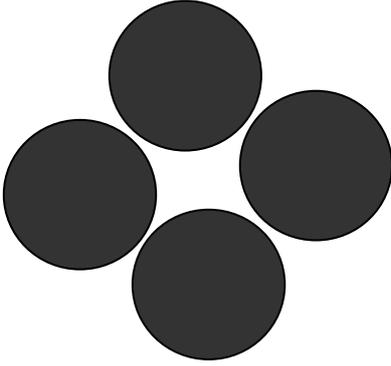
<sup>156</sup> - Dokali R, op cit , P50.

وارتفاعها 0,60م بسيطة وغير مزخرفة تقوم على أربعة أعمدة إثنان على اليسار واثنان على اليمين، سداسية الشكل يقدر ارتفاع الواحدة منهما 1,40م وبقطر 0,22م وهي بدون تيجان، أما بقية مساحة واجهة المحراب فتخلو من أي زخرفة، بها نافذة تفتح مثل واجهة محراب جامع سيدي موسى الخذري، وعلى يمين المحراب نجد منبرا مبنى باللبن والطين والجص بارتفاع 2م وطول 1,50م وعرض 0,80م، مدخل المنبر بدون إطار يتكون من صدر يرتفع 0,90م وعرضه 0,80م؛ وهو يتمثل في مشكاة يعلوها قوس مكسور، جوانبه بسيطة وغير مزخرفة يحتوي على خمس درجات بارتفاع 0,22م وعمق 0,30م.

**ج - العناصر المعمارية:** تتكون من أربعة عناصر هي:

**ج1 - الروافع:** يوجد ثلاثة أنواع؛ أعمدة ودعامات وأقواس، فبالنسبة لـ:

**- الأعمدة (السواري):** (الصورة: 17، ص 28)؛ في الوضع الحالي ليس للجامع أعمدة، وما نلاحظه أربعة دعائم ضخمة؛ إلا أننا نشير أن التخريب الذي لحق بهذه الدعائم أظهر ما يشبه أربعة أعمدة من الحجر أسطوانية الشكل مجتمعة في كل دعامة ونعتقد أنها كانت في الأصل على هذا الوضع؛ مثل مسجد القصبية في الجزائر العاصمة<sup>157</sup>، (الشكل رقم: 08)، وأن الترميمات المتتالية للمسجد أخفت هذه الأعمدة وأصبحت على شكل دعامة كبيرة مثل ما هو حاليا.



**- الدعامات:** (اللوحة: 12، ص 29)

**الشكل رقم: 08**

**التوضيح الافتراضي للأعمدة بالجامع العتيق برج بن عزوز**

توجد ثلاثة أشكال للدعامات المستعملة بالجامع منها المعينة وأخرى على شكل حرف T اللاتيني وثلاثة على شكل متوازي المستطيلات، فالدعامات المعينة الشكل تتوسط بيت الصلاة عددها أربعة يبلغ ارتفاعها متران وطول ضلعها 0,73م، أما الدعامات التي على شكل حرف T اللاتيني عددها ستة، وهي عبارة عن أنصاف دعائم تتوزع على جدران الجامع كما هو الشأن في بيت الصلاة في جامع الخذري، وهي موزعة على جدران الجامع؛ اثنان في كل من الجدار الشرقي والجدار الشمالي والجدار الجنوبي بارتفاع 1,70م وعرض 1م وبروز 0,60م، يعلو كل نصف دعامة ثلاث ركائز أسطوانية الشكل بقطر 0,30م وارتفاع 0,50م مبنية بالحجر ومغطاة بطبقة من الجص، لها قاعدة أسطوانية يمكن اعتبارها بمثابة الكتف، ورؤوس بمثابة طنف بشكل متوازي المستطيلات بارتفاع 0,17م وطول 0,35م وهي مزينة بالجص؛ يمكن تشبيهها بالعناصر الموجودة بين التيجان والأقواس في بعض المساجد خاصة المسجد الجامع بالقيروان حيث ظهرت لأول مرة<sup>158</sup>

وبالنسبة للشكل الثالث المتوازي المستطيلات فعددها اثنان فقط نجدها في الجدار الغربي يبلغ ارتفاع الواحدة منهما 1,70م وعرض 1م وبروز 0,40م، كما نجد ربع دعامة في كل ركن من أركان بيت الصلاة ببروز 0,40م.

### - الأقواس: ( اللوحة:11، ص26)

أقواس مدببة جاءت على هيئة قوسين مندمجين يعتمد عليها بيت الصلاة، قطرها 2,50م وارتفاعها 2م وعرض 0,48م؛ وهي تشبه الأقواس الموجودة في مسجد سيدي الحلوي ومسجد سيدي أبي مدين بتلمسان والجامع الكبير بفاس<sup>159</sup> والجامع الجديد بالجزائر<sup>160</sup>.

### ج.2 - السقف: ( الصورة:18، ص30)

سقف مقبب يتكون من تسعة قباب؛ ثلاثة منها في الوسط تأخذ الشكل النصف الإهليلجي تختلف من حيث مستوى الارتفاع، أما الجانبية فهي ستة تتوزع ثلاثة في كل جانب تأخذ شكل قبو، منخفضة من حيث الارتفاع بالمقارنة مع القباب الوسطى.

### ج.3 - القباب: ( الصورة:18، ص30)

يقوم نظام التغطية في الجامع الذي نحن بصدد دراسته على القباب التي تعتبر من مميزات العمارة العثمانية بالجزائر، فالجامع يحتوي على تسع قباب؛ قبة وسطى مثل مسجد علي بتشين ومسجد سيدي عبد الرحمن ومسجد كتشاوة ومسجد القصبية الداخلي وجامع صفر والجامع الجديد بالجزائر<sup>161</sup>، وقبة خلفية في آخر البلاطة الوسطى عمودية على المحراب وقبة أمام المحراب مثل مسجد علي بتشين<sup>162</sup>؛ هذه القباب نصف إهليلجية الشكل تقوم على قاعدة ثمانية أضلاع محتوية على ثمان ألواح مثلثة الشكل تمتد من قمة القبة إلى قاعدتها مثل قباب مسجد علي بتشين ومسجد سيدي عبد الرحمن ومسجد كتشاوة ومسجد القصبية الداخلي وجامع صفر بالجزائر<sup>163</sup>، على يمين قباب البلاطة الوسطى نجد ثلاث قباب جانبية منخفضة ونفس الشيء على اليسار وهي تأخذ شكل قبو من الخارج أي مقببة مقوسة ومن الداخل ثمانية الزوايا تقوم على مثلثات كروية مثل ما هو الشأن في مسجد القصبية الداخلي<sup>164</sup>، بالنسبة لقباب البلاطة الوسطى تقوم على قاعدة مربعة تتحول إلى قاعدة ثمانية الأضلاع بواسطة أربع مشكاوات ذات شكل نصف قبيبة يبلغ قطر كل قبة 3م وارتفاع 2,20م للقبية الأمامية والوسطى، أما الخلفية فهي تنخفض قليلا فارتفاعها هو 1,80م، والقباب الجانبية لها نفس قطر قباب البلاطة الوسطى لكنها منخفضة إرتفاعها لا يتعدى 1م. (اللوحة:13، ص31)

158 - رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص226.

159 - Bourouiba. R, L'art Religieux Musulman en Algérie, PP170-201.

160 - Dokal , R, op. cit , P37.

161 - Marcais. G, L'architecture Musulman d'Occident, PP427-434.

162 - Dokali R, op cit , P57.

163 - Marcais. G, L'architecture Musulman d'Occident, PP427-434.

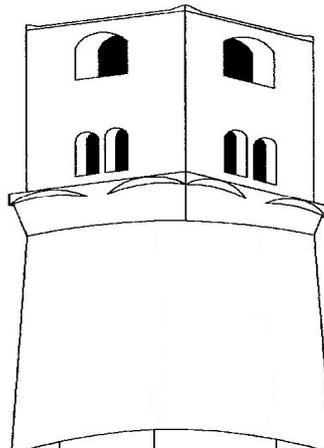
164 - Dokali Rachid, op cit , P57.

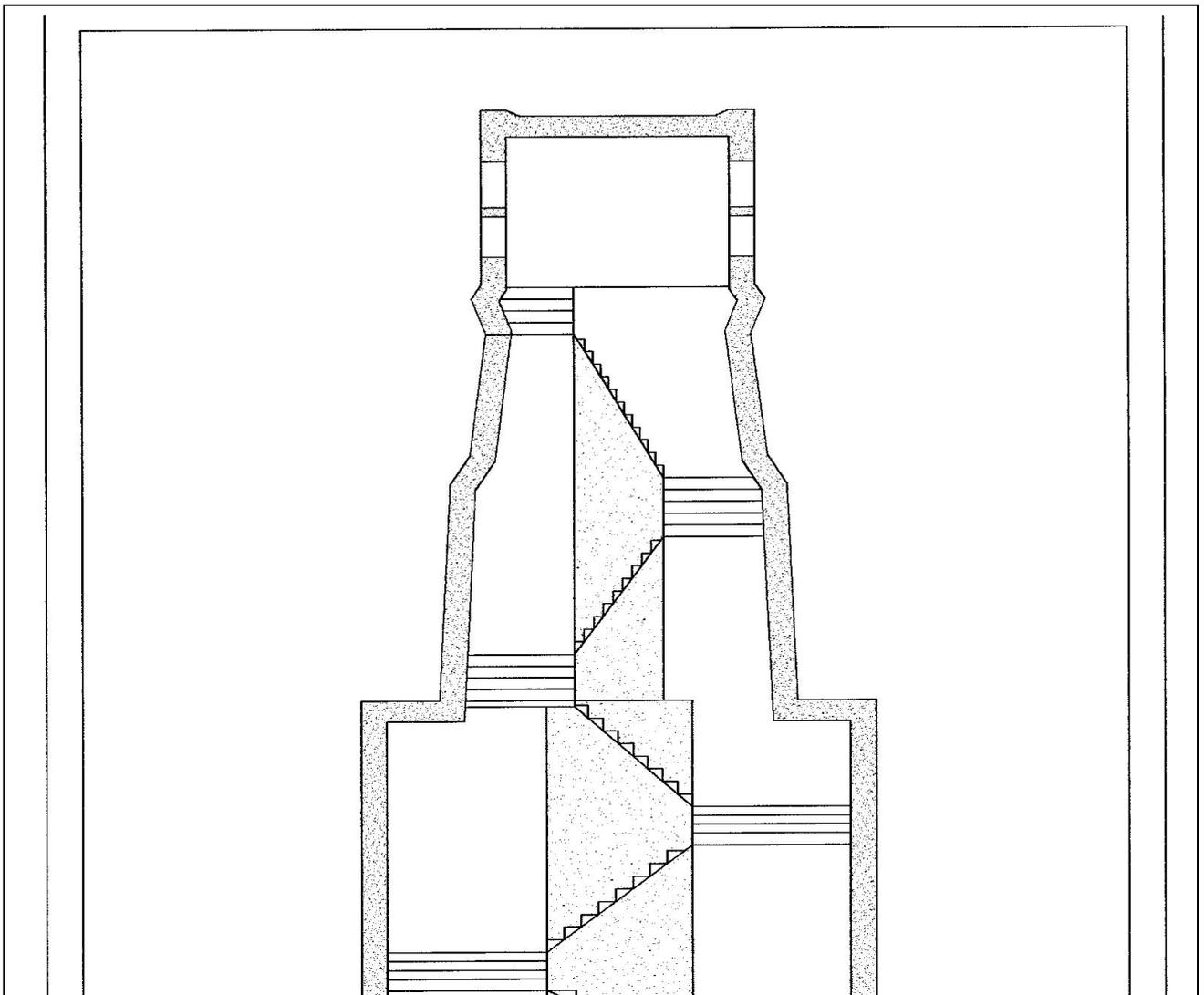
زخرفة القباب بسيطة تتمثل في بعض الأشكال المعمارية؛ حيث نجد قباب البلاطة الوسطى تقسم قواعدها المربعة الشكل إلى جزأين أحدهما سفلي والآخر علوي، يفصل بينهما طنف مفصص، ففي الجزء السفلي في كل جهة من الجهات الأربعة نجد نافذة صغيرة وسطى ضمن مشكاة يعلوها قوسان مكسوران ونافذتان صغيرتان مثلثتي الشكل ضمن مشكاتين يعلوها قوس مكسور واحد على يمين النافذة الوسطى والأخرى على يسارها، وفيما يخص الجزء العلوي في الجهات الأربعة نجد نافذة صغيرة مثلثة الشكل ضمن قوس تامة تقع بين مشكاتي مناطق الانتقال ذات الشكل المقرب، وبالنسبة للقباب الجانبية نجد في كل وجه من وجوه القواعد المربعة مشكاتين يعلوها قوسان مكسوران ونافذة صغيرة دائرية الشكل ضمن قوس نصف دائرية تتوسط مشكاتي الانتقال. (الصورة: 19، ص 32)

#### ج.4 - المئذنة: ( الصورة: 14، ص 23)

أقيمت المئذنة في الركن الغربي للجامع؛ تهدمت عام 1389هـ/1969م إثر الفيضانات التي تعرضت لها المنطقة لذلك ستكون دراستنا للمظهر الخارجي فقط، انطلاقاً من صورة المئذنة الموجودة في كتاب "المساجد في الجزائر" والوصف الذي جاء به "حسين مؤنس" في كتابه "المساجد" عند حديثه عن المساجد في منطقة الزاب حيث يقول: " في قرية البرج في إقليم الزاب نجد مئذنة غريبة الشكل " 165 ؛ فهي غريبة الشكل فعلا مقارنة مع الطابع الغالب على مآذن المشرق والمغرب الإسلامي، أما بالنسبة لمنطقة الزاب فنجد في بعض الأماكن القريبة من برج بن عزوز مآذن تشبه كثيرا هذا الشكل وبنفس مواد بنائها مثل مئذنة سيدي عبد الرحمان بمليلي وهذا يدل على إبداعات خاصة انفردت بها المنطقة مثل ما تميزت به مدينة سمراء بملويتها. لم يتم إتباع نموذج مآذن المغرب الإسلامي في بنائها، فهي تتكون من أربعة أقسام تختلف من حيث الشكل والارتفاع (الشكل رقم: 09) (الشكل رقم: 10) حيث نشاهد:

- القسم الأسفل مربع الشكل، يمكن اعتباره قاعدة المئذنة؛
  - ثم يأتي القسم الثاني سداسي الشكل وهو أكثر ارتفاعا، تزين ثلاث واجهات من واجهاته نوافذ مستطيلة الشكل نهايتها عبارة عن قوسين منخفضتين؛
  - أما القسم الثالث فهو أسطواني الشكل والأقل ارتفاعا؛
  - أخيرا القسم الرابع في الأعلى مربع الشكل مثل القاعدة، يمكن إعتبره سطوح الأذان، يزين في كل جهاته الأربعة من الأسفل إلى الأعلى بقوسين منخفضين فوقهما نافذتان مستطيلتا الشكل نهايتهما مقوسة بقوسين على شكل نصف دائرة وتعلوهما نافذة أخرى تتوجها قوس تامة.
- من غير المستبعد أن تكون هذه المئذنة قد احتوت على شرفات لوجود أثار لذلك، ولأن سقف الجامع في حد ذاته متوج بأربع شرفات مدرجة لكن لا تحتوي على بريح، بنيت هذه المئذنة باللبن والطين مثل ما هو بارز في الصورة في القاعدة والجزء السداسي الشكل، بينما الجزء الأسطواني والمربع الأعلى فهما ملبسان بالجص ولا يستبعد أنهما من نفس المادة.





### 3 - الدراسة الفنية

يتميز الجامع العتيق ببرج بن عزوز باستعمال عناصر زخرفة بسيطة لا تتعدى بعض الأشكال الهندسية والكتابية، وهي تدل على الفقر الفني الذي ساد هذه الفترة.

أ - **العناصر الهندسية:** تمثلت في أشكال هندسية كالأقواس النصف مستديرة تزين الجزء العلوي من القواعد المربعة لقباب البلاطة الوسطى في بيت الصلاة، وفي الجزء السفلي من هذه القواعد نجد أقواس مكسورة ذات مركزين تزين النوافذ والمشكاوات. ( **الصورة:19، ص32** )

بالإضافة إلى استعمال محارات نصف مقببة تنتقل بواسطتها قباب البلاطة الوسطى من القاعدة المربعة إلى القاعدة ذات الثمانية أضلاع، ومشكاوات معقودة مكسورة تزين كل وجه من وجوه القواعد المربعة لقباب البلاطة الوسطى، وأخرى تزين أعلى جدران بيت الصلاة من الخارج تعلوها أقواس مكسورة؛ تسعة بالجدار الشرقي ومثيلاتها بالجدار الشمالي. ( **اللوحة:10، ص24** )

وفي القبة التي تعلو المحراب من الخارج في حافة الانتقال من الجزء المثلث إلى المقرب نجد شريط من الأقواس النجمة الصغيرة المتتالية البارزة في شكل أهلة في وسط كل واحد منها ( في وسط كل هلال ) نجمة خماسية غائرة وهذا ما يعبر عن الرمز الإسلامي، بين كل قوسين من الأقواس المذكورة نجد مثلثين متجاورين، ونجد نفس الأشكال على الجزء المثلث الذي تعلو المحراب في شكل قوس مكسورة تعلو الفتحة المثلثة الشكل، وفي حافة القوس نجد نفس الأشكال المذكورة سابقا. ( **الصورة:20، ص33** )، وفي داخل الجامع نجد عند نهاية كل قوس من الأسفل سلسلة من المثلثات المتتالية البارزة التي يرسمها الخط المنكسر، ونفس الأشكال نجدها في قاعدة كل قبة. ( **اللوحة:12، ص29** )

#### ب - العناصر الخطية: ( **اللوحة:9، ص22** )

من بين الخطوط التي نجدها الخط المغربي؛ الذي أستعمل في الكتابة التي تؤرخ لترميم وإصلاح الجامع وليس بقصد الزخرفة لأنه يخلو من أي مسحة جمالية، جاءت هذه الكتابة منقوشة على لوحتين من الجص موضوعتين بجانب بعضهما البعض في أعلى المدخل الرئيسي للجامع، اللوحتان متساويتان من حيث القياس، مستطيلتا الشكل بطول 1م وعرض 0,70م مضمونهما:

**اللوحة اليمنى:** تضمنت أربعة أسطر وجاء فيها:

- السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم
- السطر الثاني: قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
- السطر الثالث: وقال صلى الله عليه وسلم من بنا مسجدا
- السطر الرابع: لله بنا الله له قصر في الجنة.

**اللوحة اليسرى:** تضمنت سبعة أسطر وجاء فيها:

- السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله
- السطر الثاني: قد تم بناء المسجد على يد السيد
- السطر الثالث: محمد العيد بن محمد السوفي
- السطر الرابع: القماري 24 في شهر رجب الفرد
- السطر الخامس: عام 1339 من الهجرة النبوية
- السطر السادس: على صاحبها أفضل الصلوة
- السطر السابع: وأزكى التحية

نلاحظ أن الأسلوب المتبع في هذه الكتابة بسيط جدا وخال من أي زخرفة ولا توجد به أي مسحة جمالية كما نقف على بعض الأخطاء كاستعمال كلمة "بناء" والأصح هي ترميم أو إصلاح لأن الجامع بني قبل التاريخ الذي تشير إليه اللوحة، وأخطاء في كتابة الكلمات فنجد كتابة "بناء" بالألف الطويلة بدلا من بني بالألف القصيرة، و" الصلوات " كتبت بناء مربوطة صلواة، وقد يفسر هذا بعدم تمكن كاتب اللوحة بقواعد اللغة العربية.

## الفصل الثالث

# الزوايا والأضرحة الأثرية بمنطقة الزاب

### تمهيد:

تميزت الجزائر في العهد العثماني بانتشار الطرق الصوفية فكثرت المباني المخصصة لها المجسدة أساسا في الزوايا والأضرحة التي فاق عددها المساجد والمدارس، وهذا ما يلاحظ جليا بمنطقة الزاب التي كانت ولا زالت تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين. وفي هذا الفصل سنحاول دراسة ووصف وتحليل زاويتين تعدان من أشهر زوايا المنطقة هما: - زاوية علي بن عمر بطولقة، ثم الزاوية المختارية بأولاد جلال. أما بالنسبة للأضرحة فقد اخترنا ضريحين يعودان إلى ما قبل العهد العثماني وهما: - ضريح أبو المهاجر دينار بسيدي عقبة، وضريح خالد بن سنان العبسي بمنطقة سيدي خالد. وسوف نقوم بمناقشة تاريخ إنشائهما، مع الدراسة المعمارية والفنية لكل منهما.

## أولاً: الزوايا

عرفت منطقة الزاب خلال العهد العثماني إنتشار الزوايا على غرار باقي مناطق الجزائر، وفي هذا العنوان سوف نتناول بعض الزوايا التي لا زالت تنشط إلى الآن؛ منها:

### 1 - زاوية علي بن عمر (الزاوية العثمانية) طولقة

أ - موقع الزاوية وتاريخ إنشائها

- الموقع: (الخريطة رقم: 05 الملحق 03)

تقع الزاوية في الجهة الجنوبية من مدينة طولقة وبالتحديد في نقطة تقاطع خطي طول وعرض (س، ع) = (160.50، 745.40)، وطولقة: واحة جميلة وكبيرة في وسطها قرية ضخمة، تقع ضمن الزاب الظهر اوي؛

وهي مدينة قديمة حيث يذكرها البكري في موضعين فيقول: "...ومن مدنها \* مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي..." وأيضاً: "...طولقة هي ثلاث مدن كلها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعاب والنخل والشجر وجميع الثمار، إحداها يسكنها المولدون والثانية يسكنها اليمين والثالثة يسكنها قيس " <sup>166</sup> ، ويذكرها الحموي: "...طولقة مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقيع الجريد." <sup>167</sup> ، أما ابن خلدون فيذكرها ضمن مناطق الزاب <sup>168</sup> .

ومدينة طولقة موغلة في التاريخ يرجعها حسن الوزان إلى العهد النوميدي، ويصفها وصفا سلبيا مثل ما رأيناه في بسكرة، لأنه زار المنطقة وهي تعيش فترة اضطرابات من خلال غارات الأعراب وتسلط الحفصيين، ويشير بأنها مدينة غنية اقتصاديا بإنتاجها التمر لكن كثرة الضرائب المفروضة على سكانها جعلتهم يعيشون في فقر وبخل، فهو يقول: " طولقة مدينة بناها النوميديون، يحيط بها سوراً حقيراً ويمر قريبها جدول ماء ساخن، تنتج أراضيها كثيراً من التمر وقليلاً من القمح، سكانها فقراء هم أيضاً، ومتقلون بالأتوات من قبل الأعراب وملك تونس لكنهم في غاية البخل والكبر، ينظرون إلى الغرباء نظرة السوء" <sup>169</sup>، وتؤكد الآثار المادية ما ذكره حسن الوزان بأنها مدينة قديمة، حيث عثر على بقايا قلعة محصنة بقياس 30م على 22م، يسميها الأهالي القصبة (Kasbat) مبنية بالحجارة المنحوتة، الأساس مازال في حالة جيدة بالمقارنة

مع المناطق العلوية، أحد أبواب هذه القلعة مازال في حالة جيدة يعرف بباب القوس ( La porte de Larccad)، يمكن القول أن هذه القلعة قد بنيت من قبل البرنطيين فوق قلعة رومانية، كما عثر على كميات كبيرة من البقايا في شمال غرب الواحة، التي تربط بعدة طرق قديمة ترجع إلى العهد الروماني مع باقي الواحات، منها طريق يبدأ من سفح جبل سلوم ويتجه إلى الجنوب الغربي وأخرى إلى الدوسن عبر طولقة

\* يقصد بسكرة (الهاء تعود على بسكرة).

<sup>166</sup> - البكري، مصدر سابق، ص 52، 72.

<sup>167</sup> - ياقوت الحموي، مصدر سابق، المجد الرابع، ص 50.

<sup>168</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ص 510.

<sup>169</sup> - حسن الوزان، مصدر سابق، ص 140.

وأيضاً إلى مليلي دون المرور بطولقة.<sup>170</sup>، وطولقة مدينة علم وفقاً لما جاء به الورتلاني حيث يذكر العديد من شيوخها: "...وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها مع أهل الفضل والعلم" <sup>171</sup>

**- تاريخ إنشائها:** أسست الزاوية من طرف علي بن عمر بن أحمد؛ وهو شخص عرف بالزهد والصلاح والتقوى يتصل نسبه بالحسن السبط ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وابن الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه فهو: علي بن عمر بن أحمد بن عمر.... بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولد في بلدة طولقة حوالي سنة 1166هـ-1750م نشأ ببلدته نشأة الصالحين انصرف إلى العبادة منذ مطلع حياته إنقطع لقراءة القرآن الكريم وتفرغ للذكر حيث اتخذ موضعاً يسمى الشهب وهو جبل قريب من طولقة بنحو 14 كلم ليقضي فيه أوقاته بالصلاة والذكر والطاعة لعدة سنوات بعيداً عن الناس والدنيا<sup>172</sup>، كان له ابن عم يسمى سيدي علي أيضاً، من تلاميذ الشيخ محمد بن عزوز في بلدة البرج عرض عليه أخذ الطريقة على سيدي ابن عزوز، فلم يجبه إلى ذلك فأخذ يكرر عليه القول إلى أن قبل فأصطحبه إلى الشيخ ابن عزوز وأبلغه بأنه يريد أخذ الطريقة، فأجابه ابن عزوز لا يأخذ الطريقة مني إلا إذا كان متوضئاً، صائماً، فقال له: إنه متوضئ، صائم فقال له ابن عزوز: ما اسمه؟ قال: علي بن عمر، فقال له الشيخ ابن عزوز: تقدم أنت صاحبها، ولازم شيخه إلى أن أصبح متمكناً وأهلاً للمشيخة حيث قال له شيخه: " من شيخنا لي، ومني إليك فقط " وأمره بجعل زاوية في بلدته<sup>173</sup>، بعودته إلى بلدته طولقة عاصمة الزاب الغربي أسس علي بن عمر زاويته سنة 1194هـ-1780م التي أصبحت منارة للعلم والعلماء وعرفت واشتهرت في كافة أنحاء الجزائر وحتى خارجها، فقد عملت على نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم ومساعدة الفقراء واليتامى وأبناء السبيل وإيواء المساكين والمحتاجين وصيانة الإسلام والدفاع عنه بالقول والعمل<sup>174</sup>، أدى علي بن عمر فريضة الحج برفقة شيخه محمد بن عزوز سنة 1231هـ-1816م أين التقى بالسلطان عبد الرحمان بن هشام وهو من عائلة سلاطين فاس بالمغرب الذي دعا له الشيخ علي بن عمر بنيل السلطة بعد العودة من الحج عندما قدم دواء لشيخه محمد بن عزوز، وتحققت دعوة الشيخ الشيء الذي جعل السلطان عبد الرحمان بن هشام يكتب رسالة للشيخ يشكره فيها ويكافئه بمبلغ من المال لبناء مقامه وتوسيع زاويته والإنفاق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل<sup>175</sup>، وبعد مرور اثنان وتسعون سنة قضاها الشيخ علي بن عمر في الوعظ والإرشاد، استشهد يوم الخميس في 3 ربيع الأول سنة 1258هـ-1842م وهو يسعى للصلح بين حاكم بلدة سيدي عقبة وحاكم طولقة بعد ما هاجمت مجموعة مجهولة بلدة سيدي عقبة وألحقت الضرر بها وشاع أن هذه الجماعة فرت هاربة إلى طولقة فنزل حاكم سيدي عقبة مع قوة عسكرية يتربق هذه القوة الغازية في الوقت الذي كان فيه سكان طولقة ينفون وجود هؤلاء بينهم، فركب علي بن عمر حصانه مع مجموعة من أتباعه وقصدوا معسكر حاكم سيدي عقبة، ولما اقترب الشيخ من المعسكر صاح رجل بأن الشيخ أتى، فظن أحد عساكر محمد الصغير اسمه فرحات العمري أن القادم هو شيخ بلدة طولقة فأطلق عليه النار، سقط الشيخ شهيداً فنقل إلى زاويته حيث دفن

176

## ب - الدراسة المعمارية: ( الشكل رقم: 11 )

أنظر. <sup>170</sup> - توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص207.

-Gsell. S, op.cit, feuilleN° 48 , PP,2-3.

-Dellatre. A.L, op.cit,P276.

- Baradez. J,op.cit.,PP 120-329.

- Magulonne. J, op.cit, P288.

<sup>171</sup> - الورتلاني، مصدر سابق، ص6.

<sup>172</sup> - علي رضا الحسيني، زاوية علي بن عمر طولقة( الجزائر)، الدار الحسينية للكتاب، دمشق، 2002، صص 11-12.

أنظر. <sup>173</sup> - عبد الرحمان بن الحاج بن علي بن عثمان، الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز، مطبعة النجاح قسنطينة، 1350هـ، ص14.

- علي رضا الحسيني، مرجع سابق، ص11.

<sup>174</sup> - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزاويا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، بيروت، 2002، صص 394 – 395.

<sup>175</sup> - علي رضا الحسيني، مرجع سابق، صص 12-13.

أنظر. <sup>176</sup> - صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص396.

- علي رضا الحسيني، مرجع سابق، ص12.

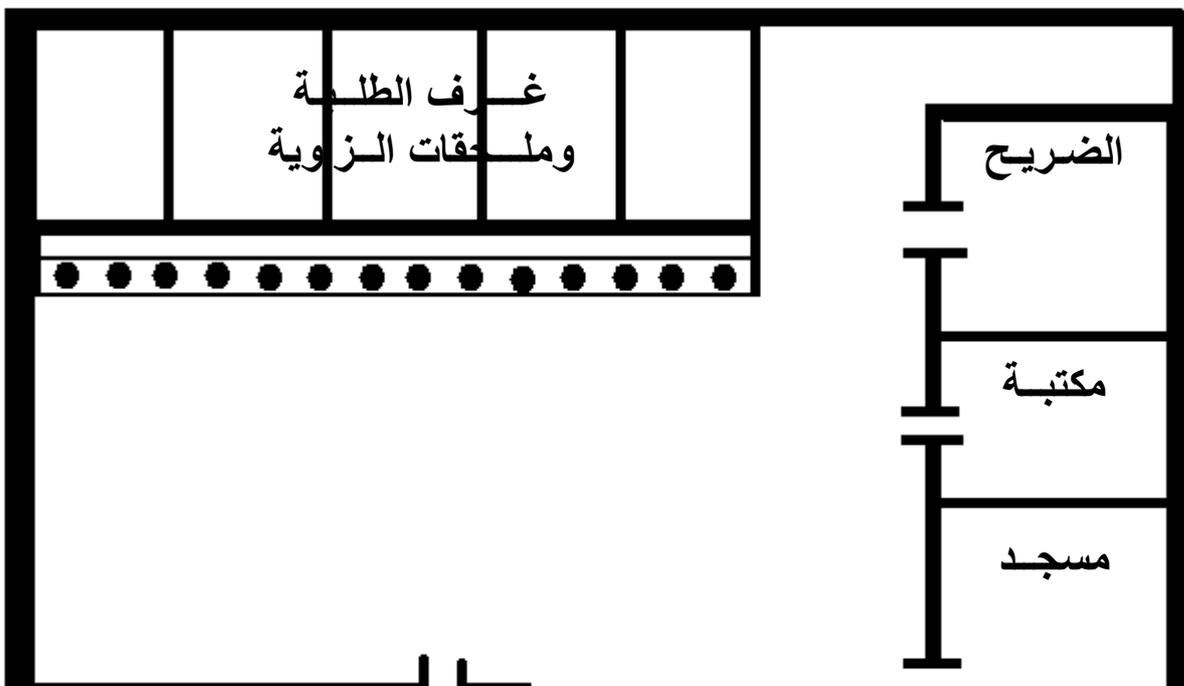
بُنيت الزاوية على أرض ملك لمؤسسها وأسرته أوقفها لعمل الخير، وفقا لمخطط بسيط يتمثل حسب وصف احد أحفاد مؤسسها الشيخ عبد القادر العثماني على أرض مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب ينفذ إليها من باب في الجدار الشمالي يؤدي مباشرة إلى صحن مكشوف، إلى يمين الصحن وعلى إستقامة واحدة نجد مسجد ثم غرفة كبيرة ثم ضريح مؤسس الزاوية وإلى اليسار نجد مجموعة من الغرف الصغيرة في طابقين تليها غرف أخرى مخصصة لمختلف الإستخدامات (مطبخ، مخازن للمؤونة،...).

### جـ - العناصر المعمارية:

**ج1 - المسجد:** يستخدم أيضا للتدريس، يتقدم الزاوية على الجهة اليمنى، مربع الشكل تقريبا ينفذ إليه من باب صغير يفتح على الصحن يحتوي على محراب مجوف بسيط، تعلوه قبيبة صغيرة شبه دائرية، سقفه مستوي يقوم على جذوع النخل وسعفها وهو بدون مؤذنة.

**ج2 - الضريح:** غرفة مربعة الشكل يتوسطها ضريح علي بن عمر مؤسس الزاوية تعلوه قبة مخروطية الشكل أو على شكل قوس منكسر مثل القباب المنتشرة على أضرحة الزيبان.

**ج3 - غرف الطلبة:** كان بالزاوية مجموعة من الغرف صغيرة مختلفة المساحة منتظمة في طابقين تشرف على الصحن، تشتمل كل غرفة على باب ضيق لا يزيد عرضه عن 0,75م بكل غرفة نافذة صغيرة لإدخال النور، كما زودت كل منها بحنية صغيرة مجوفة في الجدار تستعمل إما لحفظ أغراض الطلبة أو لوضع المصباح، وهي مغطاة بسقف مستوي يمثل أرضية لعدد مماثل من الغرف في الدور العلوي، بنيت الزاوية بمواد بسيطة محلية تتمثل في الحجارة في الأساس والطوب المجفف للجدار (يصنع بعجن الطين وخلطه مع التين ثم تشكيله بقوالب خاصة) وجذوع النخل وسعفها للسقف بوضع عوارض متوازية من جذوع النخل ثم بوضع جريد النخل حتى يشكل طبقة تغطي بطبقة من السعف ثم توضع طبقة من الطين ثم طبقة من الجبس (الشكل رقم:04)، وبما أن المواد التي أسست بها الزاوية كانت هشة فإن التهديم والتخريب يصيبها بين الحين والآخر، لذلك وللحفاظ على الزاوية والدور الهام الذي تقوم به؛ تم تهديمها في النصف الثاني من القرن العشرين (1968م)، ومع المحافظة على تخطيطها القديم أعيد بناؤها بمواد حديثة مع نوع من التوسيع حيث تشتمل حاليا على المسجد، والمكتبة (المكتبة العثمانية نسبة لمؤسسها علي بن عثمان التي تحتوي على نفائس الكتب والمخطوطات خاصة في التفسير وعلوم القرآن)، وضريح علي بن عمر، وأربعة أقسام لتعليم القرآن، وقسمان للتعليم التربوي، وقاعات للمطالعة مجهزة بالحواسيب، ومرآقد، وحمامات، ومرافق أخرى.



## 2 - الزاوية المختارية بأولاد جلال أ - موقع الزاوية وتاريخ إنشائها

- **الموقع:** (اللوحة: 14، ص34) تقع الزاوية في وسط مدينة أولاد جلال عند نقطة تقاطع خطي طول وعرض (س،ع) = (128.25، 718.05) ( الخريطة رقم: 06 الملحق 04)، و أولاد جلال: واحة من واحات الزاب الغربي، بها محطة أثرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ تتمثل في بازيناس ذات دفن جماعي، لا توجد بها آثار رومانية ما عدا بعض البقايا الأثرية التي وجدت على أطراف الطريق الرابط بين ذراع الرمل وأولاد جلال<sup>177</sup>.

لا نقف على ذكر لأولاد جلال من قبل الرحالة والجغرافيين العرب ما عدا العياشي الذي يقول: " وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء المهاجرين وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم إتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمجاهدين وقد صدقوا في ذلك " <sup>178</sup>. أما توفيق المدني فيبين أهميتها الإقتصادية بقوله: " من أبدع واحات الجنوب...بها مسجد بديع الصنع، يقام بها كل يوم خميس سوق من أكبر أسواق الجنوب والمواشي، وعلى مقربة منها مناجم الجبس الشفاف " <sup>179</sup>

- **تاريخ إنشائها:** أسست الزاوية على يد الشيخ المختار الجيلالي وهو من أشرف منطقة الزيبان، نسبه يرقى إلى نسب شريف مثل علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة فهو: المختار بن خليفة بن أحمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن...أحمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ورضي عنه بن أبي طالب وابن سيدتنا فاطمة الزهراء ابنة سيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولد ببلدة سيدي خالد سنة 1202هـ-1788 م، نشأ وترعرع بها ثم انتقل إلى زاوية محمد بن عزوز بالبرج أين أخذ الطريقة رفقة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ علي بن عمر<sup>180</sup>، عرف بأنه صاحب الفتح الطالع والكشف اللامع والبصيرة الخارقة والكرامات الباهرة والأحوال الفاخرة والمقامات الجليلة، اشتاقت نفسه إلى شيء من الأكل فعاقبها بصيام ثلاث عشر سنة، يصوم نهارها ويقوم ليلها<sup>181</sup>، عند عودته أسس زاوية بقرية سيدي خالد عام 1230هـ-1815م مثل ما طلب منه معلمه محمد بن عزوز، لكن لم يطل به المقام هناك فانتقل إلى أولاد جلال أين استقر ونقل زاويته التي أوقفها لطلاب العلم وحفظ القرآن وبنى قبته التي دفن بها عندما توفي يوم الأربعاء 22 من ذي الحجة 1276هـ-11 جويلية 1860م<sup>182</sup>، إضافة إلى نشاطه

أنظر <sup>177</sup> - محمد الصغير غانم، مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، ص 31-36.

- Gisell. S, op cit,feuille N°=48, P6.  
-Delattre. A.I, op cit,PP273-274

<sup>178</sup> - العياشي، مصدر سابق، ص106.

<sup>179</sup> - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص183.

<sup>180</sup> - محمد الصغير المختار، تعطير الأكوام بنشر شذا نفحات أهل العرفان، مطبعة التعاليمية، الجزائر، 1916، ص14.

<sup>181</sup> - أبي القاسم محمد الحفناوي، مرجع سابق، ص564.

<sup>182</sup> - محمد الصغير المختار، مرجع سابق، ص 17-18.

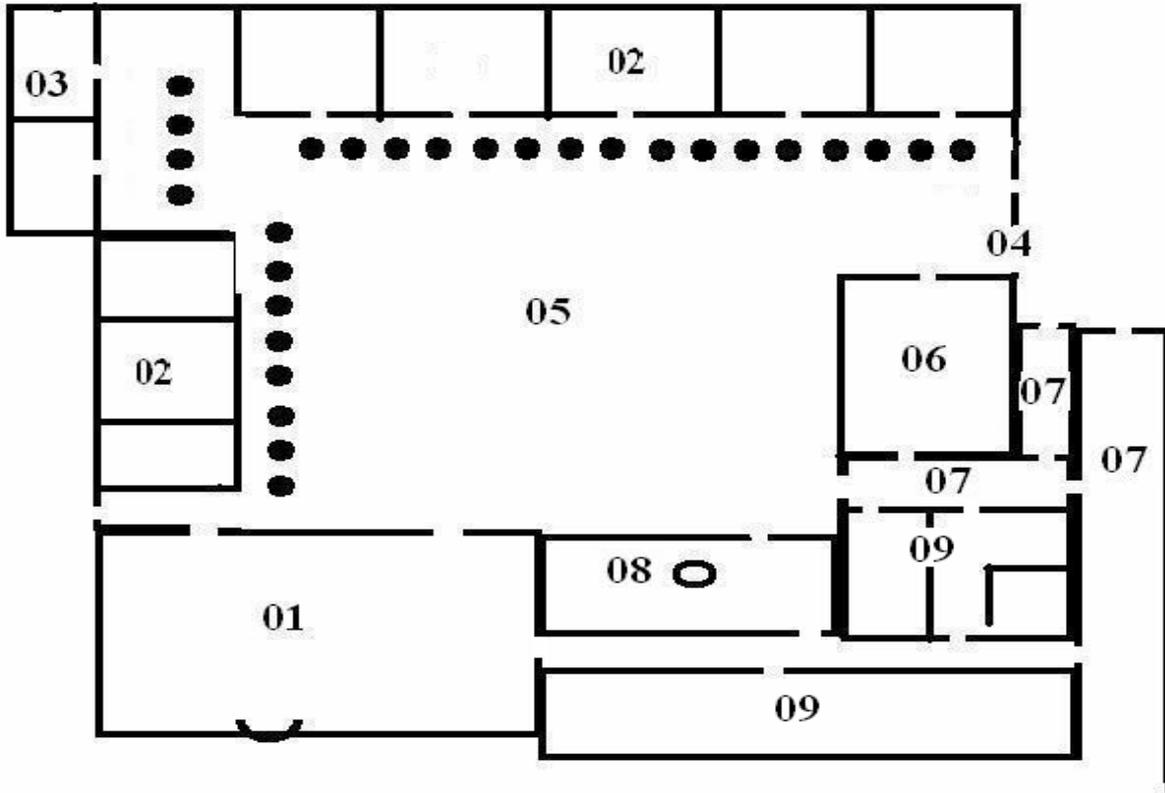
العلمي الديني، كان للشيخ نشاط عسكري حيث شارك في الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي إلى جانب شريف بومعزة عام 1262هـ-1846م والشيخ محمد بوزيان قائد ثورة الزعاطشة عام 1265هـ-1849م.

#### ب - الدراسة المعمارية:

من خلال صورة قديمة (اللوحة:15، ص35)، وبعض الآثار مثل الأعمدة القائمة ومحراب مسجد الزاوية القديمة... نلاحظ تغير في عمارتها وهذا ما يبين أنها عرفت عدة إصلاحات وترميمات وحتى تجديد لبعض مرافقها، إلا أننا لم نعثر على وثائق تحدد تاريخ الترميمات، لذلك ستكون دراستنا للزاوية القائمة حالياً.

#### ب.1 - الوصف الخارجي: ( الشكل رقم: 12 )

حسب بعض المعالم التي لا زالت قائمة للزاوية القديمة (آثار المسجد القديم) (اللوحة:15، ص35) وصورة قديمة ووصف القائمين عليها؛ فقد كانت على شكل مضلع غير منتظم يتجه من الشرق إلى الغرب، حيث يوجد في الجهة الشرقية مسكن من طابقين للشيخ، وفي الركن الشمالي الغربي من الطابق الأول غرفة صغيرة كانت بمثابة الخلوة التي يتعبد بها، ومنها ينزل إلى المسجد حيث يوجد في الجهة الجنوبية منه خلوة على شكل قبة تحت الأرض ثم نجد ساحة كبيرة تحيط بها مجموعة من الغرف تنتظم في صفين؛ صف يتكون من ثلاثة غرف في الجهة الجنوبية، وصف ثاني يتكون من طابقين به خمس غرف في كل طابق في الجهة الغربية، تفتح كلها على الصحن وتحفها أروقة بها أقواس نصف دائرية محمولة على أعمدة أسطوانية. ( الصورة:21، ص36)



4 2 0

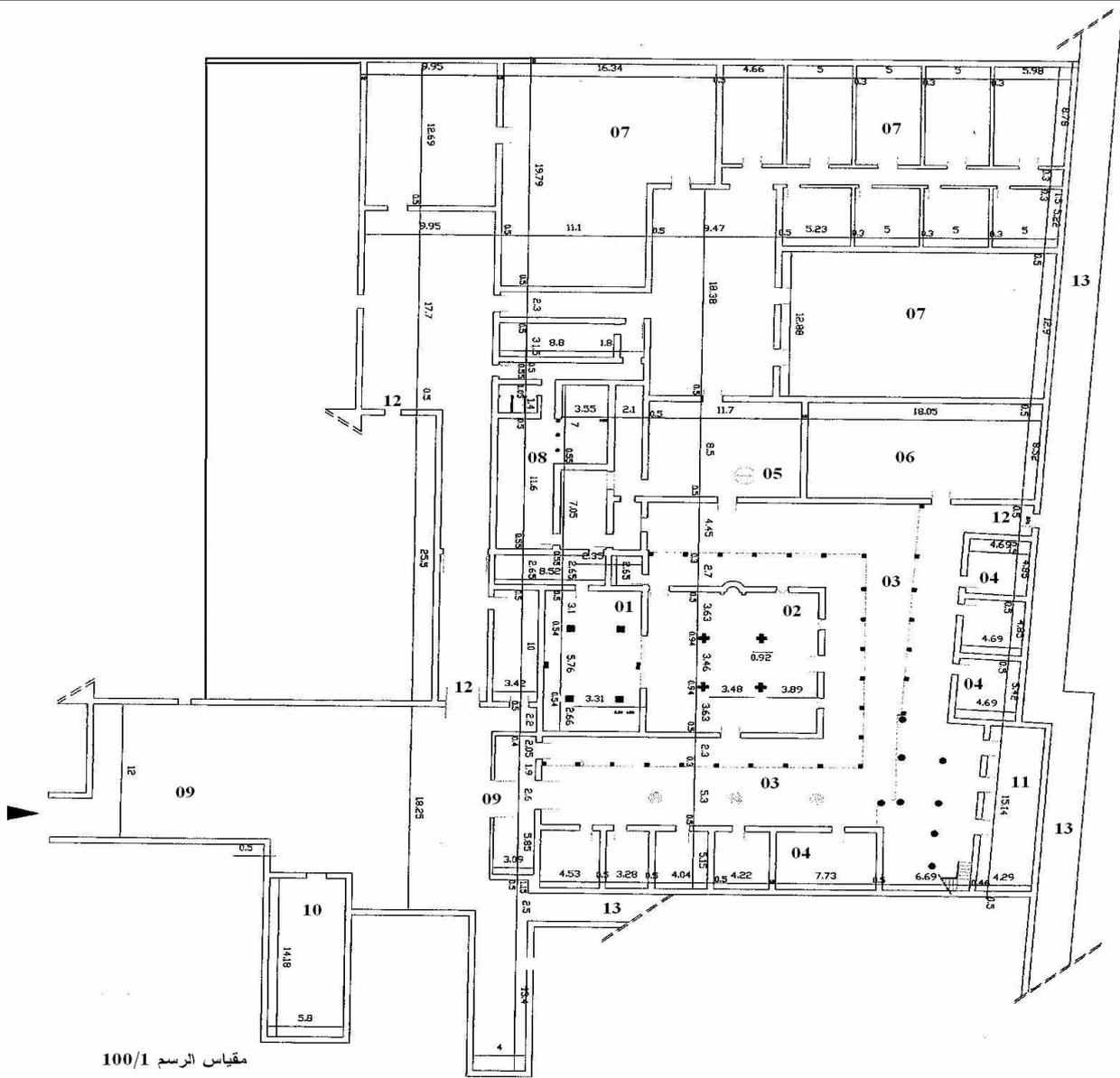
#### البيانات

- 01 - المسجد 02 - غرف الطلبة 03 - ملحقات الزاوية 04 - المدخل الرئيسي 05 - الصحن 06 -  
غرفة الضريح 07 - أروقة ومدخل ثانوية 08 - ساحة البئر 09 - منزل الشيخ

في الجهة الشمالية نجد غرفة الضريح، ورغم الإصلاحات إلا أنها حافظت على معظم معالمها مع تغيير بسيط يتمثل في نقل المسجد إلى جانب غرفة الضريح، وحول القديم إلى مقبرة صغيرة لأفراد العائلة والأتباع، مع إضافة غرف جديدة للاستقبال. والزاوية حالياً تتكون من مستطيل يمتد من الغرب إلى الشرق مساحته (72,04م X 43,38م)، الجهة الشرقية منه مساحة واسعة خالية مقترحة حالياً للتوسيع وإضافة بعض المرافق الجديدة، لذلك فالمجموعة البنائية تتمركز في الجزء الغربي الذي يتوسطه المسجد والضريح المحاطان بالصحن الممتد طولياً في الجهة الشرقية بطول 26,20م وعرض 7,15م وفي الجهة الجنوبية بطول 27,85م وعرض 10,30م وفي الجهة الغربية بطول 32,76م وعرض 7,60م، تحفه أروقة في الجهات الثلاث التي تحيط بالمسجد إضافة إلى رواق في الجهة الجنوبية، وفي الجهة الشرقية للصحن توجد مقبرة صغيرة لأفراد عائلة بن خليفة وفي الجهة الجنوبية مجموعة من الغرف الخاصة بالطلبة يليها المطبخ، أما الجهة الغربية فهي تتكون من طابقين السفلي غرف للطلبة والعلوي يصعد إليه بدرج في الركن الجنوبي الغربي أين نجد مجموعة من الغرف ومكتبة، وفي الجهة الشمالية الغربية من الساحة الخارجية بنيت مائضة حديثة مجهزة بكل الضروريات، الجدران الخارجية للزاوية مرتفعة إلى حدود 4,5م وسمك بين 0,50م و0,75م، بالنسبة لسقفها فهو مقبب فوق الضريح والمسجد، ومستوي فوق الأروقة وغرف الطلبة وباقي الملاحق.

للزاوية مدخلان رئيسيان في الجهة الشمالية؛ الأول خص بواجهة مرتفعة حديثة يؤدي إلى الصحن **(اللوحة: 14، ص 34)** تتمثل في قبة ومذنبتين صغيرتين أسطوانيتي الشكل، والثاني يؤدي إلى أروقة تفضي إلى مسكن الشيخ وقاعات الضيوف ومن ثم إلى غرفة الضريح وإلى الصحن من الجهة الشرقية، إلى جانب هاذين المدخلين نجد مجموعة أخرى من الأبواب منها ما يفتح مباشرة على الخارج، كالباب الموجود في الجهة الجنوبية بعرض 2,76م وآخر في الركن الشمالي الشرقي يؤدي إلى رواق يفضي إلى منزل الشيخ من الناحية الشرقية ثم إلى قاعات الضيوف، إضافة إلى مجموعة من الأبواب بين هذه القاعات وأخرى تفتح على الصحن خاصة بالمسجد والمقبرة وغرف الطلبة وباقي المرافق.

مظاهر الإصلاح والترميم واضحة في بعض مرافقها خاصة غرف الطلبة وهذا ما نلاحظه في السقف **(الصورة: 22، ص 37)** حيث تم تعويض بعض عوارضه المصنوعة من جذوع النخيل بأعمدة خشبية حديثة. ونشير أن الزاوية بنيت بمواد محلية وتقنيات معروفة لدى سكان المنطقة تمثلت في المزوجة بين الحجارة التي تستعمل في أساس الجدران ومادة البشيم ♦ لباقي الجدار لتلبس بالجبس المتوفر بكثرة بالمنطقة والذي يصنع محلياً من خلال طهي الحجار الكلسية في الفرن ثم يتم طحنها، أما التسقيف فلقد تم الاعتماد على جذوع النخل وجريدها وسعفها مثل التقنية التي ذكرناها في جامع سيدي موسى الخذري، أما القباب فاستعمل في تشكيلها حجارة البشيم والجبس. **(الشكل رقم: 13)**



مقياس الرسم 100/1

### البيانات

- 01 - غرفة الضريح - 02 - المسجد - 03 - الصحن - 04 - غرف الطلبة - 05 - ساحة البئر - 06 -  
 المسجد القديم (المقبرة) - 07 - التوسعة المبرمجة - 08 - غرف الضيوف - 09 - المدخل الرئيسي - 10 - المائضة  
 11 - المطبخ - 12 - مداخل ثانوية - 13 - شارع ثانوي

### الشكل رقم: 13

### المخطط الحالي للزاوية المختارية

عن: المهندس المعماري مبروك فويل، أولاد جلال .

الغربي (بعرض 0,65م وارتفاع 0,75م)، واثنان على جانبي الباب في الجدار الجنوبي (بعرض 1,30م وارتفاع 1,20م) واثنان في الجدار الشرقي على جانبي المحراب بنفس قياس نوافذ الجدار الغربي (الصورة: 26، ص 42) وفي أعلى الجدار الشرقي والجنوبي والغربي ثلاث فتحات مستديرة للإضاءة والتهوية في كل جدار، أما في الجدار الشمالي فقد فتحت نافذة كبيرة بعرض البلاطة الوسطى وارتفاعها يزيد عن مترين تؤدي إلى الضريح (اللوحة: 16، ص 38)، فتحت على جانبيها مشكائين أو دخلتين معقودتين مستطيلتي الشكل أسفل الجدار مخصصة لحفظ المصاحف. (الصورة: 27، ص 43)

- **الضريح:** عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل مقاساتها (13,1م X 8,5م) ندخل إليها من باب معقود نصف مستدير في وسط الجدار الشرقي مقاساته (0,95م وارتفاع 2,20م)، في الجدار الجنوبي فتحة تؤدي إلى المسجد، إضافة إلى ثلاث نوافذ مستطيلة الشكل واحدة بالقرب من الركن الشمالي الغربي والأخرى في وسط الجدار الغربي أما الثالثة فتقع في الركن الغربي الشمالي (اللوحة: 17، ص 44)، مع مجموعة من الفتحات الصغيرة المستديرة الشكل موزعة في أعلى جدران الغرفة للإضاءة والتهوية، كما توجد ثلاث فتحات في أسفل الجدارين الشمالي والغربي على شكل مستطيل مخصصة لحفظ الأغراض الخاصة بالضريح، مثل التي رأيناها في المسجد، وهناك رواقين يقعان على جانبي الغرفة في الجهتين الشرقية والغربية (بعرض 3,1م وطول 8,15م)، ليشكل لدينا في الوسط مستطيل أصغر بطول 5,76م وعرض 3,31م، في زواياه الأربعة نجد مجموعة من الأعمدة بعدد أربعة في كل زاوية بنفس الشكل الذي رأيناه في المسجد إضافة إلى أربعة في وسط الجدار الشمالي واثنان في الجهة الجنوبية (الشكل رقم: 16) تحمل هاته الأعمدة أقواس مكسورة في الجهتين الشرقية والغربية، ونصف دائرية في جوانب الرواقين ونصفا قوس في الجدارين الشمالي والجنوبي (اللوحة: 18، ص 45)، سقف الغرفة مقبب يتكون من قبة وسطى كبيرة تعلو ضريح مؤسس الزاوية وخلفائه، وقبتين صغيرتين وسط كل رواق (اللوحة: 19، ص 46).

- **غرف الطلبة:** متعددة وذات مساحة متوسطة منتظمة في صفين؛ صف موجود في الجهة الجنوبية يتكون من طابق واحد يشتمل على ثلاث غرف لكل منها باب مستقل يفتح على الرواق الذي يحف الصحن، ونوافذ صغيرة مستطيلة الشكل تعلوها قوس منخفضة تفتح أيضا على الصحن، سقفها مستوي يقوم على جذوع النخل (الصورة: 28، ص 47)، والصف الثاني يوجد بالجهة الغربية للزاوية يتكون من طابقين يشتمل كل طابق على خمس غرف متفاوتة من حيث المساحة تفتح كلها على الصحن مباشرة، الغرفة الكبيرة في الطابق العلوي استعملت كمكتبة، عرف سقف هذه الغرف عدة ترميمات مثل ما هو واضح من مواد البناء ونفس الشيء يقال بالنسبة للمطبخ والمائضة.

- **غرف الضيوف:** تشغل الركن الشمالي الشرقي من الزاوية، أربع غرف متفاوتة المساحة يدخل إليها من الباب الموجود في الركن الشمالي الشرقي، الأولى مربعة طول ضلعها 1,5م مخصصة للضيوف، وغرفتين مفتوحتين على بعضهما البعض مستطيلتي الشكل ومتفاوتة المساحة؛ الكبرى (11,6م X 3,80م) والصغرى (7م X 3,55م)، والرابعة تدخل من باب في الركن الجنوبي الغربي للغرفة الكبرى وهي مستطيلة الشكل (7,05م X 3,55م) بها بابين واحد في جدارها الغربي يؤدي إلى رواق مستطيل (8,52م X 2,65م)، به باب يؤدي إلى الضريح، والباب الثاني للغرفة في ركنها الجنوبي الغربي يفتح على الصحن. (الشكل رقم: 13).

**جـ - العناصر المعمارية:** تشتمل الزاوية على مجموعة من العناصر المعمارية تتمثل في:

**ج1 - الرواق:** يوجد ثلاثة أنواع هي:

- **العمد:** تميزت الزاوية المختاراة بعمد خاصة لم نلاحظها في العمارة الدينية لمنطقة الزاب وحتى القرية منها مثل ضريح خالد بن سنان، فهي عبارة عن عمد طويلة رقيقة جذابة من الحجر بلون بني تم صقلها لتصبح مزلعة (بثمانية أضلع) والبعض منها مربعة، في قمتها تسنن في كل زاوية من زواياها يوحى بشكل

النخلة النبات المنتشر بالمنطقة ومورد رزقها،(اللوحة:16، ص38)، (الشكل رقم: 14) وهي تتوزع في الزاوية كالتالي:

. سبعة مضلعة الشكل في الصحن تحمل الأقواس التي يقوم عليها سقف رواق غرف الطلبة الموجود في الجهة الجنوبية، وهي بدون تاج وبقاعدة بسيطة مضلعة حديثة الصنع بارتفاع 0,20م. عشرون في وسط المسجد تحمل أقواس بيت الصلاة تتوزع على أربع مجموعات، كل مجموعة تضم خمسة أعمدة، الوسطى مربعة الشكل والأربعة التي تحيط بها ثمانية الأضلع، تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها 0,94م، وهي بسيطة تتكون من طبقتين بارتفاع 5 سم لكل طبقة وهي بدون تيجان ما عدا التسنن الذي أشرنا إليه سابقا. ( الشكل رقم: 15)

. اثنتان وعشرون عمود مضلع في غرفة الضريح؛ تتوزع على ستة مجموعات؛ أربعة أعمدة لكل مجموعة ما عدا المجموعة السادسة فتتكون من عمودين فقط؛ وهي تتوضع كالتالي: أربع مجموعات في أركان المستطيل الذي يحتضن رفاة مؤسس الزاوية وخلفائه، وأربعة في وسط الجدار الشمالي للغرفة، واثنتان تتوسط الفتحة الموجودة في الجدار الجنوبي للضريح وهي تحمل الأقواس التي تقوم عليها قبة الضريح الكبرى. ( الشكل رقم: 16)

نوع آخر من الأعمدة موجود بالزاوية يتمثل في أعمدة أسطوانية الشكل مثل العمودين الموجودين على جانبي المحراب يقومان على قاعدة مربعة من الحجر بارتفاع 0,20م وينتهيان بتاج من الجص حديث الصنع، ومجموعة أخرى بقطر 0,40م وهي أعمدة حديثة، يمكن القول أنها عوضت الأعمدة الحجرية التي كانت تحمل سقف أروقة المسجد، أو هي نفسها الأعمدة الحجرية القديمة دعمت وحولت إلى الشكل الأسطواني لزيادة متانتها، وهذه الأعمدة تحمل سقف الأروقة التي تحيط بالضريح والمسجد، حيث نجد ثمانية أعمدة في الرواق الغربي ومثلها في الجنوبي وستة في الشرقي، تقوم على قاعدة مضلعة بثمانية أضلع بارتفاع 0,20م، (اللوحة:20، ص48)

وفي الجهة الجنوبية الغربية نجد ثمانية أعمدة أسطوانية ضخمة بقطر يزيد عن 0,60م بدون قاعدة أو تاج بمثابة دعائم تحمل أقواس الرواق المحاذي للمطبخ(الصورة:29، ص49).

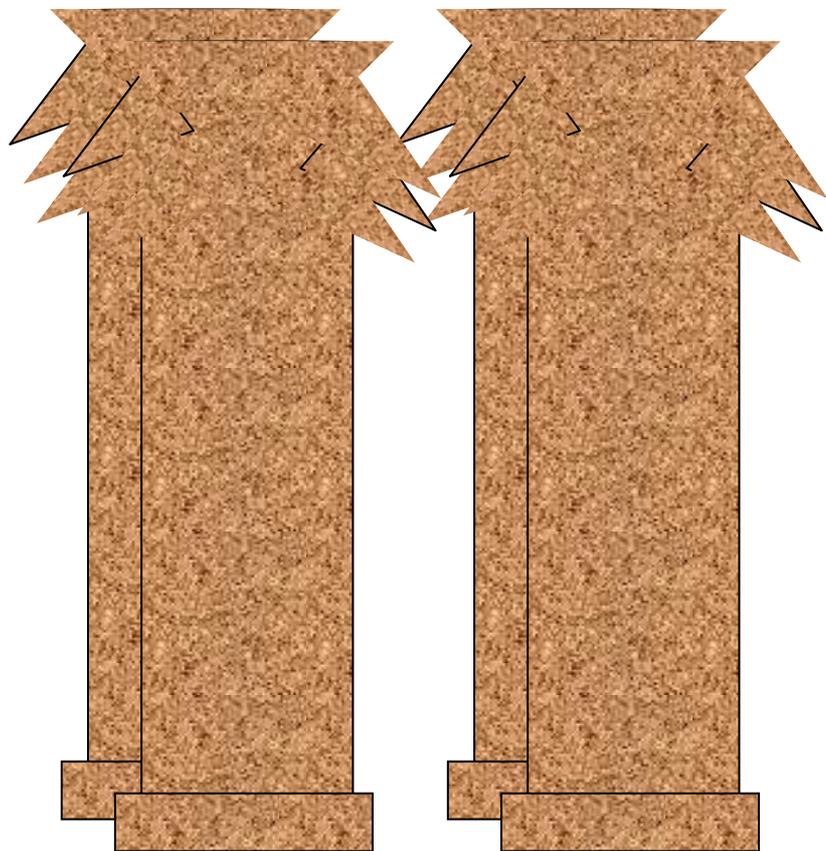
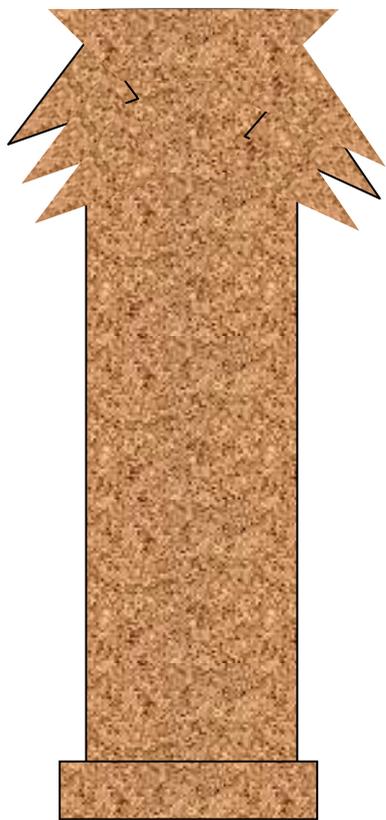
- **الدعامات:** بالزاوية مجموعة من الدعامات؛ منها ستة عشر (16) دعامة في المسجد، أربعة في كل جدار تحمل أقواس بيت الصلاة، وثمانية (8) في غرفة الضريح تتوزع بدعامتين في كل جدار تحمل أقواس الرواقين. (الصورة:30، ص50)

- **الأقواس:** هناك نوعان من الأقواس المنكسرة كما هو الحال في أروقة ضريح خالد بن سنان والجامع العتيق ببرج بن عزوز، وأقواس نصف دائرية مثل التي استعملت في غرفة ضريح خالد بن سنان.

. **الأقواس المنكسرة:** نجدها في المسجد وغرفة الضريح يقوم عليها السقف المقبب(الصورة:23، ص39)، (اللوحة:18، ص45).

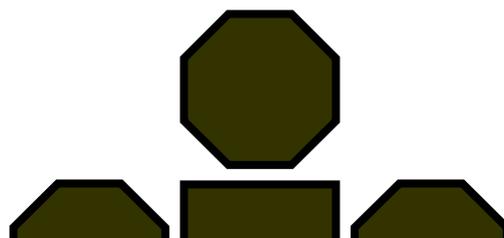
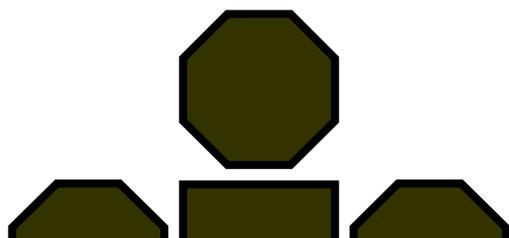
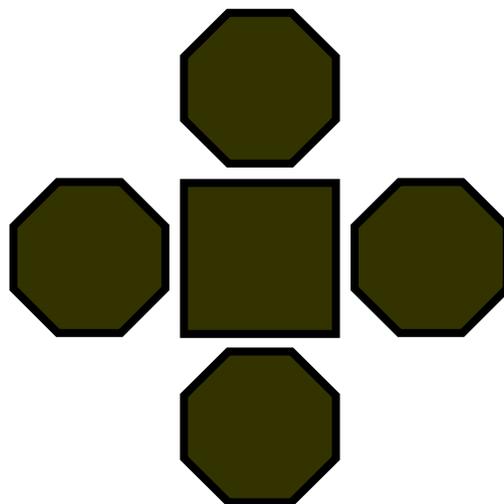
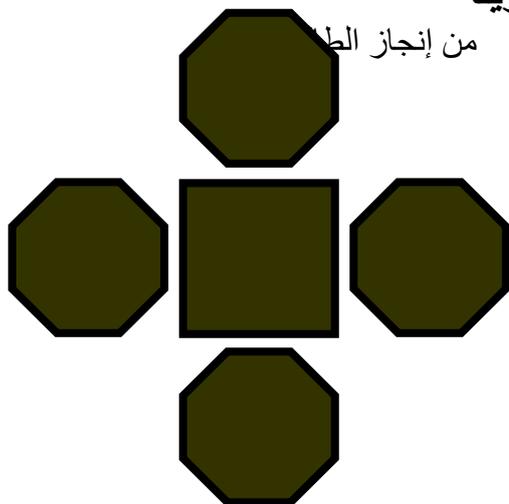
- **أقواس نصف دائرية:** نجدها في أروقة الصحن وفي رواق غرفة الضريح. (الصورة:29، ص49)

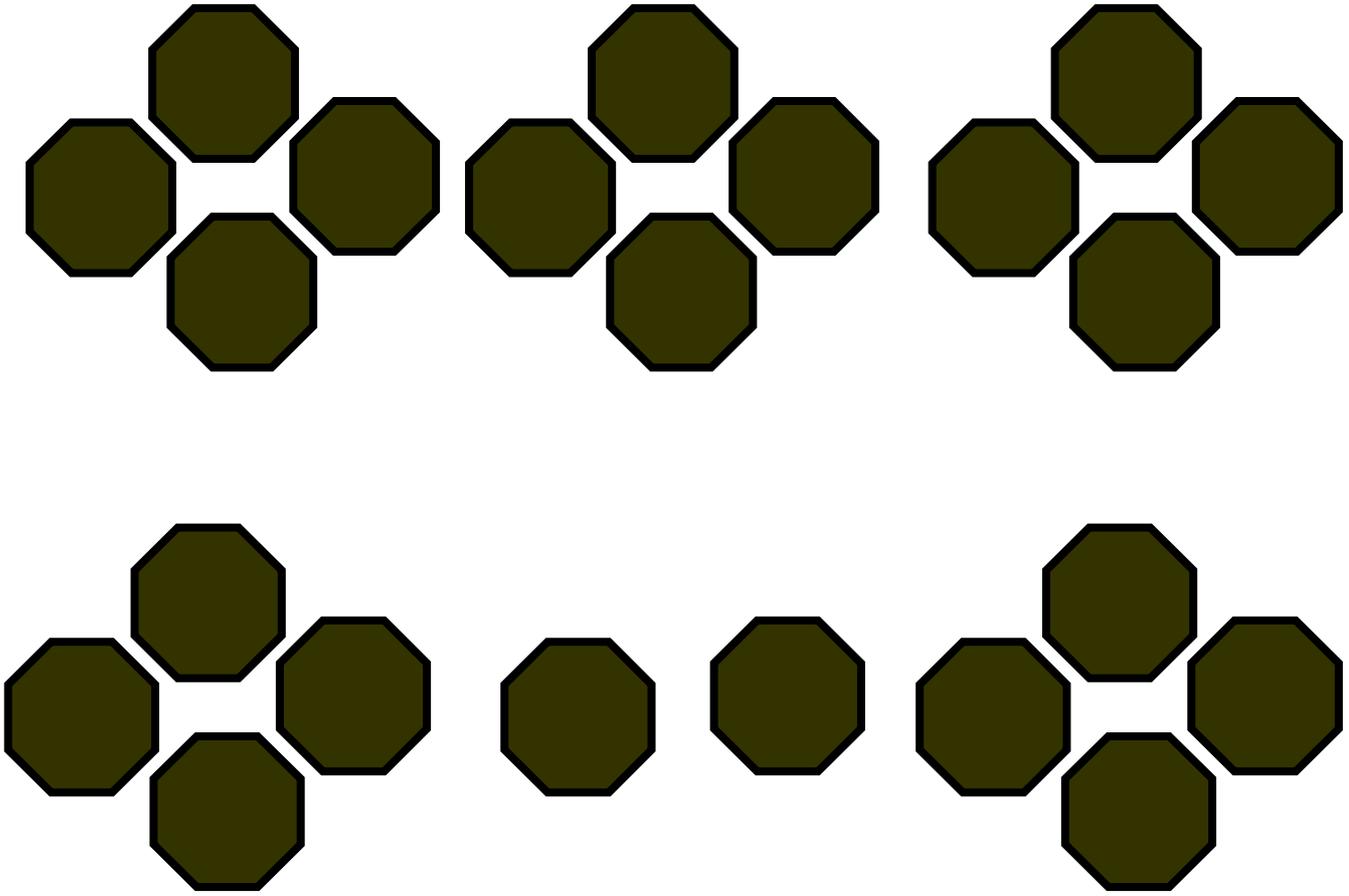
- **أقواس منخفضة:** توجد فوق أبواب ونوافذ المسجد وباب الضريح. (الصورة:25، ص42)



الشكل رقم: 14  
شكل أعمدة الزاوية المختارية

من إنجاز الطالب





**ج.2 - القباب:** ولما كانت الزاوية تعود إلى العهد العثماني فقد أستعمل في تغطيتها قباب كثيرة التي سادت وانتشرت في هذه الفترة ويبلغ عددها أربعة عشر قبة تتوزع كالتالي:

**الشكل رقم: 16**  
**توضع الأعمدة في غرفة الضريح بالزاوية المختارية**

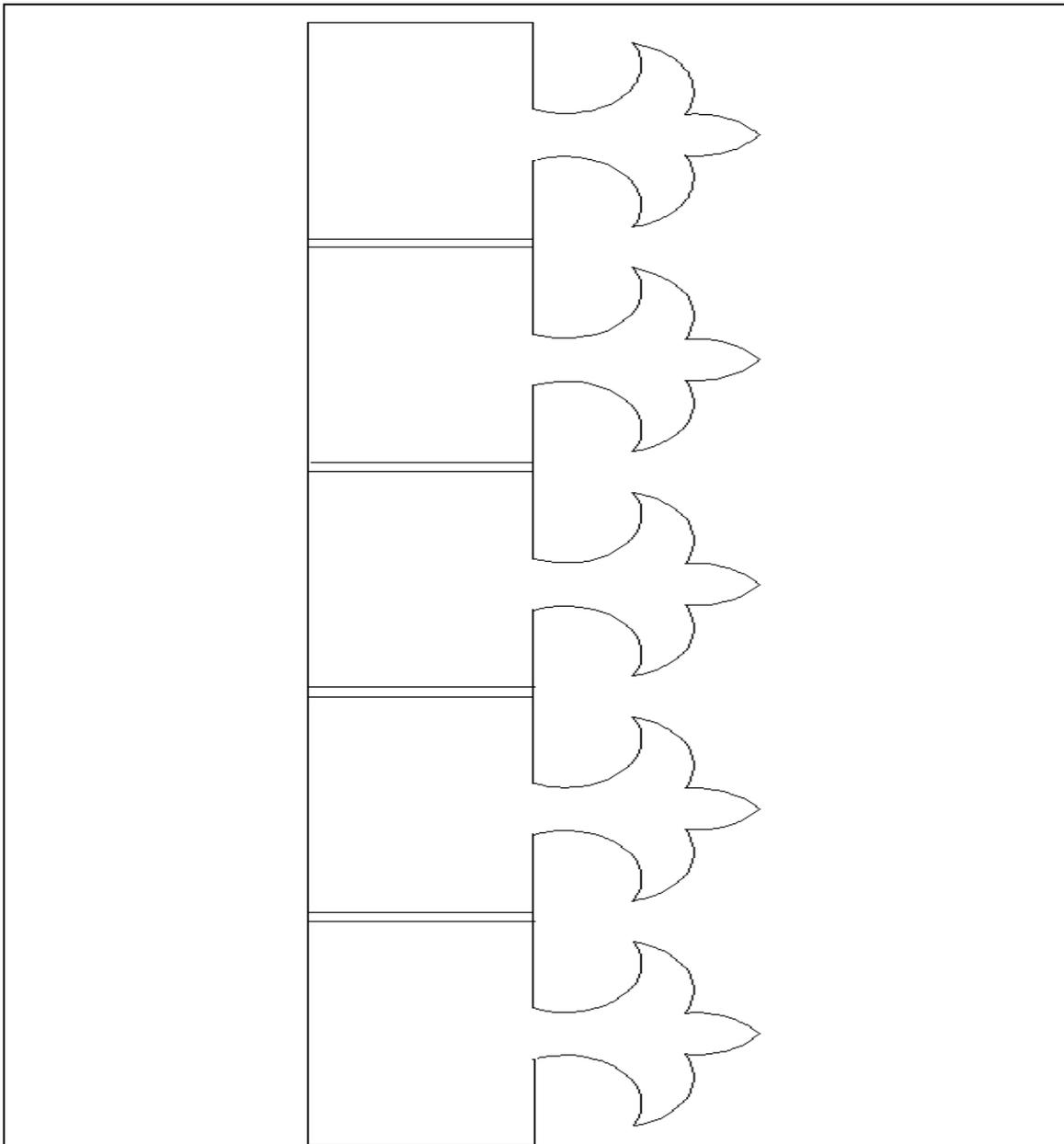
من إنجاز الطالبة

<sup>184</sup> - Dokali, R ;op cit , PP56-57

<sup>185</sup> - Cauvet. C, op . cit, PP299,459.

. وفي منتصف كل رواق من رواق الضريح نجد قبتين صغيرتين نصف دائريتي الشكل من الداخل ومضلعيتين من الخارج، تقومان على قاعدة مربعة (اللوحة:19، ص46).  
. وأخيرا نجد في كل ركن من أركان رواق الضريح قبتين منخفضتين من نوع مثنى الزوايا تقومان على قاعدة مستطيلة، وهي تشبه الموجودة في سقف مسجد القبة<sup>186</sup>. (الصورة:31، ص52)  
تتوج كل قبة من القباب الإثني عشر عمودا من الجص على شكل هلال يتوسطه نجما.  
وبالإضافة إلى ما سبق ذكره نلاحظ أن جدران المسجد والضريح تتوجهما شرافات على هيئة زهرة من ثلاث فصوص، وفي كل ركن من أركان البناء نجد شرافة على شكل نصف هرم نهايته على شكل هلال. (الشكل رقم: 17)

**ج.3 - المحراب:** (اللوحة:16، ص38) يتوسط جدار القبلة وهو من نوع المحاريب المعقودة المجوفة على هيئة حدوة الفرس، وقد كسي جزؤه السفلي بقطع من الخزف، أما الجزء العلوي المقرب بقبيبة بسيطة تقوم على عمودين اسطوانيين الشكل، وهو ينتمي إلى النموذج المستعمل في محاريب المساجد الجزائرية العثمانية



الشكل رقم: 17

#### د - الدراسة الفنية:

تتميز الزاوية المختارفة بزخرفة هامة تختلف تماما عن ما رأينا في باقي العنصر الدينية بالمنطقة، من حيث المواد المستعملة في الزخرفة أو في نوعيتها، فبالنسبة للمواد نجد الخزف أو ما يعرف بالزليج وهي المادة التي وظفت بكثرة لانتشار استعمالها في العهد العثماني إضافة إلى الجبس والخشب، أما أنواع الزخارف التي زينت بها الزاوية فهي العناصر النباتية والهندسية والكتابية كما سنوضح ذلك فيما يأتي:

**د1 - العناصر النباتية: (الصورة:32، ص53)** قد استعملت بشكل مفرط وهي تتمثل في رسوم لأوراق المراوح النخيلية المتألفة من فص أو فصين وأزهار الياسمين والقرنفل والزنبق، وهي نفس الأشكال التي نلاحظها على قطع الخزف بألوان زاهية من الأصفر والأخضر والبرتقالي والبنّي مع خطوط سوداء على أرضية زرقاء، وهذا النوع نجده على جدران غرفة الضريح والمسجد في شكل أشربة أو مربعات أو دوائر...، وهذه القطع الخزفية ذات الرسوم النباتية وضعت بشكل هندسي لترسم زهرة كبيرة من ثمانية فصوص تغطي قبة الضريح الكبرى من الداخل، ونفس الشكل يلاحظ في القبتين النصف كرويتين في رواق غرفة الضريح وفي قبة البلاطة الوسطى للمسجد. (اللوحة:19، ص46) و(اللوحة:21، ص51).

**د2 - العناصر الهندسية: (اللوحة:22، ص54)** وتتمثل في الأشكال المعروفة كالمربع والمثلث والمستطيل والمعين والدائرة، حيث استعملت بكثرة في داخل المسجد أو في غرفة الضريح ويتم تشكيلها عن طريق قطع الخزف التي تلبس الجدران، أو أن هذه القطع نفسها هي التي تحمل الزخارف التي تتمثل في رسوم منبتقة عن أشكال هندسية أساسية متماثلة تتداخل فتشكل شبكة من الخطوط تبسط إشعاعها إنطلاقاً من بؤر متعددة في نفس الوقت، وتتكون هذه العناصر من دائرة مركزية تتدرج بها في شكل متواز دقيق؛ مربعات ومثلثات تتطابق فيما بينها لتشكل تشبيكات من المضلعات المثلثة والسداسية والنجمية وغيرها من الأشكال الهندسية التي تتداخل فيما بينها وفق منظومة زخرفية، أما الدائرة المركزية التي وضعت في البداية فإنها تنمحي نهائياً أو جزئياً لتوحي للمشاهد بأرضية مليئة بالرسوم (اللوحة:19، ص46)، أما عن مصدر هذه القطع الخزفية يقول (جورج مارسى): " أن معظم الخزف التركي الذي استعمل في مباني الجزائر مصدره إيطاليا وتونس وإسبانيا وفي بعض الأحيان مرسليليا ومدينة دلف بهولندا وآسيا الصغرى " <sup>188</sup> وهو ما أكدته الدكالي الذي يفي إنتاج هذه القطع بالجزائر لعدم إشارة الرحالة والمؤرخين إلى ذلك وعدم العثور على آثار للأفران التي تنتج هذه القطع <sup>189</sup>.

وبالإضافة إلى ما سبق نجد في بيت الصلاة عند قاعدة الأقواس مجموعة من المثلثات المتتالية البارزة ترسم شكل هلال (الصورة:23، ص39)، أما في الخارج فنجد في أعلى مبنى المسجد والضريح حزام مشكل من أنصاف دوائر بارزة بينها مثلثات صغيرة تشبه التي رأيناها في زخرفة القبة الوسطى من الخارج في الجامع العتيق ببرج بن عزوز، وفي الأسفل منها في الواجهات الأربعة نجد خمسة دوائر من الجبس بارزة صماء في الوسط تحفها مجموعة المعينات والمثلثات التي ترسم بواسطة خطوط منكسرة. (الصورة:24، ص40) أما زخرفة الخشب بهذه العناصر تظهر في باب غرفة الضريح ذو الإطار المعقود في جزئه العلوي على هيئة قوس حدوية، والباب المستطيل مزين بالأشكال الهندسية مثل الدائرة البسيطة بلون أبيض أو مفصصة بشكل حلزوني بلونين أبيض وأخضر، ومعينات بلون أبيض إطارها بلون بني، مع خطوط مستقيمة عمودية وأخرى أفقية، ومستطيلات تحمل في جانبيها شكل قوس حدوية مدببة، والملاحظ أن كل هذه الأشكال تكون داخل مربعات أو مستطيلات غائرة. (اللوحة:17، ص44)، وزخرفة هامة توجد في التابوت الخشبي الذي يغطي قبر مؤسس الزاوية وخلفائه؛ عبارة عن أشكال هندسية كالمستطيل والمربع والمعين والدائرة والنجوم بالإضافة إلى أشكال النباتات من أغصان وفروع وزهور كل ذلك باستعمال التعشيق والتشبيك والنقش والتخطيط، والألوان الأخضر والأحمر والبنّي، مع الملاحظة أن هذه التوابيت غير متشابهة مما يدل أنها لا تعود إلى نفس الصانع ونفس الفترة. (الصورة:33، ص55)

**د3 - العناصر الخطية:** خصت بها غرفة الضريح وبيت الصلاة؛ بالنسبة لغرفة الضريح فهي تتألف من

<sup>188</sup> Marçais, G, L'architecture.... , P449

<sup>189</sup> - Dokali, R ;op cit , PP68-69.

بعض الآيات القرآنية: (اللوحة: 22، ص54)

مثل آية: ( نصر من الله وفتح قريب )<sup>190</sup>

(و إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴿﴾ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر )<sup>191</sup>

(و أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴿﴾ فإن الجنة هي المأوى)<sup>192</sup>  
(و إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ﴿﴾ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)<sup>193</sup>

وبعض العبارات الدينية مثل:

مثل: ( سبحان الله )، ( لا إله إلا الله )، ( لا غالب إلا الله )، ( أستغفر الله )، (و حسبنا الله ونعم الوكيل).

وفضلا عن الآيات القرآنية والعبارات الدينية السالفة الذكر فقد نقشت بعض الأقوال المأثورة للشيخ المختار ومريديه، ونذكر من بينها ما يلي:

قال الإمام الصالح والسراج المنير لوضح الغوث الكبير والكبريت الاحمر من منحه العزيز الجبار جزيل المواهب والاسرار حتى صار صيته في سائر الافغار الشيخ سيدي وولي نعمتي المختار مبشرا الاخوانه والزوار بدخول الجنة وامانا لهم من النار وذلك مما انعم الله به عليه وعلينا بمعرفته حيث قال رضي الله عنه وعنا به ونفعنا والمسلمين ببركاته امين:  
" ذا مقام ابراهيم من دخله ءامنيا ما يصلش الجحيم من نيرانه الحميا..... "

أما كتابات بيت الصلاة (اللوحة:23، ص56) فتقتصر على التهليل وبعض الآيات القرآنية كل منها مسبوقة بالبسملة ومتبوعة بـ (صدق الله العظيم) كمايلي:

فالشهادتان ( لا إله إلا الله محمد رسول الله )؛ تنصدر أعلى المحراب.

بينما، ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا )<sup>194</sup>، أعلى باب الجدار الجنوبي للمسجد.

(و إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)<sup>195</sup>، أعلى الباب الكبير الفاصل بين المسجد وغرفة الضريح.

أما آية ( إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا )<sup>196</sup>، فقد نقشت أعلى المدخل الرئيسي للمسجد (الجدار الغربي).

بينما نجد كتابة غرفة الضريح محفورة على الجص بالخط المغربي وبأسلوب ضعيف يدل عليها إمتداد الحروف أحيانا وجمعها أحيانا أخرى، وعدم تساوي حجم الحروف وتركيبها مع بعض الأخطاء اللغوية والإملائية علاوة على استعمال الدارجة مثل: ذلك، إبراهيم، ما يصلش، الافغار، الحميا..؛ وهذا يدل على عدم تمكن الخطاط وتخصسه ولا يتعدى كونه من الأتباع المتحمسين، والتدهور اللغوي وتدني المستوى الثقافي في هذه الفترة بالذات.

190 - الآية13 من سورة الصف، برواية ورش.

191 - الآية1، 2 من سورة الفتح، برواية ورش.

192 - الآية40، 41 من سورة النازعات، برواية ورش.

193 - الآية9، 10 من سورة يونس، برواية ورش.

194 - الآية18 من سورة الجن، برواية ورش.

195 - الآية56 من سورة الأحزاب، برواية ورش.

196 - الآية103 من سورة النساء، برواية ورش.

أما الكتابة في بيت الصلاة هي أيضا محفورة على الجص ودونت بخط النسخ الواضح، الملاحظ أن الكتابة الموجودة في غرفة الضريح وبيت الصلاة مختلفتان؛ وهناك فرق كبير بينهما من حيث جمالية الخط وتنفيذه مما يدل على أنها نفذت من قبل خطاطين في فترة زمنية مختلفة.

## ثانيا: الأضرحة

عرفت منطقة الزاب حركة بناء الأضرحة لا سيما أضرحة الأولياء الصالحين وبعض قادة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وفي هذا العنوان سوف نتناول بعض الأضرحة التي وصل إلينا اسمها وزال رسمها؛ منها:

### 1- ضريح أبو المهاجر دينار

#### أ - موقع الضريح وتاريخ إنشائه

- **التعريف بصاحب الضريح:** أبو المهاجر دينار من التابعين، كان مولى لبني مخزوم<sup>197</sup>؛ عين كوالي على إفريقية سنة 55هـ/675م بعد عزل عقبة بن نافع من قبل مسلمة بن مخلد الذي جمع بين ولاية مصر وشؤون إفريقية في عهد معاوية، حيث قيل لمسلمة بن مخلد والي مصر: " لو استعملت عقبة وأقررته على إفريقية؟ فإن له فضلا وسابقة وهو الذي بنى القيروان"، فقال مسلمة: " إن أبا المهاجر كأحدنا، صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل، فنحن نحب أن نكافيه ونصطنعه " <sup>198</sup>.

لما تولى أبو المهاجر الإمارة في إفريقية أساء معاملة عقبة بن نافع بسجنه وهجر مدينته القيروان، بلغ هذا مسامع الخليفة معاوية في بلاد الشام فطلب من أبي المهاجر إطلاق سبيله وإرساله إلى دمشق، ولما قدم عقبة على معاوية قال له: " فتحت البلاد، ودانت لي، وبنيت المنازل واتخذت مسجدا للجماعة وسكنت الناس ثم أرسلت، عبد الأنصار، فأساء عزلي "؛ فاعتذر له معاوية وقال له: " قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام عثمان، وبذله مهجته صابرا محتسبا، طع من أطاعه من قومه ومواليه وأنا أردك إلى عمك " <sup>199</sup>.

<sup>197</sup> - خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم، المجلد3، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص6.  
<sup>198</sup> - عبد الرحمان ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص266.

- البلاذري، مصدر سابق، ص237.

- ابن الأثير، مصدر سابق، ص308.

- ابن خلدون، مصدر سابق، ج3، ص10.

- ابن عذاري، مصدر سابق، ص22.

- محمد شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ط2، دار الفكر، بيروت، 1973، ص138.

- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص147.

- موسى لقبال، مرجع سابق، ص35.

- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي مطبعة الانتصار، الإسكندرية، ب ت، ص124.

- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص127.

<sup>199</sup> - ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص266.

- ابن الأثير، مصدر سابق، ص308.

لم يستقر أبو المهاجر دينار في القيروان عقبة واتخذ مدينة جديدة على بعد ميلين منها، قريبة من البربر وهي دكرور أو تكرر، أو تكيروان أو تاكرونه، وهاجر قيروان عقبة وأخلاها من العسكر والإدارة، لأنه أراد التقرب من البربر وكسبهم للإسلام باللين والحسنى لإدراكه تحالف البربر والروم ضد المسلمين، بدأ أبو المهاجر في مهاجمة بربر أوربه في ضواحي تلمسان حيث حفر عيون ومنايع ماء تعرف الآن بعيون أبو المهاجر، ونجح في كسب زعيم بربر أوربه إلى جانبه، كسيلة بن لمزم ليبدأ في مواجهة الروم في قرطاجنة سنة 59هـ-679م، حيث تفوق وفاوضهم بعقد الصلح والتنازل عن جزيرة شريك، لتكون قاعدة إستراتيجية لجنوده يراقب من خلالها الروم واستمر، في الزحف باتجاه الساحل الغربي إلى أن وصل إلى ميله التي تحصنت بها طائفة من الروم والبربر، ففتحها واستقر بها لمدة سنتين ينشر الدين الإسلامي بين البربر ليعود إلى مدينته سنة 61هـ-681م<sup>200</sup>.

في عام 60هـ-680م كان قد توفي معاوية بن أبي سفيان وتولى الخلافة من بعده ابنه يزيد الذي كان مقتنعا بفضل عقبة على الإسلام فولاه سنة 62هـ-682م على بلاد إفريقية والمغرب كله، وعزل أبو المهاجر دينار. أثناء عودة عقبة إلى إفريقيا من بلاد الشام مر على مصر فخرج إليه مسلمة بن مخلد واعتذر منه على ما فعله به أبو المهاجر وأنه خالفه فيما صنع<sup>201</sup>، بوصول عقبة للمرة الثانية إلى إفريقيا بادر إلى الاقتصاص من أبي المهاجر دينار بالقبض عليه وأوثقه بالحديد وصادر ما معه من أموال وأمر بتخريب مدينته ورد الناس إلى القيروان وأصلح أمورها، ولم نسجل أية محاولة من مسلمة بن مخلد لمساعدة أبي المهاجر لأن ولاية إفريقيا خرجت من تحت سيطرته<sup>202</sup>.

اتبع عقبة بن نافع سياسة معاكسة تماما لسياسة أبي المهاجر وصمم على إذلاله وإذلال صحبه خاصة كسيلة بن لمزم وهذا ما يؤكد ابن عذاري الذي يذكر أن: عقبة أتى بذود غنم وأمر بذبحها للعسكر وأمر كسيلة أن يسلم منها مع السلاحين، فقال كسيلة: " أصلح الله الأمير! هؤلاء فتنياني وعبيدي يكفوني [المونة]، فقال عقبة: لا!، فقام كسيلة مغضبا فكان كلما دحس مسح بلحيته، فجعل العرب يَمرون به فيقولون: يا بربري! ما تصنع؟

- 
- ابن عذاري، مصدر سابق، ص22.  
- ابن أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني (ابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ج1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ، ص22.  
- أحمد بن أبي الضياف، إتخاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج1، النشرة2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص100.  
- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص124.  
- موسى لقبال، مرجع سابق، ص35.  
- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص151.  
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص89-90.  
- أنظر<sup>200</sup> - ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص268.  
- ابن عذاري، مصدر سابق، ص22.  
- ابن أبي دينار، ج1، مصدر سابق، ص22.  
- أحمد بن أبي الضياف، مصدر سابق، ص100.  
- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص127-128.  
- محمد شيت خطاب، مرجع سابق، ص138-139.  
- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص172.  
- موسى لقبال، مرجع سابق، ص36.  
- أنظر<sup>201</sup> - ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص268.  
- ابن الأثير، مصدر سابق، ص43.  
- ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص172.  
- ابن عذاري، مصدر سابق، ص24-26.  
- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص131.  
- موسى لقبال، مرجع سابق، ص40.  
- موسى لقبال، عقبة بن نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص47-48.  
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص89-90.  
- الزركلي، مرجع سابق، ص6.  
- أنظر<sup>202</sup> - ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص270.  
- ابن عذاري، مصدر سابق، ص23.  
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص91.  
- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص43-44.  
- أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص40.

فيقول: هذا جيد للشعر! ، حتى مر به شيخ من العرب فقال لهم: كلا إن البربري يتوعدكم! ، فقال أبو المهاجر لعقبة: بئس ما صنعت! ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف

جبابرة العرب وأنت تأتي إلى رجل جبار في قومه في دار عزه قريب العهد بالشرك فتهينه! فتهلون عقبة بكلامه<sup>203</sup> .

ويواصل عقبة بن نافع الفتح حيث يصل بلاد السوس ويقضي في طريقه على قواعد الروم إلى أن وصل طنجة، في هذه الفترة تمكن كسيلي من الفرار وكون جيشا كبيرا من البربر، وبعودة عقبة من المغرب يواجه العديد من القبائل إلى أن وصل إلى طنبنة فأمر معظم جيشه بالعودة إلى القيروان<sup>204</sup>، وبقي في جمع قليل (لا يتجاوز ثلاثمائة فارس) عول عليهم في تصفية بعض قلاع الروم في منطقة تهودة وبادس.

علمت الروم والبربر بوضع عقبة وبدؤوا في الاستعداد لمواجهته خاصة وأن كسيلة قد جمع أكثر من خمسين ألف مقاتل، عندها أدرك عقبة أنها النهاية فنزل عن فرسه وأطلق أبا المهاجر وقال له: إحق بالمسلمين فقم بأمرهم فإنا أعتنم الشهادة، فقال له أبو المهاجر: أنا والله أعتنمها معك! ، فكسر كل واحد منهما غمد سيفه وكسر المسلمون كذلك أغماد سيوفهم وقاتلوا قتالا شديدا، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهم من كبار الصحابة والتابعين عام 63هـ-683م في منطقة تهودة وجعلت على قبورهم أسنمة ثم جصصت، ولم ينج منهم أحد إلا بعض من أسر أمثال محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي

الذين فذاهما صاحب قفصة وبعث بهم إلى القيروان<sup>205</sup>.

بالرغم من أن المصادر والمراجع لا تذكر الشيء الكثير عن أبا المهاجر إلا أن ذكره مازالت حية لدى سكان المغرب الأوسط (الجزائر) وبالتحديد مدينة بسكرة ومنطقة تهودة التي تحتضن جثمانه وبذلك أصبحت هذه القرية من أشهر مناطق المغرب العربي وباركها الله بأن أصبحت مئوى القادة الأخيار اللذين دفنوا بها، وأصبح قبره من المزارات.

### - الموقع: (الخريطة: 07 الملحق 05)

يقع ضريح أبو المهاجر دينار عند نقطة تقاطع خطي طول وعرض (س،ع) = (166.80،792.75) من

- 
- أنظر .<sup>203</sup> - ابن عذاري، مصدر سابق، ص29.  
- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 134.  
- أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص 40-41.  
أنظر .<sup>204</sup> - ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص 272-274.  
- البكري، مصدر سابق، ص74.  
- ابن خلدون، مصدر سابق، ج6 ، ص 127.  
- ابن عذاري، مصدر سابق، ص28.  
- موسى لقيال، المغرب الإسلامي، ص42.  
- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص141.  
- عبد الرحمان الجيلالي، ج1، مرجع سابق، ص128.  
- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 21 - 22.  
أنظر .<sup>205</sup> - البكري، مصدر سابق، ص74.  
- ابن الأثير، مصدر سابق، ص309.  
- ابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص173.  
- ابن عذاري، مصدر سابق، ص29.  
- عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص142.  
- موسى لقيال، المغرب الإسلامي، ص43.  
- موسى لقيال، عقبة بن نافع، ص52.  
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص95.  
- حسن مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص153.  
- عبد الرحمان الجيلالي، ج1، مرجع السابق، ص130.

جنوب منطقة سيدي عقبة؛ تهودة سابقا وهذا ما أشار إليه الورتلاني بقوله: " وزرنا من كان في القرية أيضا ( سيدي عقبة) وقد قيل أن بعض الصحابة مدفون في بعض نواحيه، وقد زرناه والحمد لله وزرنا من كان في القرية جملة وتفصيلا أحياء وأمواتا... " <sup>206</sup> .

وتهودة: قرية صغيرة تقع جنوب شرق بسكرة على بعد 4 كلم شمال واحة سيدي عقبة الحالية، وإسمها مشتق من الاسم الروماني القديم ( THABUDEOS ) <sup>207</sup> ، وفي معجم البلدان ورد لفظ تهودة بالفتح ثم الضم وسكون الواو والذال المعجمة وليس الدال مثلما هو متداول الآن، ويقول ياقوت الحموي: " أن تهودة هو اسم لقبيلة بربرية بناحية إفريقيا لهم أرض تعرف بهم " <sup>208</sup> .

وثابدوس ( THABUDEOS ) اسم لحصن من الحصون البيزنطية التابعة والواقعة على خط الليمس الذي كان يتكفل بحماية جنوب الأوراس (جبال النمامشة خاصة) وبسكرة وبادس، بها قلعة على شكل شبه منحرف اكتشفت من قبل جون براداز ( Jean Baradez ) <sup>209</sup> ، وهي مدينة قديمة ذكرت في الكثير من المصادر والمراجع منها ابن حوقل؛ الذي يقول: " ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان ومن بسكرة إلى تهودا مرحلة " <sup>210</sup> ، أما البكري فيصفها أكثر من الجانب التاريخي والاقتصادي، حيث يقول: " مدينة تهودا وتعرف بمدينة السحر، وهي مدينة أهلة كثيرة الثمار والنخيل والزرع، وتهودا مدينة أولية بنيانها بالحجر، ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق جميعه واستدار بالمدينة، وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وخنادق، ونهر ينصب في جوفها من جبل الأوراس، سكانها العرب وقوم من قريش، وإن كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسلوا ماء النهر في الخندق المحيط بمدينتهم يشربون منه وأمتنعوا من عدوهم به "، كما يذكر أن بها بئر أولية لا تنزح وأبار كثيرة وهذا ما يتفق مع ما اكتشفه جون براداز ( Jean Baradez ) <sup>211</sup> ، ويطلعنا أيضا على وضعيتها في العصور الوسطى وعن أهم الأحداث التي عرفتها خلال الفتوحات الإسلامية على يد عقبة بن نافع بقوله: " وقال في طريقه أمر إلى تهودا وإلى مدينة بادس أعرب ما يكفيهما من العدة والجيوش، وكانا في ذلك الوقت من أعظم مداين المغرب، فلما انتهى إلى مدينة تهودا اعتمد كسيلة بن لمزم في جيوش الروم...وقاتلوا وقتلوا جميعا، وقبر عقبة معروف بمدينة تهودا " <sup>212</sup> .

ويذكر البكري أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن سكنى هذه المدينة، وروى أبو المهاجر عن رجاله عن شهر ابن حوشب أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهودا، ويقول: أنه سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحد ما بدلوا حتى ماتوا ، يقول شوحب سألت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة بن نافع قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهودا <sup>213</sup> ، نشير أنه ليس لدينا علم بمدى صحة هذه الرواية وهذا الحديث، خاصة أنه لم يرد بالتواتر، لكن ما هو منطقي كيف تكون هذه البقعة ملعونة وهي تحتضن رفاة ثلة من القادة الأخيار وجمع كبير من الشهداء، بل هي من أشرف الأماكن وأقدس البقاع.

أما ابن عذارى فذكر المدينة بأنها كانت المنطقة التي التقى فيها عقبة مع كسيلة وكانت المعركة بينهم: " فركبه البربر في الجيوش العظيمة وغشيه بهم كسيلة بقرب تهودة " <sup>214</sup> ، ووصفه للمدينة يشبه ما جاء به البكري فهو يقول: " مدينة أزلية بنيانها بالحجارة، لها أسواق كثيرة وربض واحد، وبها جامع جليل ومساجد، وفنادق كبار، يسكنها قوم من البربر " ، ويذكر أيضا نفس الحديث النبوي الذي جاء به البكري حول النهي عن سكن هذه المدينة <sup>215</sup> .

<sup>206</sup> - الورتلاني، مصدر سابق، ص114.

<sup>207</sup> - Cambuzat . P -L, L'évolution des cites du tell en Ifrikya du VII ou XI siecle, T2, OPU, Alger, 1986, P202.

<sup>208</sup> - ياقوت الحموي، مصدر سابق، المجلد2، ص64.

أنظر . 4 -

- Paul -Luis cambuzat, op.cit, P203.

- Baradez . J, op.cit, PP281-282.

<sup>210</sup> - ابن حوقل، مصدر سابق، ص87.

أنظر . <sup>211</sup> - البكري، مصدر سابق، ص72 - 73.

- Baradez . J, op.cit, P282.

-Cambuzat. P -L, op.cit, P204.

<sup>212</sup> - البكري، مصدر سابق، ص74.

<sup>213</sup> - نفس المصدر، ص73.

<sup>214</sup> - ابن عذارى، مصدر سابق، ص29.

<sup>215</sup> - نفس المصدر، ص30.

وصاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار يزودنا بمعلومات هامة حول المدينة ويبين مدى حصانتها بقوله: " حديقة أزلية عليها سور عظيم مبني بالحجر الجليل ولها أرباض كثيرة، يدور بجنبها خندق ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل الأوراس...، وهي مدينة كبيرة لها حصنان وأرباض واسعة وبساتين كثيرة ومزارع جليلة...، وهي مدينة قديمة فيها آثار للأولين ولها مياه وعيون كثيرة...، وهي آخر بلاد الزاب " <sup>216</sup>، تذكر المدينة أيضا عند ابن خلدون لكن بحرف الدال وليس الذال، بأنها المكان الذي أستشهد فيه عقبة بن نافع وصحبه وهي جزء من منطقة الزاب: " أولها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة، ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس " <sup>217</sup>، ويؤكد ذلك الورتلاني بقوله: " وهذه القرية كثيرة النخل والمزارع وهي على ماء جار حلو عذب بارد في الصيف ومع ذلك فهي أرض حارة في الصحراء غير أن ماءها يأتي من الجبال مملوك لبعض أهل القرية ومن كان خارجا منها، وقد تشرفت هذه القرية... بهذا الصحابي (عقبة بن نافع) " <sup>218</sup>.

ذكرنا من قبل ما جاءت به المصادر القديمة حول تهودة بأنها مدينة أولية، أزلية ونؤكد ذلك بالمصادر الحديثة الأثرية مثل ستيفان كزال (Stephane Gsell) الذي يقول بأنها مدينة قديمة تعود إلى العهد الروماني وكانت تعرف بـ (THABUDEOS)، تقع عند نهاية الواد الأبيض تربطها عدة طرق بمليلي وبادس، بها الكثير من الآثار الرومانية والبيزنطية التي تمتد على مساحة كيلوا متر مربع في المكان المسمى خربة بن عطية تتمثل في الأحجار المنحوتة والفسيفساء والجرار والحمامات والأبار...<sup>219</sup>، نفس الشيء يؤكد جون برزاز (Jean Baradez) الذي عثر بها على الكثير من الآثار الرومانية والبيزنطية من كتابات على الحجارة المنحوتة التي أشار إليها من قبل (Albertini) وأبار...، ويضيف أنها عبارة عن قرية صغيرة تقع فوق تلة مرتفعة وهي ذات موقع استراتيجي وتعتبر حصن هام من حصون خط الليمس، كما يقول أنه كان له الشرف في اكتشاف قلعة صغيرة ذات شكل متعدد الأضلاع وشبه منحرف مبنية بحجارة منحوتة دائرية وجدرانها جد سميكة...<sup>220</sup>.

لنصل إلى القول أن منطقة تهودة كانت مدينة عامرة تتوفر بها كل شروط إقامة المدن (الحصانة، الخندق، المياه، وسهولة الاتصال لجلب المؤونة.. الخ) وذات موقع إستراتيجي وهذا ما تثبته المصادر المادية لأثرية والكتابات الأدبية التاريخية.

**- تاريخ إنشائه:** لا نقف على أثر مادي أو تاريخي يدل على فترة معينة بإستثناء ما هو ثابت تاريخيا أن قبور شهداء معركة تهودا 63هـ-683م جصت ووضعت عليها أسنمة، وإعتقادا على الأحداث التاريخية التي عرفتها منطقة إفريقيا يمكن القول أنه أسس في فترة عودة الفتح الإسلامي للمنطقة على يد زهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان والإنتقام لكارثة تهودا والقضاء على مملكة الكاهنة سنة 69هـ-84هـ/688م-705م، أو إلى فترة حكم أسرة الفهريين لإفريقيا ما بين 127هـ-140هـ/744-758م<sup>221</sup>، على أساس أنها اهتمت بضريح عقبة بن نافع.

## ب - الدراسة المعمارية: ( الشكل رقم: 18 )

لم يكن لأبي المهاجر ضريح مهم مثل ضريح عقبة بن نافع الذي أسس حوله مسجد هام يعتبر من المعالم الأثرية لمنطقة الزاب، ربما يعود ذلك إلى عصبية الفهريين الذين حكموا إفريقيا فيما بين 127هـ-140هـ/744-758م، فالضريح كان عبارة عن غرفة بسيطة مربعة الشكل بسقف مستوي تتقدمها ساحة صغيرة بمثابة صحن للغرفة، بني بمواد محلية تتمثل في الطوب المجفف للجدران وجذوع النخل وسعفها للسقف، بسبب هشاشة هذه المواد كان كثيرا ما يسقط سقف الضريح ويعاد ترميمه من قبل سكان المنطقة دون

أنظر. <sup>216</sup> - صاحب الاستبصار، مصدر سابق، ص 174 - 175.

- Cambuzat. P -L op.cit, P205-

<sup>217</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 173، 511.

<sup>218</sup> - الورتلاني، مصدر سابق، ص 114.

<sup>219</sup> - Gsell . S, op.cit, , feuille n°49, PP1-2.

أنظر. <sup>220</sup> -

- Baradez . J, op.cit, PP281-287.

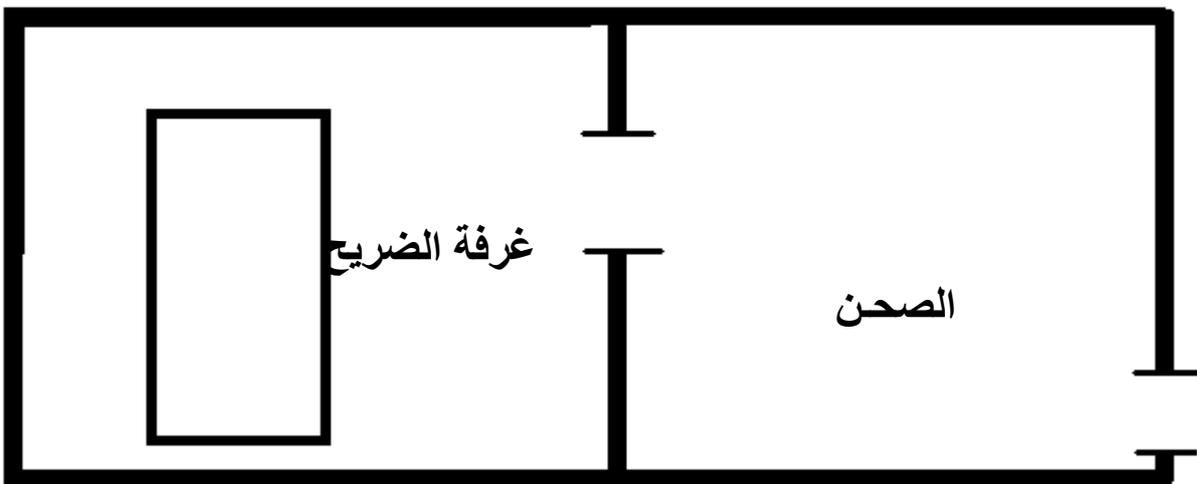
- Cambuzot . P-L, op.cit, P204.

أنظر. <sup>221</sup> - موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 44-47.

- عبد الرحمن الجيلالي، ج1، مرجع سابق، ص 133-137.

تسجيل أي اهتمام رسمي من قبل الجهات المعنية فقلة المعلومات حول شخصية أبي المهاجر رافقه قلة الإهتمام بأثره المادي، إلى أن قام في السنوات الأخيرة أحد المحسنين بإزالة البناء القديم المهدم وبناء ضريح جديد يليق بمقام فاتح المغرب الأوسط وأحد شهداء معركة تهودة، فالضريح يتكون من غرفة مستطيلة الشكل في الجهة اليمنى منها يوجد القبر الذي تعلوه قبة نصف كروية صغيرة، يتقدم الغرفة صحن. ( الصورة:34، ص57).

رغم أننا لم نعثر على أي قرينة مادية أو تاريخية تبين الشكل الذي كان عليه الضريح وهل عرف ترميمات أو لا إلا أنه يمكن القول أن الشكل الحالي يشبه الشكل الأصلي على اعتبار أن هذه النماذج منتشرة في منطقة الزاب مثل ما هو الشأن في ضريح سيدي لحسن السالف الذكر ( الصورة:4، ص6).



## 2 - ضريح خالد بن سنان العبسي أ - موقع الضريح وتاريخ إنشائه

**- التعريف بصاحب الضريح:** هو خالد بن سنان بن غيث بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي، من بني المقاصف بن ذكران بن زبيبة بن الحرث بن قطيعة بن عبس<sup>222</sup>، إلا أن هناك من ينسبه إلى حمير وهذا ما جاء به الصاوي عند حديثه عن الأنبياء بعد عيسى عليهم الصلاة والسلام فيقول: " و واحد من حمير وهو خالد بن سنان " <sup>223</sup> ، وقد ورد في وقت بعثته أنه كان بين نبي الله عيسى عليه السلام وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أي زمن الفترة التي قال الله عنها : ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير )<sup>224</sup>.

جاء في تفسير هذه الآية حسب الإمام القرطبي: أن الله سبحانه وتعالى قادر على إرسال العديد من الأنبياء كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام إذ كان بينهما ألف وسبعمئة سنة وألف نبي وقادر على الإرسال في الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسعة وستون سنة وأربعة أنبياء؛ ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب هو خالد بن سنان العبسي<sup>225</sup>، ويتفق الكثير من الأئمة على أن خالدا كان بين عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، أو ما يعرف بزمن الفترة مثل، ابن الأثير والمسعودي وابن أبي دینار<sup>226</sup>، وأنه كان من الحنفاء الذين لم يسجدوا لصنم، موحدا على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام<sup>227</sup>.

بالنسبة لنبوته فلقد كانت محل خلاف بين العلماء فهناك من أقرها اعتمادا على ما ورد بشأنه في قوله صلى الله عليه وسلم : " ذاك نبي ضيعه قومه " منهم ابن القيم الجوزي الذي ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم : " قدم عليه وفد من بني عبس فقالوا: يا رسول الله ! قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش وهي معايشنا فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير في أموالنا ومواشينا، بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم الله من أعمالكم شيئا " وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان، هل له عقب؟ فأخبروه أن لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت، وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال: " نبي ضيعه قومه " <sup>228</sup>، وورد أن الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري، حدثنا يحيى بن المعلى بن

222 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، المجلد 2، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص201.

223 - صلاح مؤيد العقبى، أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي، المطبوعات الجميلة الجزائر، ب ت، ص15.

224 - الآية 19 من سورة المائدة، برواية ورش.

225 - أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد3، دار الكتب المصرية، 1957، ص235.

226 - أبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص52.

- ابن الأثير، المجلد1، مصدر سابق، ص219.

- ابن أبي دينار، مصدر سابق، ج2، ص214.

227 - صلاح مؤيد العقبى، أضواء على حياة .....، ص18.

228 - أبي عبد الله بن القيم الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، المجلد2، ج3، تحقيق حسن محمد المسعودي، دار الكتاب العربي بيروت، ب ت، ص53-54.

منصور الرازي، حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع، عن سالم الأبطس عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: " جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال: " بنت نبي ضيعه قومه " وذكر ابن حجر أن أبو يونس قال أن سماء بن حرث سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: " ذاك نبي ضيعه قومه " وأن ابنته أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " مرحبا بابنة أخي " <sup>229</sup>، أما المسعودي في مروجه فيقول: " قال ابن عباس: ووردت ابنة\* له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت، وقال لها: " مرحبا بابنة نبي ضيعه أهله " ، والتي قالت عندما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ( قل هو الله أحد، الله الصمد ) <sup>230</sup> ، قالت كان أبي يقول هذا " <sup>231</sup>،

وترجم له الزركلي بقوله: " حكيم من أنبياء العرب في الجاهلية كان في أرض بني عيس... " <sup>232</sup>، أما الذين ينكرون نبوته يقولون أن الأحاديث النبوية التي جاء فيها القول بنبوة خالد بن سنان ضعيفة الإسناد وأنه ليس بين عيسى عليه السلام ونبينا صلى الله عليه وسلم نبيا ولا رسولا وفقا لما جاء في القرآن الكريم <sup>233</sup> بقوله تعالى: ( وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) <sup>234</sup> ، وقوله تعالى: ( لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) <sup>235</sup>

وما ورد في السنة النبوية، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي " <sup>236</sup>.

وحسب رأينا حتى وان كانت الأحاديث التي تدل على نبوة خالد ضعيفة إلا أنها تدل على أن للقصة أصل، خاصة وأنه يمكن أن يفهم من الحديث النبوي السابق الذكر أنه لم يبعث بعد عيسى عليه السلام نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من يقر بشريعة عيسى عليه السلام، أو أن هذا الحديث ورد في سياق الحديث عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، بقوله صلى الله عليه وسلم: " ليس بيني وبين عيسى نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فأعرفوه رجل مربع إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر وأنه لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون " <sup>237</sup>.

أخيرا يمكن القول أنه حتى وإن لم يكن خالد نبيا فأكيد أنه كان رجلا صالحا يدعوا إلى الخير، كما أن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء ورسلا لا يجمعهم سجل حافظ ولا يحصيهم كتاب واع مصدقا لقوله تعالى: ( ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) <sup>238</sup>

وكانت وفاته قبل عام الفيل بفترة وجيزة يحددها البعض بخمس سنوات <sup>239</sup>، وأنه مدفون في بلدة سيدي خالد ببسكرة وهذا ما يؤكد ابن أبي دینار بقوله: " أنه مدفون في بلدة بسكرة... وهو في تلك البلاد يسمونه خالد النبي ويزورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم " <sup>240</sup>، وهذا ما أشار إليه العياشي في رحلته بقوله: "

أنظر <sup>229</sup> - إسماعيل بن عمر عماد الدين أبي الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1974، ص69.

- ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ص201.

- محمد الصغير المختاري، مرجع سابق، ص63.

\* بعض المراجع تقول أنها لم تكن ابنته بل إحدى حفيداته أو بنات ذريته.

<sup>230</sup> - الآية 1، 2 من سورة الإخلاص، برواية ورش.

أنظر <sup>231</sup> - المسعودي، مصدر سابق، ج1، ص54.

- نفس المصدر، ج2، ص175.

<sup>232</sup> - الزركلي، المجلد2، مصدر سابق، ص296.

<sup>233</sup> - ابن كثير، مصدر سابق، ج2، ص69.

<sup>234</sup> - الآية 6 من سورة الصف، برواية ورش.

<sup>235</sup> - الآية 3 من سورة السجدة، برواية ورش.

<sup>236</sup> - صحيح مسلم، ج8، ص105.

<sup>237</sup> - صحيح مسلم، مصدر سابق، ج1، ص414.

<sup>238</sup> - سورة غافر، الآية78، برواية ورش.

<sup>239</sup> - مخطوط " تنوير البصائر ولأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار "، لصاحبه الشيخ علي البوعناني، المطمطي، زاوية علي بن عمر، بطولقة.

<sup>240</sup> - ابن أبي دینار، مصدر سابق، ج2، ص19.

وسمعت أنه هو (أي الأخضرى) الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب، المنسوب لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام، وهذا القبر الآن من المزارات الشهيرة في تلك البلاد... وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة<sup>241</sup>، ونفس الرواية يذكرها الرحالة أبو القاسم الزياني لأنه نقلها عن العياشي<sup>242</sup>، كما يذكر الرحالة الورتلاني هذا القبر ويقر بنبوته خالد بن سنان في قوله: " مشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام، على القول بنبوته وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرص الملقب الآن أوراس وكانت معجزته نارا، وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة قليلة والذي شهر رسالته سيدي عبد الرحمان الأخضرى\* ". وهو مقام عظيم والوفود تأتيه من المشرق والمغرب للزيارة<sup>243</sup>. ومهما اختلفت الروايات ومدى صحتها؛ فإن قبر النبي خالد بن سنان أصبح ظاهرة واقعية في منطقة سيدي خالد ببسكرة، وهذا ما يجعلنا نتساءل: خالد نبي عربي من بلاد الحجاز (بني عبس) كيف وصل إلى منطقة بسكرة؟

للإجابة عن هذا السؤال نتعرض أيضا إلى مجموعة من الآراء والروايات حيث نجد من يقول أن دخوله بلاد المغرب كان ضمن الهجرات العربية التي كانت تتم بين الجزيرة العربية والشمال الإفريقي عبر الأراضي اليمينية والمصرية، هذا ما جاء به ابن أبي دينار عند رده على قول إسحاق بن أبي عبد الملك الملتشوني أن إفريقيًا لم يدخلها نبي قط بقوله: " وقال غيره بل دخلها نبي الله خالد بن سنان العبسي وكان في زمن الفترة " <sup>244</sup>، ونجد أيضا التفسير الذي أورده العلامة عبد الرحمان الجليلي، الذي يذكر: " أن الساميين جاؤوا إلى إفريقيًا من جزيرة العرب في ثلاث دفعات آخرها كانت ما بين القرن العاشر والأول قبل الميلاد... وقد يكون الضريح الموجود إلى اليوم بالجنوب الغربي من بسكرة المنسوب إلى خالد بن سنان العبسي هو لأحد أعضاء هذه الجاليات العربية القديمة التي ارتادت هذه الأوطان، هذا إن لم يكن قبرًا لأحد المبشرين بالمسيحية ممن ذكرنا أسماءهم فيما تقدم " <sup>245</sup>، والبعض الآخر يذكر أنه وصل إلى المغرب ميتًا، على راحلة لأن قومه لم يدفنوه وأنهم حملوه على ناقه فذهبت إلى أن بلغت المكان المذكور<sup>246</sup>.

أما قبره ببلاد الزاب فيذكر الرحالة العياشي والورتلاني أن عبد الرحمان الأخضرى هو الذي اكتشفه بواسطة علم التربيعة، حيث يقول العياشي: " سمعت من بعضهم أن سيدي عبد الرحمان الأخضرى أخبرهم أنه شاهد النور صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليالي أو نحوها، وأخبر أنه قبر نبي الله خالد.. " <sup>247</sup>. وفي الأخير مهما كانت حقيقة خالد بن سنان، هل هو نبي أم لا؟ وهل هو موجود بمنطقة سيدي خالد، أو منطقة أخرى؟ فإنه أصبح ظاهرة مميزة للمنطقة ولناحية أولاد جلال و الجنوب الجزائري ككل تستحق الدراسة والبحث من كل الجوانب.

#### - موقع الضريح: ( الخريطة: 06 الملحق 04)

يقع ضريح خالد بن سنان بمكان مرتفع بين وادي جدي ووادي القليسي على بعد أمتار من المدينة الأثرية، عند نقطة تقاطع خطي طول وعرض (س،ع) = (123.5، 712.8)؛ من سيدي خالد الواقعة جنوب غرب بسكرة على بعد 107 كلم، وهي عبارة عن واحة تبعد 7 كلم عن واحة أولاد جلال، لم تسجل بها أي آثار أو بقايا رومانية لأن الرومان لم يتوغلوا في الجنوب<sup>248</sup>، ولا نجد لها أي ذكر في المؤلفات العربية ما عدا العياشي والورتلاني عند ذكرهما لقبر خالد بن سنان الذي حملت المنطقة اسمه واشتهر به.

أنظر. 241 - مخطوط الرحلة العياشية، زاوية علي بن عمر طولقة.

- العياشي، ج2، مصدر سابق، ص 335.

242 - أبو القاسم الزياني، مصدر سابق، ص 376.

\* عبد الرحمان بن محمد الأخضرى، أديب ولغوي جزائري من أبناء منطقة الزاب له مؤلفات في المنطق والبيان؛ منها: السلم: أرجوزة في المنطق، الجوهر المكنون في المعاني والبيان البديع، وهو الذي يقول فيه الرحالة العياشي: إمام جامع بين علم الظاهر والباطن له تأليف مشهورة وكرامات ماثورة وأشهر تأليفه المنظومة في المنطق والمسماة بالسلم المروتنق وله مقدمة مشهورة في الفقه وبيته بيت علم.

243 - الورتلاني، مصدر سابق، ص 5.

244 - ابن أبي دينار، مصدر سابق، ج2، ص 17-22.

245 - عبد الرحمان الجليلي، مرجع سابق، ج1، ص 117-118.

246 - العياشي، مصدر سابق، ج2، ص 335.

247 - العياشي، مصدر سابق، ج2، ص 335.

أنظر. 248 - توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 183.

- تاريخ إنشائه: يشكل ضريح خالد بن سنان العبسي النواة الأساسية التي أنشئت حولها المجموعة البنائية المتكونة من مسجد وغرف الطلبة وغرف الضيوف، وضريح عبد الرحمان بن خليفة\* ومسكن الوكيل وعائلته (الشكل رقم: 19)، (اللوحة: 24، ص58)، ولقد كان في الأصل زاوية تعرف بزاوية سيدي خالد وفقا لوصف الرحالة العياشي حيث يقول: " مررت بزاوية سيدي خالد فوجدت فيها أربعين طالبا يدرسون مختلف العلوم وكان بعضهم غريبا عن البلدة " <sup>249</sup>، وتذكر بعض المراجع أسماء علماء درسوا في الزاوية وكان لهم الفضل في تنشيطها من أمثال أحمد بن إبراهيم بن الجودي القادم من المغرب في بداية القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي، وعبد الرحمان بن خليفة الذي وصل إلى البلدة عام 945هـ 1538م.

أما بالنسبة لتاريخ هذا المبنى فإننا لا نقف على تاريخ محدد لإنشائه لعدم وجود أي قرينة مادية أو تاريخية تبين ذلك، لكن اعتمادا على ما ذكره العياشي من أن عبد الرحمان الأخضر هو الذي أظهر القبر بواسطة الكشف ♦ وعلم التبريع • وذلك في قوله: " وسمعت أنه هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب، المنسوب لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام....." <sup>250</sup>.

وقد أكد نفس الظاهرة الورتلاني بقوله: " ومشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام...والذي أشهر رسالته سيدي عبد الرحمان الأخضر " <sup>251</sup>، وكذلك الزباني في ترجمته حيث يقول: " وهو الذي (أي الأخضر) أظهر قبر نبي الله خالد بن سنان العبسي المشهور بتلك البلاد، وهو من المزارات العظام يقصده أهل الوساطة والزاب وإفريقية من الحاضر والبادي وعليه مسجد عظيم ومدرسة " <sup>252</sup>، وبما أن الكثير من المراجع <sup>253</sup> تؤكد أن عبد الرحمان الأخضر عاش في الفترة ما بين 920هـ - 953هـ/ 1514م - 1547م؛ وبما أن الرحالة والمؤرخين الذين وصفوا بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا إليه يمكن القول أن الضريح يعود إلى القرن 10هـ 16م، إلا أننا نجد الرائد كوفية (Couvet) <sup>254</sup> في مقاله حول الأضرحة يقول أن هذا المزار كان عبارة عن أسقفية تعود إلى القرن 5م إستنادا إلى ما جاء به الأب



ميسناج (père Mesnage) في كتابه إفريقية المسيحية، وهذا غير مستبعد لأن هذه الديانة كانت منتشرة بهذه المناطق قبل وصول الإسلام<sup>255</sup>.

وما هو ثابت تاريخيا أن البناية الموجودة حاليا تعود إلى عام 1337هـ-1917م وقال:-  
تقرير بداية الأشغال الموجودة في سجل جمع التبرعات المحرر من طرف عبد الحفيظ بن سعيد بخطه وبأسلوبه في ستة أسطر جاء فيه مايلي:

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

في جماد 04 الاثنين إبتداء الجمع

وعام 1337 هجري يوم 10 الإثنين إبتداء الخدمة

والله موفق للصواب وإليه حسن المآب

وفي محرم 1338 هجري إبتداء بناء قبة سيدي خالد

غفر الله لوالديه وللمسلمين أجمعين " <sup>256</sup>

أعيد بناء ضريح خالد بن سنان بعد التخريب الذي لحق به جراء الأمطار الغزيرة التي كانت عام 1332هـ-1912م تهدمت البناية القديمة وأزيلت نهائيا وأقيم البناء الجديد الذي استغرق 6 سنوات عمل 1337-1343هـ/1917-1923م، مع الإشارة أن ما جاء في التقرير السالف الذكر أن بداية بناء القبة كان سنة 1338هـ-1918م وهذا يعارض ما ذكره كوفيه(Couvet)(يعود بناء القبة إلى1340هـ-1920م).  
يمكن القول أن بداية البناء كانت عام 1338هـ-1918م و النهاية كانت عام 1920م، خاصة وإن علمنا أن فترة البناء كانت أثناء الحرب العالمية الأولى وسياسة التجنيد الإجباري التي فرضتها فرنسا على الشباب مما أدى إلى نقص اليد العاملة.

أعتمد في البناية الجديدة وبشكل كبير على المخطط القديم للضريح (الشكل رقم: 19)،(اللوحة: 24، ص58)، وكانت من إنجاز مهندس معماري من وادي سوف من عائلة قاقا ذات الأصول العربية الأندلسية، أستعمل في البناء مواد محلية، كالحجارة التي كانت تجلب من محجر في ضواحي المدينة وهي متوفرة بكثرة واستعملت كمادة أساسية في تشكيل الجدران وبناء الدعامات والأعمدة، والبشيم وهي حجارة كلسية جيرية صلبة ملائمة للظروف المناخية الخاصة بالمنطقة، توجد في الجهة الجنوبية للمدينة، والجبس المتوفر بالمنطقة ذي النوعية الجيدة؛ وهو مادة هامة في البناء لمطابقته لكل المقاييس المطلوبة من متانة وصلابة وجمال ومقاومة للعوامل الطبيعية، ولقد استعمل مع الرمل والحصى الصغيرة والأجر المسحوق في تكوين الملاط الذي يستعمل في ربط مواد البناء بعضها ببعض وفي تغطية الجدران والعناصر المعمارية قبل إحداث الزخارف عليها، أما في التسقيف أستعملت جنوع النخيل والعرعار<sup>257</sup>.

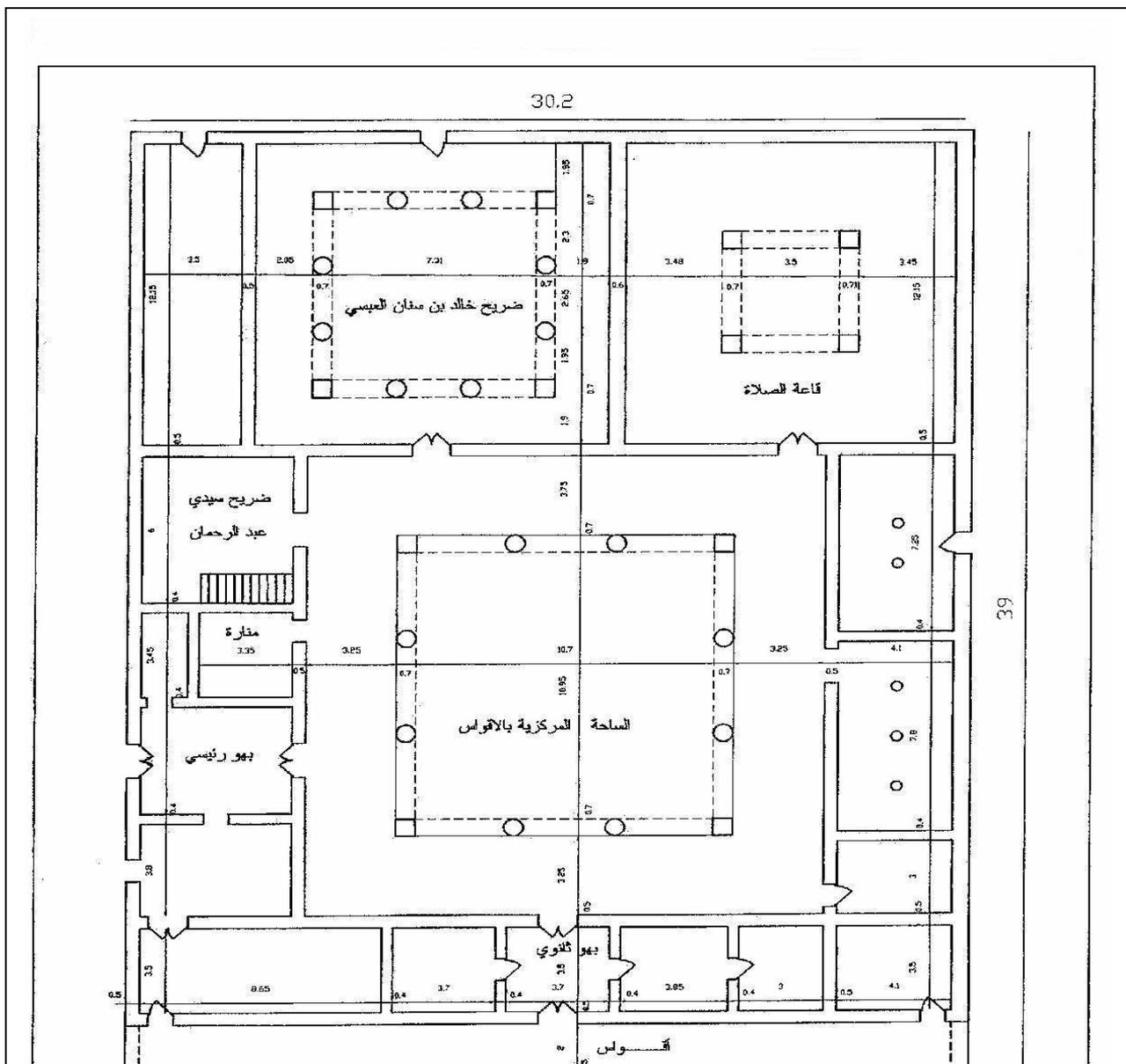
أنظر .<sup>255</sup> - عبد الرحمان الجبالي، ج1، مرجع سابق، ص ص73-118.

- Maguelonne.J, op. cit, P228.

<sup>256</sup> - حرز الله محمد العربي، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء الإحتلال الفرنسي، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، رغبة، الجزائر، 2006، ص211.

<sup>257</sup> - حرز الله محمد العربي، مرجع سابق، ص ص53-59.

بنيت الجدران بالحجارة المختلفة الأشكال والأحجام مع الملاط وذلك في الأساس ثم طبقة من الملاط ثم الحجارة وملء الفراغ الموجود بينها بالملاط وتسوية سطحه بنفس المادة، وتستمر العملية بهذا الشكل إلى النهاية، أما العقود فيتم إنشاء دعامتين أو عمودين يرتكز عليهما العقد ثم يبني العقد بالحجارة إلى منتصف ارتفاعه لتشكل قاعدتين توضع فوقهما عارضة خشبية على إمتداد العقد ومن العارضة تمد عارضتان بشكل مائل تلتقيان في نهايتهما ليشكل لدينا مثلث، وتملأ المسافة الفاصلة بين المثلث وداخل العقد، ثم يتم وضع الحجارة بشكل مشع مع الملاط وهي تعتمد على القطعة الوسطى أو ما يسمى مفتاح العقد وعند تماسك العقد تنزع العوارض الخشبية، وبالنسبة للقباب أستعمل البشيم والجبس في بنائها<sup>258</sup>.



## ب - الدراسة المعمارية:

**ب.1 - الوصف الخارجي:** استنادا إلى الصورة القديمة التي يحتفظ بها أعيان المنطقة وكذلك مخطط الضريح الذي أورده الرائد كوفية (Couvét) في مقالته السابقه حول الأضرحة يمكننا تصور شكل الضريح ووصفه من ناحية المكونات المعمارية، (اللوحة:24، ص58) (الشكل رقم: 19)، فالضريح عبارة عن شكل متعدد الأضلاع بشكل طولي يتجه من الغرب إلى الشرق، جدرانه متوسطة الإرتفاع ينفذ إليه من باب في الواجهة الجنوبية قريب من الزاوية الجنوبية الغربية، وتوجد أربع نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل تتوضح في صف واحد بشكل أفقي إلى يمين الباب، يحيط بها إطار مطلي باللون الأبيض وهي مادة الجير المستعملة بكثرة في المنطقة، على الضريح توجد قبة تأخذ شكل قوس قوطية مدببة أو حادة في القمة، تقوم على قاعدة مربعة مرتفعة نوعا ما، بكل واجهة من واجهات هذه القاعدة نجد نافذتين متجاورتين بشكل مستطيل نهايتهما العلوية مقوسة، تنتهي هذه القاعدة بأربع شرفات نصف هرمية مسننة، إلى جانبها نجد مئذنة طويلة تتكون من برج واحد مثل المآذن المنتشرة بالمنطقة؛ كمئذنة الجامع العتيق بأولاد جلال وجامع الدوسن وجامع بوشقرون<sup>259</sup>، فهي تقوم على قاعدة مربعة تضيق كلما ارتفعنا نتوسط كل واجهة من واجهاتها ثمانية فتحات ضيقة مستطيلة الشكل تتوضع بشكل عمودي، وعند النهاية نجد نافذتين مستطيلتين بنهاية مقوسة في كل جهة مع أربع شرفات نصف هرمية متدرجة، لتغطي بقبيبة صغيرة بشكل قوس قوطية مدببة، يمكن القول أن نهاية المئذنة عبارة عن شكل مصغر لقبة الضريح من الخارج، مما يوحي بالإنسجام بين أجزاء هذا المبنى البسيط.

باستثناء قبة الضريح فإن سقف المبنى مستوي اعتمدت فيه التقنية المنتشرة في المنطقة والتي تقوم على وضع عوارض من جذوع النخيل بشكل أفقي ثم تصنع سدة من جريد النخل توضع فوق الجذوع لتغطي بطبقة من السعف كمادة عازلة، ثم توضع فوقها طبقة من الطين ثم طبقة من الجبس العازل والعاكس للحرارة<sup>260</sup>، إلى جانب هذا المبنى نجد مقبرة خاصة بالأهالي الذين يفضلون دفن موتاهم بالقرب من الضريح وحتى العائلات الشريفة حيث نجد مقبرة خاصة بعائلة بو عكاز التي حكمت المنطقة.

أما من الداخل فنجد صحن كبير مربع الشكل، مكشوف محاط بأروقة تحدها أعمدة تحمل أقواس حدوية الشكل، تفتح في هذه الأروقة كل الغرف التي يتكون منها المبنى (غرفة الصلاة، والضيوف، وسكن الوكيل،.....)<sup>261</sup>.

أما المبنى الحالي فقد حافظ بصفة عامة على التصميم القديم مع التجديد فقط في البناء واعتماد التسقيف بالقباب لكل المبنى (الشكل رقم: 20) (اللوحة:24، ص58)، فهو ذو طابع عربي إسلامي قريب من الطراز الأندلسي المغربي من حيث شكل المئذنة والقباب والأقواس وتوضع القاعات بالنسبة للصحن، خاصة وأن الذي أنشأه من أصول أندلسية والمبنى يرتسم في شكل مستطيل يمتد من الغرب إلى الشرق مقاساته (39م X 20,20م) يتوسطه صحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه 12,10م محاط بأربعة أروقة مستطيلة (60,18م X 3,25م)، تحدها ثلاثة أقواس مكسورة في كل جهة محمولة على أربعة أعمدة إثنان في الوسط وهي أسطوانية الشكل يبلغ قطرها 0,70م وإثنان بشكل مربع بطول ضلع 0,70م في الجانبين (الصورة:35، ص59)، في الرواق الغربي نجد بابين أحدهما يؤدي إلى المسجد والآخر إلى غرفة ضريح سيدي خالد، وفي الجنوب نجد ثلاثة أبواب؛ الأول يؤدي إلى غرفة ضريح سيدي عبد الرحمان بن خليفة الذي أشرنا إليه سابقا، إلى جانبها نجد الباب الثاني الذي يؤدي إلى المئذنة التي تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها 3,35م وهي تتكون من برج واحد وتضيق كلما ارتفعت مثل مئذنة جامع سيدي موسى الخذري ببسكرة، بواجهتيها الجنوبية والشرقية نجد خمس نوافذ متوضعة فوق بعضها البعض تفصل بينها مسافات متساوية، وهي على إستقامة واحدة بشكل عمودي تأخذ شكل مستطيل معقود، إلى جانبها نجد فتحتين صغيرتين مستطيلتي الشكل، أما في الواجهتين الشمالية والغربية نجد ثلاثة نوافذ بنفس الشكل السابق الذكر مع الفتحتين؛ وظيفتهم إنارة المئذنة من الداخل، في منتصف بدن المئذنة في كل زاوية من زواياها الأربعة من الخارج يوجد تجويفا مثلثا بشكل طولي يحمل عمود حلزوني صغير لتزيين المئذنة، وعند نهايتها وفي كل جهة من جهاتها الأربعة، نجد ثلاث نوافذ مصمتة مستطيلة الشكل يعلوها قوس نصف دائري، بين كل نافذتين يوجد عمودين صغيرين

<sup>259</sup> - المساجد في الجزائر، مرجع سابق، ص ص70،72-73.

<sup>260</sup> - حرز الله محمد العربي، مرجع سابق، ص 61.

بشكل حلزوني، تعلق هذه النوافذ شرفات متدرجة أكثر ارتفاعا في الزوايا الأربعة، يتوسطها بربيع صغير يقوم على ثلاثة أعمدة تشكلها أربعة أقواس متقاطعة في كل جهة، الفراغ السفلي لهذه الأعمدة به تخريمات جصية تحمل شكل النجمة السداسية، تغطي المئذنة بقببية صغيرة بيضوية الشكل يعلوها عمود من النحاس يحمل هلال ثم كرة صغيرة ثم هلال يتوسطه نجما. (اللوحة: 24، ص 58)

إلى جانب المئذنة نجد المدخل الرئيسي للمبنى على شكل مستطيل مفاساته (4م X 5,40م) به أربعة أبواب، واحد يفتح على الخارج والثاني على الصحن والثالث يؤدي إلى غرفة صغيرة على اليسار والرابع إلى غرفة على اليمين مربعة الشكل طول ضلعها 4,80م، تفتح بدورها على غرفة أخرى مستطيلة الشكل مفاساتها (3,50م X 8,65م) في الركن الجنوبي الشرقي، وفي الجدار الشرقي نجد مدخل ثانوي صغير مربع الشكل تقريبا طول ضلعه 3,70م به أربعة أبواب واحد يفتح على الخارج والذي يقابله على الصحن والثالث يؤدي إلى غرفة مربعة الشكل على اليسار طول ضلعها 3,70م والرابع على اليمين يؤدي إلى غرفة مربعة طول ضلعها 3,85م تفتح بدورها على غرفة أصغر مربعة طول ضلعها 3م، وفي الركن الشمالي الشرقي غرفة مستطيلة الشكل مفاساتها (3,50م X 4,10م) تفتح على الخارج، في الجهة الشمالية نجد ثلاث غرف متفاوتة الأحجام واحدة صغيرة مستطيلة بقياس (3م X 4,10م) تفتح على الصحن والثانية كبيرة مستطيلة الشكل مفاساتها (4,10م X 7,80م) في وسطها ثلاثة أعمدة أسطوانية الشكل بقطر 0,40م تحمل أربعة أقواس مكسورة وهي أيضا تفتح على الخارج، ثم تأتي غرفة ثالثة مستطيلة الشكل (4,10م X 7,25م) تفتح على الخارج في وسطها عمودين أسطوانيين الشكل بنفس القطر المذكور سابقا؛ يحملان ثلاثة أقواس مكسورة يوجد بها قبر تتوجه عمامة تركية موضوع بشكل محرف عن القبلة؛ يعرف بالقبر التركي ولا توجد أي معلومة عنه.

للمبنى مجموعة من الأبواب منها تسعة تفتح على الخارج إثنان في الجدار الغربي وثلاثة في الجنوبي ومثلها في الشرقي وواحد في الشمالي وثمانية تفتح على الصحن، بالإضافة إلى الأبواب الموجودة ما بين الغرف (الشكل رقم: 20)، وله جدران متوسطة الارتفاع سمكها حوالي 0,60م للجدار الشمالي الخارجي، بينما يبلغ سمك باقي الجدران (0,50م و 0,40م)، في الجهة الشرقية توجد واجهة حديثة تتكون من إثني عشر عمود مربعة الشكل ضلعها 0,50م تحمل إحدى عشر قوسا حدوية الشكل، أما السقف فهو مقبب على الطراز العثماني حيث نجد مجموعة من القباب أهمها وأكبرها قبة الضريح، إضافة إلى مجموعة من القباب والأقبية مثل مسجد علي بتشين بالجزائر العاصمة<sup>262</sup>، في الأركان الأربعة للمبنى شرافة نصف هرمية متدرجة فوقها هلال وهو من الرموز الإسلامية المستعملة بكثرة في مثل هذه المباني. (اللوحة: 24، ص 58).

## ب. 2 - الوصف الداخلي: يتكون الضريح من الداخل من:

- **غرفة:** ذات شكل مربع تقريبا طول ضلعها 12,15م يدخل إليها من باب في جدارها الشرقي مفاساته (1,97م X 2,80م)، كما يمكن الدخول إليها من الخارج مباشرة من باب في جدارها الغربي عرضه 1,10م وارتفاعه 2,20م، إلى جانبيه نافذتين صغيرتين مربعتي الشكل إرتفاعهما 0,65م وعرضهما 0,60م، بالجدار الجنوبي فتحتين صغيرتين للإضاءة بعرض 0,20م وارتفاع 0,35م، مع وجود أربع لوحات جصية موزعة على الجدار كتبت باللون الأحمر تتمثل في قصائد تذكر بعض صفات وأخلاق صاحب الضريح، في الجدار الشرقي إلى يمين المدخل الرئيسي نافذة تفتح على الصحن إرتفاعها 2,10م وعرضها 1,40م، وفي الجدار الشمالي ثلاث نوافذ تطل على المسجد أكبرهم الوسطى بإرتفاع 2م وعرض 2,40م، على جانبيها نجد عمودين مصلعي الشكل تعلوهما قوس حدوية مدببة نوعا ما، إلى اليمين واليسار نجد النافذتين الأخرتين بإرتفاع 1,60م وعرض 1,10م، في وسط الغرفة نجد مربع بطول ضلع يقدر بـ 8,71م يرتفع عن أرضية الغرفة بـ 0,40م في زواياها الأربعة توجد أربع دعائم تحصر فيما بينها ثمانية أعمدة، يعلوها إثنا عشر عقدا نصف دائري تقوم عليها القبة المركزية، في وسط هذا المربع نجد التابوت الخشبي، شكل هذا المربع المرتفع والدعائم والأعمدة أربعة أروقة تحيط بالتابوت الخشبي مفاساته (12,15م X 1,95م). (اللوحة: 25، ص 60)

- **المسجد:** هو عبارة عن غرفة مربعة الشكل طول ضلعها 12,50م تفتح على الصحن يقع إلى الشمال من غرفة الضريح، يشتمل على ثلاث بلاطات عمودية وثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، وهي محصورة بين أربعة أعمدة، و صفيين من الأقواس العمودية على جدار المحراب و صفيين آخرين موازيين لجدار المحراب، هذا الأخير يتوسط جدار القبلة وهو عبارة عن جوفة بسيطة قليلة العمق ملساء عرضها 0,80م وارتفاعها 2م، تغطي جوفته بقبيبة صغيرة، على جانبيه يوجد عمودين أسطوانيين الشكل في كل جانب تحمل واجهته المشكلة من لوحة حصية مخرمة بها زخارف هندسية يتوسطها عقد منكسر (الصورة: 36، ص 61)، في أعلى جدار القبلة نجد ثلاث فتحات صغيرة للإضاءة ومثلها في الحائط الشمالي، مع النافذة التي تسمح برؤية ضريح سيدي خالد التي سبق الإشارة إليها.

- **غرفة ضريح عبد الرحمان بن خليفة:** مربعة الشكل طول ضلعها 5م، مغطاة بقبة نصف كروية موضوعة على قاعدة ذات ثمانية أضلاع، يوجد في الركن الشمالي الشرقي للغرفة قبو صغير ينزل إليه بواسطة سلم إلى المكان الذي كان الشيخ عبد الرحمان بن خليفة يجلس فيه للعبادة بعيدا عن الأنظار أو ما يعرف بالخلوة.

**ج. - العناصر المعمارية:** يشتمل الضريح على مجموعة من العناصر المعمارية تتمثل في:

**ج.1 - الروافع:** وهي ثلاثة أنواع:

- **الأعمدة:** يشتمل المبنى على مجموعة من الأعمدة؛ منها ذات الشكل الأسطواني وأخرى مربعة بسيطة خالية من أي زخرفة لا توجد لها قاعدة ولا تاج تعكس بساطة المنطقة والمقام، منها ثمانية أسطوانية بقطر 0,70م في غرفة الضريح بمعدل إثنين في كل جهة، تحمل الأقواس التي ترتكز عليها القبة المركزية، ومثلها في الصحن تتوزع بنفس الشكل، وأربعة مربعة طول ضلعها 0,70م في وسط بيت الصلاة وخمسة أسطوانية الشكل بقطر 0,40م في ملحقات الضريح. (الصورة: 37، ص 62)

- **الدعامات:** يوجد بغرفة الضريح أربع دعامات ضخمة مربعة الشكل طول ضلعها 0,70م تتوزع على زوايا المربع الذي يحمل التابوت الخشبي، وهي التي ترتكز عليها القبة المركزية والأقواس الجانبية الموجودة في الأروقة، وأربع دعائم بنفس القياس في أركان الصحن تحمل أقواس الأروقة وستة عشر دعامة في الجدران الداخلية لأروقة الصحن بمعدل أربع دعامات في كل جدار، وثمان دعامات في جدران المسجد تتوزع إثنان في كل جدار بنفس الشكل والقياسات السابقة. (الصورة: 37، ص 62)

- **الأقواس:** أستعمل نوعان من الأقواس في المبنى، منها أقواس نصف دائرية وضعت في غرفة الضريح بين الأعمدة والدعامات بعرض 1,97م وسمك يزيد عن 0,70م، ويوجد في كل ركن من أركان الأروقة عقدا صغيرا بنفس الشكل يرتكز على الدعامة من جهة وعلى الجدران من الجهة الأخرى، أما في عقود الصحن وبيت الصلاة فهي أقواس منكسرة تتوزع بين الأعمدة والدعامات. (اللوحة: 25، ص 60)، (الصورة: 35، ص 59).

**ج.2 - القباب:** يوجد في سقف المبنى مجموعة من القباب؛ أهمها ثلاثة أكبرها القبة الموجودة فوق غرفة الضريح والتي كانت في البناء الأصلي من نوع خاص يتمثل في ما يعرف بالقباب المزدوجة أو المحمية (La coupole protégée) مثل ما جاء به (Couvét) <sup>263</sup>؛ الذي يشير أن هذا النوع ذو أصول أندلسية مثل القباب الموجودة في مسجد قرطبة ثم إنتقلت إلى المغرب واستعملت بكثرة خاصة على الأضرحة مثل ضريح سيدي محمد العياشي وقبة زاوية بن ساسي وضريح لالة عزيزة، ثم انتقلت إلى الجزائر واستعملت بكثرة في الغرب، مثل القباب الموجودة في مدينة تلمسان على ضريح سيدي بومدين وسيدي الحلوي ولالة روبا

(Rouya)، ومن ثم انتقلت إلى الكثير من المناطق مثل مدينة المدية ومنطقة القبائل كقبة سيدي علي بن موسى نفونس، وهذه القباب بسيطة من الخارج لكنها غنية بالزخارف من الداخل<sup>264</sup>.  
يصف كوفيه (Couvét) قبة ضريح سيدي خالد بأنها كانت على شكل قوس قوطية حادة أو مدببة تتكون من قبتين متوضعتين فوق بعضهما البعض، الخارجية منها للحماية والداخلية أو السفلى هي التي تغطي أو تحيط بالضريح المربع الذي نجد في جانبيه فتحة ضمن عقد نصف دائري تسمح برؤية قبة الحماية التي تقوم على القاعدة المربعة وزواياها الأربعة من الخارج تتوج بشرفات مثلثة ذات نهاية حادة<sup>265</sup>. (اللوحة: 24، ص 58)  
القبة الحالية تتكون من قشرة واحدة إلا أن شكلها الخارجي يختلف تماما عن الداخلي، فهي من الخارج تقوم على قاعدة مضلعة بستة عشر ضلعا مع ثمان فتحات دائرية صغيرة لتعطي القبة المضلعة في النهاية، هذا التضليح لا نلاحظه في الداخل لأنها مغطاة بطبقة سميكة من الجص غنية بمختلف الزخارف، فهي تتوضع على القاعدة المربعة المحمولة فوق الدعامات والأعمدة والأقواس، تحول هذه القاعدة إلى مئمن بواسطة المثلثات الكروية التي تحتضن فيما بينها قوس نصف دائرية فوقها فتحتين دائريتين صغيرتين مخرمتين في كل جهة للإنارة، وهي التي أشرنا لها سابقا من الخارج. (الصورة: 38، ص 63)، (اللوحة: 25، ص 60)،  
القبة الثانية هي الموجودة فوق ضريح سيدي عبد الرحمان بن خليفة والثالثة الموجودة فوق بيت الصلاة، وهما على شكل نصف كروي تحملا زخارف جصية تشبه الموجودة فوق ضريح سيدي خالد، إضافة إلى ما ذكرنا نجد في غرفة الضريح أربعة قباب صغيرة نصف كروية تحمل زخارف جصية بشكل طبق نجمي تتواجد في الأركان الأربعة للغرفة عند نهاية الأروقة، (الصورة: 39، ص 64) ويوجد مثلها في المسجد لكنها خالية من أي زخرفة، وباقي سقف الأروقة مغطى بشكل قبو غني بزخارف جصية مثل ما هو موجود في أروقة مسجد سيدي أبي مدين<sup>266</sup>، ونفس الشكل القبوي نجده في سقف أروقة المسجد وأروقة الصحن لكن بدون زخرفة، وفي جانبي أروقة غرفة الضريح نجد قبتين منخفضتين في كل جانب تأخذ شكل القبو من الخارج وثمانية الزوايا من الداخل وسط مربع صغير. (الصورة: 40، ص 65)

**ج.3 - الشرفات:** كان بالمبنى شرفات بسيطة نجدها في زوايا القاعدة التي تحمل القبة من الخارج وزوايا نهاية المئذنة على شكل مثلث أو يمكن القول نصف هرمي، أما في البناية الجديدة فنجدها في الأركان الأربعة للمبنى بشكل نصف هرمي مدرج يعلوها هلال وفي نهاية بدن المئذنة في الزوايا الأربعة وبنفس الشكل تعلوها كرة صغيرة وفي نهاية جدران غرفة الضريح من الخارج نجد شرفات ثلاثية الفصوص. (الشكل رقم: 21)، (اللوحة: 24، ص 58).

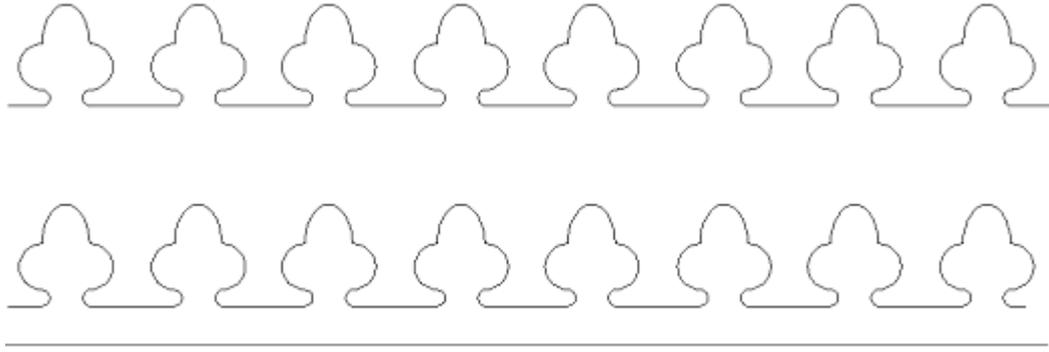
أنظر<sup>264</sup> -

- Couvet. C, op, cit, PP326-328.  
- Bourouiba ,R,L'art Religieux....., P189.  
-Marcas, G,L'architecture... ,P195.

<sup>265</sup> - Couvet . C, op, cit, P458

أنظر<sup>266</sup> - المساجد، مرجع سابق، ص 37.

- Bourouiba ,R ,L art Religieux..... planche XXXI(N°1), P 189.



## الشكل رقم: 21 شرفات ثلاثية الفصوص خالد بن سنان

من إنجاز الطالبة

ومنسجم اضفى جمالا ورونقا على الغرفة، وتتمثل هذه العناصر الزخرفية في:

**د. 1 - العناصر النباتية:** تتميز بالبساطة وهي نوعان: عناصر نباتية قريبة من الطبيعة نجدها في الواجهة الخارجية والداخلية للعقود الموجودة بين الأعمدة والدعامات؛ تتمثل في مزهرية بها شجيرة مزهرة باللون الأخضر والأبيض والأحمر على أرضية زرقاء محاطة بخطوط صفراء، وأخرى تتمثل في مزهرية بها شجيرة مثمرة باللون الأخضر والأصفر والأحمر على أرضية بنفسجية، أما الزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة فنجدها في بطون العقود تأخذ شكلا يشبه الزهرة الرباعية الفصوص بلون أزرق على أرضية خضراء محاطة بخطوط بنية زينت في داخلها بخطوط رقيقة سوداء وأخرى بيضاء وحمراء وصفراء، إضافة إلى شكل الزهرة الضخمة التي تغطي القبة المركزية فهي مكونة من ستة عشرة فصا، ونفس الشيء نلاحظه في القباب الجانبية لكن بثمانية فصوص، وفي المثلثات الكروية وفي قبة المسجد التي تتكون من

زهرة بستة عشرة فصا موضوعة بشكل حلزوني، وفي قبة ضريح عبد الرحمان بن خليفة بثمانية فصوص (اللوحة: 26، ص66).

**د.2 - العناصر الهندسية:** أستعملت بشكل واسع وجاءت في شكل تخريصات جصية، حيث نجد المثلث والمعين والدائرة والمربع والمستطيل والخطوط المائلة والمستقيمة والمنكسرة، كما احتوت زخارف نباتية وخطية فكانت حلية زخرفية رائعة الجمال وهي تتمثل في:

- **المعينات والمثلثات:** موجودة بكثرة في أنصاف الدوائر والمثلثات الكروية الموجودة عند قاعدة القبة المركزية، فالمعينات المتداخلة تزين جوانب المثلثات الكروية بمعدل ستة في كل جانب، تشكل فيما بينها ما يشبه نصف زهرة ضخمة خطوطها التحديدية رسمت بواسطة مثلثات صغيرة زرقاء اللون، والمعين المركزي باللون البني وأعلى هذه المعينات زين بأشكال نجمية سداسية الأضلاع باللون الأخضر والبني وهي نفس الزخرفة التي نجدها في الأركان الأربعة للضريح تحت القباب الركنية، والمثلثات تحيط بالقبة المركزية والقباب الركنية والمثلثات الكروية بين كل فصين من فصوص الزهرة، ونفس الشكل تقريبا نجده في أنصاف الدوائر الموجودة بين المثلثات الكروية. (الصورة: 41، ص67)

- **الدوائر:** استعملت خاصة في القباب الركنية والقباب المحصورة بينها، حيث نجد أربع دوائر خالية من أي زخرفة في كل قبة، أما في الحنايا الركنية فنجد سلسلة من الدوائر المتشابكة تحيط بالقباب ووجدت أيضا في وسط المثلثات الكروية تحمل في وسطها زهرة صغيرة بستة فصوص أو اثني عشر فصا. (الصورة: 39، ص64)

- **المربعات والمستطيلات:** لا نجد مربعات ومستطيلات بمفهومها الحقيقي، لكنها شكلت بفروع نباتية تعطي في تشابكها وتقابلها شكل المربع والمستطيل، وهي تظهر في كل المساحة الموجودة تحت المثلثات الكروية وأنصاف الدوائر تحت القبة المركزية، إضافة إلى أشكال أخرى سداسية وثمانية تمثل نجوم وأزهار وخطوط منكسرة وأخرى مظفورة ومتشابكة تزين معظم الفراغات في القبة المركزية وأنصاف الدوائر والقباب الركنية. (الصورة: 38، ص63)

**د.3 - العناصر الخطية:** قليلة جدا بالمقارنة مع الزخرفة الهندسية؛ تمثلت في لوحات صغيرة وضعت أسفل قاعدة القبة المركزية حملت عبارات دينية مثل " سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " و " سيدنا علي رضي الله عنه " بواسطة خط النسخ (اللوحة: 27، ص68)، نفس الخط استعمل في الألواح الجصية الجدارية الأربعة الموجودة في الجدار الجنوبي والتي تحمل قصائد شعرية وعبارات المدح والثناء على صاحب الضريح.

# نتائج الدراسة

نصل في الأخير أن؛ للعمارة الدينية الإسلامية أنواع مختلفة وعناصر معمارية مميزة مستمدة من دينها وبيئتها، وبالنسبة لمنطقة الزاب فإنها تزخر بالكثير: منها المساجد والزوايا والأضرحة، وقد تضمن البحث دراسة معمقة لعينات من كل نوع من الناحية التاريخية، والطرز المعمارية والجوانب الفنية، ومواقع العناصر الأساسية وأشكال هذه العناصر، وأصلها وتقنيات ومواد بنائها، وعناصرها الزخرفية، مع تبيان أهميتها التاريخية والحضارية وضرورة استغلالها حاضرا ومستقبلا، وكنتيجة لهذه الدراسة ( العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة الزاب) يمكن القول أن:

. مساجد الزاب تميزت بتنوع طابعها المعماري؛ منها ما يعود إلى نموذج مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مثل ما هو الشأن في جامع سيدي موسى الخذري، ومنها ما هو على الطراز العثماني مثل الجامع العتيق ببرج بن عزوز، وبصفة عامة فهي بسيطة؛ بيوت الصلاة فيها قليلة العمق والمئذنة مربعة الشكل شبيهة بالبرج تضيق كلما ارتفعت، وزخرفتها بسيطة.

. زوايا المنطقة أدت وظيفة المدارس التي كانت منتشرة في المغرب الأوسط ( خاصة بمدينة تلمسان) وفي المشرق الإسلامي، إلا أنها لم تتبع التخطيط القائم على الأواوين وجاءت على شكل صحن مكشوف يحيط به المسجد الذي يستعمل أيضا كقاعة للتعليم، ومجموعة من الغرف وهي مسكن للطلبة يتكون بعضها من طابقين، وما يميز الزاوية بمنطقة الزاب وجود ضريح لمؤسسها ضمن مجموعاتها البنائية، أما زخرفتها مقتصرة على غرفة الضريح والمسجد.

. الأضرحة متنوعة في تخطيطها لكن نلاحظ نموذجين رئيسيين: نموذج بسيط يتكون من غرفة صغيرة يتقدمها صحن مكشوف مثل ما رأيناه في ضريح أبو الهاجر دينار، ونموذج معقد نوعا ما مثل ضريح خالد بن سنان الذي جاء ضمن مجموعة بنائية لأن أصل البناء كان عبارة عن زاوية، مع زخرفة هامة في غرف الضريح دون غيرها، ونشير إلى استعمال القبّة في تغطية غرفة الضريح في كلا النموذجين، وبصفة عامة فإن أضرحة الزاب بسيطة في عمارتها وزخرفتها وهذا بسبب وحدة الدين والمذهب الذين كان لهما الأثر الواضح، فهي لا ترقى إلى درجة الأضرحة التي شيدت في مختلف الأقطار الإسلامية مثل إيران وتركيا ومصر وبلاد الشام.

. العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة الزاب مازالت تحافظ على الكثير من التقاليد الأصيلة والخصائص الهامة للعمارة الإسلامية منها:

- خاصية الجوانبية: فهي مستقلة عن الخارج، وجميع العناصر المعمارية من فراغ وكتل وخطوط وزخارف تكون في الداخل، فهي مسورة بجدران تفتتح فيه أبواب عادية وليس لها عناصر اتصال أخرى بالخارج، لكن ثمة عناصر اتصال بالسماء تتمثل في الصحن كفناء مفتوح ومندنة تعبر عن التسامي لاختراق أسرار الفضاء، وقبة تعبر عن الفضاء السماوي.

- خاصية المقياس الإنساني: فهي تتوفر على العناصر الأساسية التي تحقق الهدف الذي وضعت من أجله سواء تعبد أو دراسة أو تقرب إلى الله بكل راحة وأمان.

. العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة الزاب تحقق التوازن المناخي معماريا من خلال:

- سمك الجدران لتحقيق العزل وبنائها باللبن والحجارة والخشب؛ وهي مواد عازلة بطبيعتها.  
- ارتفاع أرضية الغرف عن مستوى أرض الفناء لكي لا يتسرب هواء الخارج إلى الداخل حاملا الحرارة والغبار.  
- وجود الفناء الداخلي الذي يختزن هواء نقيًا معتدل الحرارة والرطوبة ويمنع نفوذ الهواء العلوي إلى الداخل.

. العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة الزاب؛ عمارة أصيلة نابعة من تفاعل الإنسان مع بيئته من حيث مخططاتها وتصميماتها وتقنيات ومواد بنائها.

. العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة الزاب متنوعة (مساجد، زوايا، أضرحة) تعود إلى فترات تاريخية هامة: كعصر الفتح الإسلامي مثل: جامع عقبة بن نافع بسيدي عقبة، وجامع سيدي موسى الخذري بالمسيد، وضريح أبو المهاجر دينار بسيدي عقبة، والعصر العثماني؛ مثل الجامع العتيق ببرج بن عزوز، وزاوية علي بن عمر بطولقة، والزاوية المختارية بأولاد جلال، وضريح خالد بن سنان بسيدي خالد، وكل هذه العمارة بمختلف أنواعها تنعش الذاكرة التاريخية وتذكر بماضي المنطقة الزاخر ومنجزاته المتنوعة، ولا زال البعض منها يستغل لإثراء حاضر المنطقة وتنميتها بل حتى لتخطيط وصياغة مستقبلها.

. العمارة الدينية بمنطقة الزاب مهملة إلى حد كبير ولا تلقى الشيء الكثير من الرعاية والإهتمام من الجهات الوصية، وهذا ما يلاحظ خاصة بالنسبة للجامع العتيق ببرج بن عزوز فرغم أهمية هذا المعلم من حيث الطابع المعماري المميز له والفريد من نوعه في منطقة تواجده، وتأكيد مكتب الرقابة التقنية المعمارية ببسكرة أنه لن يؤول إلى السقوط إذا رمم وأحيط بالرعاية اللازمة، ومع ذلك نسجل إهمالا كليًا مما لا يساعد على إعادة إحياء هذا المعلم وتوظيفه في تنمية السياحة الأثرية بالمنطقة، ونفس الشيء نجده في الزاوية المختارية وضريح خالد بن سنان العبسي؛ فرغم تصنيف هذا الأخير ضمن المعالم الأثرية المحمية إلا أننا لا نفق على مظاهر فعلية تجسد ذلك، وحتى الترميم الذي أنجز على بعض المعالم لم يكن وفقا لطرق علمية مدروسة يحافظ على طابعها المميز؛ وهذا ما يتجلى في جامع سيدي موسى الخذري.

وبناء على ما ذكر فإننا نرى أنه من الضروري الحفاظ عن هذه المعالم الأثرية وحمايتها بالترميم والعناية وفقا لطرق مدروسة ومناهج علمية تحافظ على إرتباط المنشأة المعمارية بالمجتمع الذي ظهرت فيه والظروف التاريخية التي مرت بها، والعمل على توضيح المظاهر الجمالية والفنية للعمارة الدينية ودورها الهام في مسيرة العمارة الإنسانية، وإستغلالها وربطها بالسياحة الثقافية باعتبارها معيارا حضاريا معاصرا تساهم من جهة في الحفاظ على الذاكرة الجماعية ومن جهة أخرى تعمل على دفع عجلة النمو والتطور المحلي.

وفي الأخير نعتقد أن مضمون هذه الخاتمة يجسد إجابة مختصرة لإشكالية البحث الذي أجاب في مضمونه عن الكثير من التساؤلات المتعلقة بهذا الموضوع الذي نرى أنه ما زال خصبا يحتاج إلى الكثير من الدراسات المكتملة، ومع أننا مقتنعين أن عملنا هذا لن يخلوا من القصور الملازم للعمل الإنساني، إلا أننا نأمل أننا وفقنا

ولو في إثارة هذا الموضوع لتحسيس كل المعنيين بضرورة العناية والإهتمام بمختلف مكونات العمارة الدينية بالمنطقة.

## ملخص

تضمن البحث تعريف العمارة الدينية الإسلامية أنواعها وعناصرها المعمارية، ووضعيتها في منطقة الزاب، ثم دراسة المساجد الأثرية بالمنطقة واخترنا مسجد سيدي موسى الخذري بـ: لمسيد بيسكرة، والجامع العتيق ببرج بن عزوز؛ وركزت الدراسة على الناحية التاريخية، وطرزهما المعمارية والفنية، ومواقع العناصر الأساسية لعمارتهما (بيت الصلاة، المحراب، المنذنة) مع تخصيص دراسة مستقلة لكل عنصر من حيث شكله وأصله وتقنيات ومواد بنائه مدعمة بـ: تخطيطات عامة وأشكال هندسية ورسومات وصور فوتوغرافية، هذا مع دراسة ما تضمننا من عناصر زخرفية بمختلف أنواعها نباتية، هندسية، خطية، أخيرا دراسة الزوايا والأضرحة بمنطقة الزاب واخترنا؛ زاوية علي بن عمر بطولقة والزاوية المختارية بأولاد جلال، أما الأضرحة ومع كثرتها اخترنا ضريح أبو المهاجر دينار بسيدي عقبة، وضريح خالد بن سنان العبسي بسيدي خالد.

## Summary

The research contains a definition of the religious Islamic architecture with its kinds and its architectural elements as well as its position in el zeb region, then study of so.... ancient mosques in the region. We have chosen The Mosque of Sidi Moussa el Khoudri in M'cid in Biskra and the ancient Mosque in Bordj Ben Azzouz. The study focuses on the historic side as well as the architectural and artistic style. In addition, the position of its main elements for their structure that is to say the praying room, and the Mihrab, and the Minaret with the independent specific study for each element regarding its form, its origin, the techniques and the materials used for its building supporting it with general diagrams, geometrical forms, drawings and photographic illustrations with a study of decorating elements, finally the study of Zaouiats, like Zaouiat Ali Ben Omar in Tolga, Zaouiat Mokhtaria in Ouled Djallel, the tomb of Abu Muhajir Dinars in Sidi Okba and the tomb of Sidi Khaled Ben Sinan Al-Absi.

## Résumé

Le sujet contient une définition de l'architecture religieuse islamique, et les éléments architecturaux, et étudier les anciennes mosquées de la région et a choisi la Mosquée Sidi Moussa El Khoudri à M'cid Biskra, et la vieille mosquée de Bordj Ben Azzoz; L'étude a porté Sur l'historique, l'architecture, et le coté artistique, et les positions des éléments fondamentaux (Salle de prière, le mihrab, minaret) avec l'étude spécifique indépendante de chaque élément en fonction de sa forme, d'origine, et les techniques de construction et les Matériaux soutenu par: des Diagrammes et des formes architecturales, dessins et des photographies, Avec l'étude des éléments décoratifs, et enfin l'étude des Zaouiat; Zaouiat Ali Ben Omar à Tolga et Zaouiat Mokhtaria à Ouled Djallel, et le tombeau de Abu Muhajir Dinars à Sidi Okba, et le tombeau de Sidi Khaled ben Sinan Al-Absi.